التفاسير البيضاوية المسيحية

الرسالة

إلى العبرانيين

فسرها

القس و.هـ.ت. جردنر وغيره

All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر أو إعادة نشر أو طبع هذا الكتاب بأي طريقة طباعية أو الكترونية بهدف بيعها أو المتاجرة بها أو وضعها على شبكة الإنترنت إلا بإذن من الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل. يمكنك أن تحتفظ بالكتب والمقالات للإستخدام الشخصي، كما يمكنك أن تنسخها لأجل توزيعها مجاناً لتعم الفائدة.

محتويات الكتاب

ديباجة للمرحوم القس و. ه. ت. جردنر	٢
تمهيد لشرح الرسالة إلى العبرانيين	٣
شرح الرسالة	٦
سر كلام الله للبشر في ابنه	١٦
الابن الذي صار أخاً لنا بفضل أفعاله هذه	٢٨
مقارنة بين الابن ورئيس كهنة اليهود	٣٥
دعاء	٤٩
مقدمة للفصل الخامس	٥١
الميثاق الجديد	٧٦
الشعر النثري عن الإيمان	١٠٦
"وأما الإيمان فهو الثقة بما يجرى"	١٠٨
اختبارات الإيمان كنماذج للدين الحق	١١١
إيمان التضحية	١١٦
تعليل هذه الاختبارات الأليمة	١٢٧
صورة الشركة السمائية	١٣٧

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ديباجة

للمرحوم القس و. ه. ت. جردنر

أول كل شيء نحمد الله ونستمد بركته ونخص القراء بتحية المحبة والولاء ثم نشرع في نشر سلسلة هذه الشروح الجديدة التي لقبناها "بالبيضاوية" لأننا جرينا فيها على الخطة المثلى التي انتهجها البيضاوي الشهير وغيره في إدخال النص ضمن الشروح على سبيل الإدماج، وجعل الكلام، على التوالي، صلة الارتباط ولحمة الاتصال. ولأننا أيضاً نريد أن يعلم أصدقاؤنا المسلمون أننا، بادئ ذي بدء، راعينا أذواقهم والاعتبارات التي يجعلونها قيد أنظارهم، كما راعينا أذواق المسيحيين واعتباراتهم، وإذ أننا لم نغفل العناية بآراء وحاجات كل من الفريقين فبملء الإخلاص والخشوع نبتهل إليه تعالى أن يبارك هذا الشرح لكل منهما فيسهل على العقول فهم ما هو صعب وغامض من بعض أجزاء كلمته المقدسة في العهد الجديد ويفتح أمام الواضح منها أبواب الدخول إلى مخادع القلوب. أما الترجمة المنقحة فيمكن عدّها جزءاً من الشرح. لأن تنقيح ترجمة النص اليوناني وطبعه بجانب الترجمة الحالية هو بالحقيقة شبه تفسير للنص. ففي السبعين سنة الماضية عُرضت الترجمة الإنكليزية وغيرها من الترجمات الكثيرة لتنقيح كامل شامل. فلا ينتظر ولا يستصوب أن تبقى الترجمة العربية بمعزل عن هذا العمل النافع المفيد.

إذن ترجمتنا هذه عبارة عن باكورة التنقيح العام المنوي إجراؤه يوماً ما. والغرض منها:

١- تفسير الأصل اليوناني على وجه أدق وأرق.

٢- تمكين الأسلوب العربي من الظفر بحسن الرضى والقبول عند الذين يجهلون اليونانية ولم يألفوا لغة الكتاب المقدس. أما رسائل الانتقاد أو الاستحسان التي نرجو ورودها علينا بخصوص هذه الترجمة فستكون هي نفسها من ممهدات سبيل التنقيح في المستقبل. فليبارك الله كل عمل يباشر لمجده هادياً كل نفس إلى معرفته تعالى كما هو وكما أعلن نفسه من جهة وجوده.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تمهيد

لشرح الرسالة إلى العبرانيين

متى كُتِبَت الرسالة؟

هذه نقطة هامة في درس كل سفر. وإنه ليصعب تعيين تاريخ الكتابة في بعض الأسفار القديمة. ولكن من محاسن الصدف أن أجمع العلماء والشراح على رأي واحد في هذا الأمر.

ونستخلص من الرسالة نفسها أنها كُتبت بعد موت المسيح "وكان حوالي سنة ٣٣ ب.م" وبعد أن انقضى زمن جاز فيه المسيحيون الأولون دوراً من العناء والاضطهاد، وعرفوا شيئاً من اختبار الحياة المسيحية.

وعلى ذلك تكون الرسالة كُتِبَتْ بعد سنة ٣٣ ب.م. ولكن في أية سنة؟ أجمع العلماء على أن زمن كتابتها لم يعد سنة ٨٥ ب.م. وذلك أن لدينا رسالة مشهورة تُعرف برسالة أكليمندس الأولى أُرسلت من رومية إلى كورنثوس في الربع الأخير من القرن الأول. ومن يقرأ هذه الرسالة يدرك لأول وهلة أن كاتبها عرف جيداً الرسالة إلى العبرانيين إذ يردد صدى أفكارها وأقوالها في مواضع مختلفة.

إذن تكون الرسالة إلى العبرانيين كُتبت بعد سنة ٣٣ ب.م. وقبل سنة ٨٥ ب.م. على وجه التقريب. ويظن بعض العلماء أن في ذكرها للذبائح اليهودية القائمة، دلالة على أن هيكل أورشليم كان باقياً، وهذا لم يكن له أثر بعد سنة ٧٠ ب.م. وليس من شك أن الرسالة كُتبت في غضون نصف قرن من عصر المسيح، ومما هو جدير بالمراعاة أن إثبات صلب المسيح وقيامته وصعوده كانت أساساً لإيمان المسيحيين في تلك العصور الأولى، عليها قام رجاؤهم للخلاص في هذا العالم والعالم الآخر، ولن يكون للرسالة معنى بدون هذه العقيدة.

وكأننا سنقرأ، نحن أبناء القرن العشرين، كتاباً وُضع في النصف الثاني من القرن الأول، ومن غريب الأمر أن يبقى هذا الكتاب جديداً حياً اليوم كما كان في زمن كتابته.

من هو المؤلف؟

عنوان الرسالة في بعض ترجمات الكتاب المقدس، لا في كلها، "رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين" على أن عنوانها في أقدم النسخ الخطية اليونانية أو القبطية "الرسالة إلى العبرانيين" دون ذكر اسم المؤلف.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ولا يغرب عن الذهن أن عناوين أسفار العهد الجديد ليست عنصراً أصلياً من الكتب الموحاة، بل هي أسماء أطلقتها الكنيسة عند قراءة تلك الرسائل.

انظر في العهد الجديد إلى مستهل رسائل بولس، وهي تبدأ باسمه وتحياته لمن يوجه إليهم رسالته قائلاً: "بولس رسول يسوع المسيح...".

وجاءت الرسالة إلى العبرانيين غفلة عن هذا الاستهلال، وليس في الرسالة ما نستدل منه على اسم كاتبها، ولو أننا نستطيع نستخلص الشيء الكثير عن أفكاره وآرائه.

وبعد أن تداولت الرسالة من جماعة إلى أخرى في الكنيسة الأولى، أحس الذين قرأوها واستعانوا بوحيها، أنها لابد صدرت عن زعيم كبير من زعماء المسيحية. وذهب أهالي إفريقيا الشمالية، وربما رومية أيضاً، إلى أن كاتبها هو برنابا صديق الرسول بولس.

وقال أهل الإسكندرية أن كاتبها هو بولس نفسه الذي عهدوه أبرع كتّاب الرسائل في العصر الأول، ومع ذلك قال أوريجانوس الكاتب الإسكندري والمعلم الشهير أنها ليست من أسلوب بولس.

ولدى إعمال الفكرة في المكان الذي وضعت فيه الرسالة إلى العبرانيين بين أسفار العهد الجديد يتبين لنا أن رسائل بولس المطولة جمعت كلها بعد أعمال الرسل في صعيد واحد، وجاء بعدها رسائله الصغرى، ثم عقب ذلك رسائل الرسل الآخرين غير بولس.

أما الرسالة إلى العبرانيين، وهي رسالة مطولة، فلم توضع بين رسائل بولس الطويلة بل وضعت بين رسائله الصغرى وبين رسائل الكتاب الآخرين. ونستدل من هذا أن واضعي الأسفار على ترتيبها الحالي لم يكونوا على يقين من فئة الرسائل التي يضعون العبرانيين بينها.

وزعم البعض أن بولس "الذي نقرأ عنه في سفر الأعمال ص ٢٠: ٢٤- ٢٨" هو كاتب الرسالة إلى العبرانيين، ويؤيدون ما يذهبون إليه بقولهم أن أبولس كان من أهالي الإسكندرية ومن المقتدرين في الكتب المقدسة. وكاتب هذه الرسالة، كما يؤخذ من أسلوبها وعبارتها، قدير في الأسفار المقدسة ومشبع العقل بالتعاليم الفلسفية التي ازدهرت في مدارس الإسكندرية يومئذ. وبعد هذا لابد لنا من القول أن هذه كلها ليست إلا افتراضات وتخمينات يعوزها الدليل الحاسم الذي يقطع بالخبر اليقين.

وتدلنا هذه التخمينات على أن المسيحيين الذين قرأوا الرسالة أحسُّوا من قوتها الروحية أنها تنتسب إلى أحد زعماء العصر الأول فساقهم هذا الإحساس البشري إلى قرن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأقوال التي أعانتهم في حياتهم الروحية بأسماء القادة الذين عرفوهم وأحبوهم. وهذا الإحساس نراه بادياً في الأحاديث الإسلامية التي يسلسلها رواتها إلى شخصيات قديمة.

والذي يذهب إليه علماء هذا العصر أن الرسالة غفلة من اسم كاتبها، وهو رأي ذهب إليه القديس أغسطينوس العظيم في القديم. ومما قاله أحد العلماء أن "الكاتب ليس إلا صوتاً". ولئن كان مجرد صوت يتكلم في ما لله، فأنّا نعرف من صوته الشيء الكثير عن فكره وقلبه.

قلنا أن الكاتب كان ممن تشبعت أفكارهم بالترجمة اليونانية للأسفار العبرية التي وضعت في مدينة الإسكندرية. وليس في هذا دليل على أنه هو نفسه كان اسكندرياً.

لأن الترجمة اليونانية كانت ذائعة في كل العالم اليهودية الناطق باليونانية في ذلك العصر.

ولكن للمؤلف علاقة أخرى بالإسكندرية، تلك هي أفكاره الفلسفية. وقد كانت الإسكندرية في تلك الأيام المدنية التي أخرجت للعالم تعاليم الفيلسوف اليهودي الكبير "فيلو" وهو من معاصري المسيح. وكان فيلو هذا يهوداً تضمنت تعاليمه مزيجاً من آراء العهد الجديد، وأفلاطون، والفلاسفة الرواقيين.

وعن العهد القديم أخذ فيلو العقيدة الشائعة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين على السواء، وهي الخالق الواحد والإله المتسلط، العامل في الكون الذي أبدعه وسواه، الواضع النواهي والواجبات على خلائقه من بني الإنسان.

وعن الرواقيين أخذ عقيدة الكلمة logos، العقل الإلهي الحال في الكون وفي كل الأشياء بحيث أن الكون كله، أو كل جزء فيه، يستمد معناه من هذا العقل الساكن فيه وعن أفلاطون أخذ فيلو عقيدة الآراء ideas الخالدة السمائية، التي اشتملت على أبرز الميزات في الفلسفة الأفلاطونية. ومؤداها أن ما نراه هنا على الأرض ليس إلا نسخة وصورة لما هو خالد، صورة حقيقية ولكنها أقل من الحقيقة. ففي العالم الخالد نمازج خالدة كاملة طاهرة ليست مادية، ولكنها نمازج من الفكر لكل ما نشاهد هنا على الأرض.

كل هذه الأفكار حفل بها عقل كاتب الرسالة إلى العبرانيين، ولكنه خضع دائماً لعقيدته الثابتة في نشاط الواحد الذي تحدَّث عنه العهد القديم بقوله "الإله الحي" القدوس البار المحب القادر على كل شيء، المعلن مجده في العالم القديم. وليس الكاتب فيلسوفاً وحسب بل هو إنسان امتلأ متقد في الله، وهو يلجأ إلى الأفكار الفلسفية ليشرح للآخرين الحقائق التي بدلت حياته. وكأن الشمس في نظره قد أشرقت على العالم ببهاء جديد بحيث يرى الكتاب المقدس والفلسفة والتاريخ والحية اليومية على نور جديد، وهو راض بالاصطبار حتى تولي الظلال الباقية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لمن كتبت الرسالة؟

عرف هذا السفر من أول عهود الكنيسة "بالرسالة إلى العبرانيين" ولا شك البتة في مطابقة هذا العنوان للرسالة. لأن من يقرؤها لا يخامره ريبة في أنها كتبت لمن ترعرعوا في أحضان اليهودية، الذين كان كتابهم الأسفار اليهودية.

ولكنه من الجلي الواضح أيضاً أن أولئك العبرانيين لم يكونوا يهوداً ديانة في زمن كتابة الرسالة إليهم، بل كانوا أعضاء في الكنيسة المسيحية ردحاً من الزمن. وتشير الرسالة إلى أنهم تألموا أولا بسبب إيمانهم في الأيام الأولى. وحسبنا أن نقتبس الآيات التالية لإيضاح ما نقول:

"مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ" "عب ٣: ١".

"وَلَكِنْ تَذَكَّرُوا الأَيَّامَ السَّالِفَةَ الَّتِي فِيهَا بَعْدَ مَا أُنِرْتُمْ صَبَرْتُمْ عَلَى مُجَاهَدَةِ آلاَمٍ كَثِيرَةٍ. مِنْ جِهَةٍ مَشْهُورِينَ بِتَعْيِيرَاتٍ وَضِيقَاتٍ" "عب ١٠: ٣٢ و٣٣".

على أن أولئك المسيحيين العبرانيين لم يكونوا أعضاء في الكنيسة المسيحية بفلسطين، ذلك لأن المسيحيين العبرانيين في فلسطين الذين تكلموا الآرامية في بيوتهم، قد تعلموا أن يقرأوا أسفارهم المقدسة في العبرانية الأصلية مع ترجمة أرامية لمن لم يستطيعوا فهم العربية بسهولة. ومثلهم مثل المسحيين الأقباط في مصر اليوم الذين يقرأون الإنجيل بالقبطية في عبادتهم ومعه ترجمة عربية لمن لا يقدر أن يتتبع القبطية.

أما المسيحيون العبرانيون الذين كتبت إليهم الرسالة، فظاهر أنهم يقرأون الأسفار اليهودية في الترجمة اليونانية التي قام بها يهود الإسكندرية وهي المسماة بالترجمة السبعينية. والاقتباسات الكثيرة في هذه الرسالة مأخوذة عن تلك الترجمة. وليس من المحتمل أن يكون أولئك المسيحيون العبرانيون الناطقون باليونانية ممن عاشوا على مقربة من أورشليم. لأن كاتب الرسالة في كل مقارنته بين الكهنوت والذبائح اليهودية والمسيحية لم يذكر شيئاً عن ذبائح وكهنوت هيكل أورشليم، مما عرفه المسيحيون العبرانيون في فلسطين. والرسالة حافلة بتفاصيل العبادة اليهودية، ولكنها منقولة كلها عن التوراة. كما أنها تصف خيمة الاجتماع التي أقيمت في عهد أقيمت في عهد موسى قبل بناء هيكل أورشليم. ويتضح جلياً أن أولئك المسيحيين العبرانيين الذين كتبت إليهم الرسالة لم يكونوا من اليهود الذين اعتبروا هيكل أورشليم وذبائحه جزءاً من اختبارهم الديني المألوف. ومع أن كاتب الرسالة، والعبرانيين المسيحيين المرسلة إليهم، قد أحبوا الأمكنة المقدسة اليهودية والذبائح، فإن حبهم اياها كان عن طريق القراءة والسمع. كما نرى اليوم مسلماً من أتقياء المسلمين

 All rights reserved © 2008-2018

تحول العوائق بينه وبين أداء فريضة الحج، ولكنه يحب مكة والمدينة ويعرف جيداً فرائض الحج ومناسكه، ويشعر أن له نصيباً فيها. وكان أولئك العبرانيون المسيحيون حقاً "شعب الكتاب" الذي هو الترجمة السبعينية للأسفار اليهودية "العهد القديم".

كانوا اذن جماعة من يهود "الشتات" الذين تبعثروا جماعات صغيرة في كل المدائن الكبرى في الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية. وكما هو اليوم، كذلك في القرن الأول، عاشت الأمة اليهودية خارج تخوم فلسطين.

وهل في وسعنا أن نعين المكان الذي عاش فيه أولئك العبرانيون المسيحيون؟

لا يمكن ذلك على وجه التحقيق. ولكن في الرسالة إشارة أو إشارتين لا يفوت مغزاهما على القارئ الحصيف:

ونحن ننظر إلى غرب أورشليم، لا إلى شرقها، لتعيين الوطن الذي استوطنه أولئك المسيحيون العبرانيون الذين كتبت إليهم الرسالة، وذلك لأن سكان شرقي أورشليم كانوا من الجماعات الآرامية التي قرأت أسفارها المقدسة بالعبرية وترجمتها الآرامية. أما يهود الشتات الذين قرأوا أسفارهم باليونانية، فهؤلاء استوطنوا في الأغلب مدائن الإمبراطورية الرومانية.

ولم تكتب الرسالة إلى كل العبرانيين المسيحيين الناطقين باليونانية، ولكن إلى جماعة صغيرة يعرفها الكاتب شخصياً. ويبدو هذا جلياً من معرفته التاريخ الروحي لتلك الجماعة، ولو كانت رسالته موجهة إلى ألوف اليهود الذين في الشتات لاستحال عليه طبعاً أن يكتب بهذا التفصيل الوافي. وقد اقتبسنا من قبل الآية التي يتبين منها أنه يعرف كيف تألم، بعد اهتدائهم، أولئك الذين كتب اليهم رسالته. وإلى القارئ مقتبسات أخرى من الرسالة:

"... قد صرتم متباطئي المسمع. لأنكم اذ كان ينبغي أن تكونوا معلمين لسبب طول الزمان، تحتاجون أن يعلمكم أحد....."عب ٥: ١١ و١٢"

"لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً وقبلتم سلب أموالكم بفرح" "عب ١٢، ٤"

ولا يستساغ القول أن هذه الكلمات كتبت للعبرانيين المسيحيين، بصفة عامة، المبعثرين في كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية. ونحن نعلم بساطة نظم الكنيسة في المدن الكبرى بتلك العصور الأولى، فلم تكن يومئذ أبنية خاصة، بل كانت الجماعات الصغرى تجتمع في بيوت الأخوة التي كان بها ردهات فسيحة تسع عدداً كافياً، والتي كانت بعيدة عن أنظار الرقباء بقدر الامكان. ونرى تلميحات إلى هذا في الرسائل المسيحية المبكرة: "إلى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الكنيسة التي في بيتك" أو "في بيت فلان...". والكلمة اليونانية "ecclesia" التي نقلت عنها لفظ "الكنيسة" في العربية معناها في الأصل مجتمع من الشعب، ولم ينصرف معناها إلى البناء الا مؤخراً. "وفي الإسلام تاريخ مماثل لهذا في استعمال كلمة "جامع" للدلالة على مكان اجتماع جماعة المسلمين". وكان يرأس كل جماعة شيخ أو أكثر من شيوخها. واذا كانت المدينة كبيرة وبها عدة جماعات مسيحية، كان يقام فيها عدد من الشيوخ. ونرى في سفر الأعمال مشهداً مؤثراً بين الرسول بولس وبين شيوخ مدينة أفسس "سفر الأعمال ٢٠: ١٧- ٣٨"

وفي الرسالة إلى العبرانيين، ولو أنها كتبت كما رأينا إلى جماعة صغيرة يعرفها الكاتب بالذات، إلا أن بها تلميحاً إلى شيوخ الكنيسة مما يحمل إلى الذهن أنهم كانوا كثيرين: "سلّموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين" "عب ١٣: ٢٤" ومن هذه التلميحات يستخلص العلماء أن الرسالة كتبت لتقرأ أمام جماعة من المسيحيين العبرانيين في مدينة بها كثير من هذه الجماعات المسيحية. ولذلك طلب إلى الجماعة التي أرسلت اليها الرسالة خصيصاً أن تسلم لا على مرشديها وشيوخها فقط، بل على كل الشيوخ "جميع مرشديكم"" وكل الزملاء المسيحيين في المدينة "جميع القديسين".

وهنا نذكر أيضاً إشارتين قد نرى فيهما سبيلاً إلى تعيين المكان الذي عاش فيه أولئك المسيحيون: الأولى في العبارة القائلة: "اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس" "عب ١٣: ٢٣" ونحن لا نعرف الا تيموثاوس واحداً، وكان زعيماً في صدر المسيحية، واهتدى في أيام شبابه على يد بولس الرسول. ويستدل من رسائل بولس المتأخرة أن تيموثاوس كان معه خلال سجنه في رومية الذي انتهى بموت الرسول. وطبيعي أن يكون تيموثاوس معروفاً للمسيحيين في ايطاليا. وليس المعنى المقصود من هذه العبارة واضحاً تماماً، لأن الفعل في اليونانية الأصلية يحتمل معنيين: إما أن يكون تيموثاوس قد أطلق من السجن، واما أن يكون انطلق في رحلة. لكن العبارة على الأقل تدلنا على أن أولئك المسيحيين العبرانيين عاشوا في مدينة كان تيموثاوس معروفاً فيها جيداً. ويذهب كثيرون من العلماء إلى موطنهم كان في ايطاليا.

ثم عبارة أخرى لا بد من البحث فيها: تلك هي التحية الختامية حيث يقول الكاتب: "يسلم عليكم الذين من ايطاليا".

ولسنا ندري على وجه التحقيق ما معنى هذه العبارة، ولو أنها كانت طبعاً مفهومة جيداً للذين قرأوها أولاً. وبعد مرور هذه الحقبة من الزمن يتعذر علينا الجزم بالقول الفصل، أكان الكاتب مقيماً في ايطاليا وهو يبعث برسالته إلى جماعة من المسيحيين العبرانيين في بلد آخر وينبئهم أن مسيحيي ايطاليا يقرئونهم السلام، أم كان الكاتب في بلد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

آخر غير ايطاليا "مثل الإسكندرية مثلاً" وبعث برسالته إلى جماعة من المسيحيين في ايطاليا وأخبرهم أن المسيحيين المهاجرين من ايطاليا والمستوطنين في مدينته يقرئونهم السلام. أن العبارة تحتمل المعنيين في اللغة اليونانية الأصلية. على أن العلماء في هذا العصر يميلون إلى الأخذ الأخير.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ما أغراض الرسالة؟

كان الغرض من الرسالة، شأن كل الرسائل المسيحية الأولى التي انتهت الينا، أن يقرأها جماعة المسيحيين عند اجتماعهم "في اليوم الأول من الأسبوع" للعبادة. وتستغرق قراءة هذه الرسالة بصوت عال ساعة من الزمن. ولدينا بيان مفصل للعبادة المسيحية كتب بعد تاريخ الرسالة إلى العبرانيين بنصف قرن، بعد انتقال الرسل والدعاة الأولين إلى جنة الخلد، يؤخذ منه أن قراءة كتابات الرسل كانت قد صارت عنصراً نظامياً في العبادة المسيحية.

والى القارئ عبارة من هذا البيان:- "وفي اليوم المدعو يوم الأحد يجتمع الساكنون في الحضر وفي الريف إلى مكان واحد لتقرأ على مسامعهم مذكرات الرسل أو كتابات الأنبياء حسبما يسمح الوقت..."

وقد نجد عوناً لفهم هذه الرسالة، لو استطعنا أن نرسم صورة لبعض ما كان يدور بأفكار القوم وعقولهم، الذين أرسلت لهم الرسالة و نقتضى النواحي الخاصة التي أراد الكاتب علاجها وإنارة السبيل أمامهم فيها.

وبعض الرسائل التي انتهت الينا تذكر بقول حاسم غرض الكاتب، أما في الرسالة إلى العبرانيين فعلينا أن نستخلص هذا الغرض من بين ثنايا السطور، وليس في الأمر صعوبة لو عرفنا أولاً مكانة العبرانيين المسيحيين في تلك الأيام، ثم استقصينا الغرض الذي كتبت من أجله.

ولنبحث الآن في ايجاز نوع الصعوبات الروحية التي افتقر فيها العبرانيون المسيحيون إلى المعونة والاسناد، بعد صلب المسيح وقيامته بخمسين من السنين:

نشأ العبرانيون المسيحيون وقد تملكتهم أفكار تغاير آراء المسيحيين الرومانيين أو اليونانيين أو المصريين في القرن الأول. فأن أمتهم مسترشدة بوحي أنبيائها كانت تترقب مجيء قائد روحي الهي، ومنقذ أطلقوا عليه المسيا "أو المسوح". وقد حفلت كتبهم ومؤلفاتهم بهذا القدم وما سيكون عليه من عظمة, ودارت أفكار الإسرائيليين الأمناء حول هذا المسيا. وفي الإنجيل الكريم نقرأ عنه مولود يسوع عن سمعان الكاهن العبراني الشيخ في أورشليم الذي "كان باراً تقياً ينتظر تعزية إسرائيل" أي مجيء المسيا الملك "لوقا ٢: ٢٥" وعن حنّة المرأة العجوز التي شهدت الطفل يسوع في الهيكل "وتكلمت عنه مع جميع المنتظرين فداء في أورشليم" أي الذين ترقبوا مجيء الفادي المسيا "لوقا ٢: ٣٠".

كذلك قال أبو يوحنا المعمدان حين تلقّى رسالة الله التي انبأته أن ولد سيعدّ طريق المسيا:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"مبارك الرب اله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه.

"وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه.

"كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر.

"خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا" "لوقا ١: ٦٧ و٦٨"

وتفصح هذه الكلمات عن ايمان يهودي صالح يترقب مجيء المسيا. وكان من الطبيعي أن تجيش هذه الآمال والمواعيد التي أوحى بها الله عن طريق أنبيائه، في نفوس الشعب الذي حلم بها وتحدث عنها ليل نهار وسط المتاعب السياسية التي عاناها في ذلك العصر.

وكان يهود القرن الأول خاضعين للنير الروماني الوثني، وكانوا يرون وهم الذين أبغضوا التماثيل، تمثال الإمبراطور الذي أقامه بيلاطس في مكانهم المقدس، ومات كثيرون منهم مغبوطين في سبيل الذود عن مقادس الهيكل وازالة هذا الرجس منه. وهم قد دفعوا الضرائب للاتفاق منها على الجيوش الرومانية التي احتلت بلادهم "وتشير بشائر الإنجيل وسفر الأعمال في صراحة إلى وجود الجنود الرومانية في فلسطين" وعلى ولاة الرومان الذين تربعوا في قصورهم، وعلى تعبيد الطرق لتتبخر عليها هوادج زوجات اولئك الولاة، وتجري عليها السعاة حاملين الرسائل من رومية، وتنهب أديمها الجحافل الرومانية المنظمة. وحوالي الزمن الذي كتبت فيه هذه الرسالة، قام اليهود بثورتهم الأخيرة اليائسة ضد الرومان، فكان ختامها تلك المأساة التاريخية الدامية: الاستيلاء على أورشليم وخراب المدينة المحبوبة وهدم الهيكل ذاته.

فليس غريباً اذاً، أن يؤمن اليهود في عصر المسيح بأن موعد الله لهم بإقامة ملك يحكم بالبر، معناه قبل كل شيء مجيء ملك ينقذهم من الرومان ويقيم مملكة يهودية في أورشليم تحفها القوة والمهابة والعظمة، وتسحق الأعداء الغرباء تحت مواطىء الأقدام.

وحين آمن المسيحيون الأولون أن يسوع هو مسيا الله المنتظر، اعتصموا بطبيعة الحال بأمل عظيم في أن يجيء هذا الملك بالقوة والمجد لينقذ الأمة من عدائها. فحتى وهو في طريقه إلى أورشليم ليلقى الموت سأله اثنان من أخصائه أن يأذن لأحدهما بالجلوس عن يمينه وللآخر عن يساره.

وبعد أن غلب الموت وظهر لهم بعد قيامته سألوه قائلين: "يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك لإسرائيل؟".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وعلى الرغم من إجابته قائلاً "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" وعلى الرغم من أن تعاليمه كلها قد أبانت أن مملكته "ليست من ها العالم" "يوحنا ١٨: ٣٦" بل مملكة روحية جامعة، فإن أولئك المسيحيين العبرانيين الأولين عاشوا آملين أن يعود ذاك، الذي ثبت لهم من قيامته أن في يديه كل قوات ملكوت السموات، ليبهر جميع الأعين بقوته ويقيم مملكة من البر مركزها الأرضي المنظور في أورشليم ولكنه لم يأت كما كانوا ينتظرون، فهو بم يرغم الناس قط عبى الإيمان به، إنما لجأ إلى القلوب ليغزوها، فتكاثرت مملكته يوماً بعد آخر من هذه القلوب المستسلمة الخاضعة.

وكان على كاتب الرسالة إلى العبرانيين أن يعالج خيبة الأمل هذه. ويقنع إخوانه المسيحيين العبرانيين للاكتفاء بما يعمل ربهم، إذ يرون الآن ما هو أعظم من ملك الأراضي في أورشليم.

ولم تكن خيبة أمل المسيحيين العبرانيين مقتصرة على عدم رجوع المسيح ليملك ملكاً منظوراً على الأرض- بل كان هناك شأن آخر لابد من تسويته معهم. فإن كان عليهم أن يعيشوا خداماً للمسيح سيدهم غير المنظور، في هذا العالم الذي عرفوه، فماذا عسى أن تكون علاقتهم بالدين اليهودي القديم، الذين درجوا عليه في طفولتهم، وطقوسه وذبائحه وكهنوته ومقادسه؟

صوّر لنفسك هذا الموقف، أيها القارئ الكريم: كانوا كلهم عبرانيين، وكان سيدهم وربّهم عبرانياً أيضاً، كذلك كان الرسل والدعاة الذين كشفوا لهم حقيقته. وكان كتاب الله الذي قرأوه، السفر المقدس الذي اعتز به الشعب العبراني.

والواقع أن كل المسيحيين العبرانيين الأولين اشتركوا بطبيعة الحال وفي هدوء في العبادة اليهودية. ألم يعبد المسيح نفسه في المجمع وفي الهيكل؟ وبعد صعوده "كان الرسل كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة" "أعمال٢: ٤٦".

ولم يكن الهيكل مقدس آبائهم وحسب، بل كان لهم فيه ذكريات لسيّدهم الذي علَّم هناك كثيراً. وكثيرون من يهود الشتات عرفوا المسيح لأول مرة في المجمع، لأن دعاة المسيحية الأولين أذاعوا رسالتهم بين شعبهم في عبادة المجمع في يوم السبت. وقد أحب هؤلاء المسيحيون العبرانيون أمتهم، وصلواتها، ومزاميرها، وكهنتها، وشرائعها المقدسة، وذبائحها، ومقادسها. وأجمع الشعور الديني والشعور القومي على الاعتزاز بكل هذا.

وكان للمسألة ناحية أخرى: فإن الخمر الجديدة لابد أن تفلق جلود الخمر العتيقة، كذلك انساب إلى حياة أولئك المسيحيين الأولين حياة جديدة وقوة جديدة، ورأوا في هذه الحياة لأول وهلة مخارج جديدة. ففضلاً عن العبادة في الهيكل أو المجمع، كان من عادة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المسيحيين الأولين أن يجتمعوا معاً في حفل ديني خصوصاً لإحياء وليمة كسر الخبز لذكرى وبهم باسمه الكريم "أع ٢: ٤٦" وكانت تعقد المجتمعات في هذا البيت أو ذاك لرفع الدعاء عند حدوث ملمة خاصة، وكانت مجتمعات لسماع رسالة يسوع أو أنباء الذين يعلمون في ملكوته. وكان اليوم الأول في الأسبوع هو اليوم الذي حفظوه أحياء لذكرى قيامة سيدهم من الأموات، وأطلقوا عليه "يوم الرب" حتى وهم يعبدونه في اليوم الأخير من الأسبوع مع اخوانه في المجمع، فالجديد والقديم سارا معاً جنب إلى جنب "وكانوا لا يزالون كل يوم في الهيكل وفي البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح" "أع ٥: ٤٢" كان كل هذا حادثاً بعض الوقت، ولكن أيستمر الحال على هذا المنوال إلى الدهر؟

لم يكن مستطاعاً حصر الحياة الجديدة التي عرفها أولئك المسيحيون الأولون في الأوضاع اليهودية القديمة – وتحققت قولة تفوّه بها المسيح "يطردونكم من مجامعهم" وقد كان، فان الذين عاشوا بقوة يسوع رباً وسيداً ومسياً، ما كانوا ليرحّب بهم في زمرة الذين رفضوه رباً وسيداً ومسياً.

تصوّر أحاسيس مسيحي عبراني يقطع من عبادة قومه وأهله. وتصور كيف ينجذب قلبه إلى أنظمة دينه وشعبه تلك الأعياد والمواسم والذبائح، تلك الأماكن المقدسة واجراآت الكهنوت التي أحس في دخيلة نفسه أنه آخذ منها بنصيب ولو أنه يعيش بعيداً عن أورشليم. ما أقرب هذه كلها إلى قلبه!

ثم بم استعاضها؟ بذلك الاجتماع الصغير الذي يكاد يكون سرياً، حيث كان يجتمع الأخوة لكسر الخبز والشكر والدعاء باسم يسوع، ثم قراءة الأسفار المقدسة ورسائل الرسل، وتشجيع بعضهم بعضاً بالأفكار التي يوحيها إليهم.

كانت هذه بلا شك صغيرة وضيعة في نظره. ومع ذلك فإن العبرانيين المسيحيين الذين أرسلت اليهم الرسالة ظلوا أمناء، لأنهم وجدوا في هذه الممارسات البسيطة حياة من الله وقوة. ولم يستطيعوا إنكار ذلك الرب وتلك الحياة. إنما حنّت قلوبهم إلى العبادة القومية التاريخية القديمة، وإلى جبل صهيون برئيس كهنته ومذبحه، واحسوا أحياناً بشيء من الخيبة وخوار العزم. إلى قوم كهؤلاء تفاعلت في نفوسهم الأشواق الملهبة، أرسلت الرسالة الشيقة التي نحن مقبلون الآن على دراستها، وفيها يعيد الكاتب إلى ذلكم القوم ما أضاعوه لأجل المسيح مصوراً لهم الأشياء في معان جديدة أعمق وأفضل مما ألفوا، فيقول بنغمة الفوز "لنا رئيس الكهنة" و "لنا مذبح" و "وأتينا إلى جبل صهيون".

ومن ثم نرى هذه الرسالة، التي كتبت في العصر الذي كانت فيه عبادة الهيكل على وشك بلوغ نهايتها المحزنة على يد الجحافل الرومانية الوثنية تعلّم المسيحيين أمثولة مفادها أن دينهم لم يقم على ازدهار أورشليم ولا على بقاء أية مدينة أو أمة على الأرض، أنما قام

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

على حقائق خالدة روحية لا تهزها المحن ولا تعبث بها النائبات "انظر بنوع خاص الفصل الثاني ٢٥: ٢٩".

وكأنما يجيء هذا السفر برسالة جديدة لكل الذين يعيشون في عالم مضطرب، والذين يخشى على إيمانهم وقوة عزيمتهم من جرَّاء اتخاذ المعايير الأرضية مقاييس للنجاح أو الفشل، والذين يستمسكون بالأساليب القديمة الآراء القديمة عوضاً عن التقدم إلى الأمام ليتلقوا من الله دروساً جديدة أفضل، والذين يتقاعسون وينكمشون أمام الجهاد ضد الخطية. وقصارى القول أن في هذه الرسالة القديمة، دروساً لنا نحن في هذا العصر، مسلمين كنا أو مسيحيين، متعلمين أو بسطاء، رجالاً أو نساء، شيباً أو شباباً.

أن الله هو هو، ودعوته لبني البشر هي هي، وكلامه لا يتغير أبداً.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

محتويات الرسالة:

١- سرّ كلام الله للبشر في ابن "١: ١- ٢: ٨".

٢- الابن الذي صار أخانا بفضل هذا الصنيع"٢: ٩- ٣: ١٨".

٣- عمله لنا بالمقارنة بما عمله ملكي صادق للعبرانيين قديماً. وقد توضح بالأسلوب الذي عهدناه في الكاتب، بالعبارات المكررة، قائلاً أن الابن "كاهن حسب رتبة ملكي صادق" – "٢: ٣١ – ٧: ٢٨".

٤- الميثاق الجديد الذي يهيئ المقدس والذبيحة والشفاعة "كما فعل الميثاق القديم مع العبرانيين" ولكن هذا الميثاق الجديد أقوى فعلاً من القديم وأعمق أثراً. وفيه يتذوق المؤمنون صلة يعرفوها من قبل "٨: ١– ١: ١٨".

٥- أهل الميثاق الجديد ينبغي أن يمتثلوا بالرجاء على الرغم من كل الظروف القاسية "١٠: ١٩- ٣٩".

٦- شريعة الإيمان، وحياة الإيمان واختباراته تستعرض كنماذج للدين الحق، الذي يبلغ ذروته في المسيح، ويظهر في تاريخ كل أتباعه الحقيقيين "١١: ١- ٤٦".

٧- تأويل هذا كله في الاختبارات الأليمة التي يجوزها المسيحيون العبرانيون. وتعليل هذه كوسائل تأديب، وهي العلامة المميزة في الأبوة الإلهية حين تعالج أبناء غير ناضجين "١٢: ١- ١٧".

٨- وأخيراً تبلغ الرسالة ذروة كمالها في رسم صورة رائعة لشركة الجماعة السمائية التي تألف منها المؤمنون، ثم تختّم بالتشديد على الالتزامات الروحية الأدبية المفروضة على من ستمتعون هذه الشركة السمائية "١٢: ١٨- ١٣: ٢٥".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

سر كلام الله للبشر في ابنه "١: ١- ٢: ٨"

الترجمة الحالية	الترجمة المشروحة
١: ١- ١٤	
١اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيماً، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، ٢كَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارِثاً لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضاً عَمِلَ الْعَالَمِينَ. ٣الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيراً لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعَظَمَةِ فِي الأَعَالِي، ٤صَائِراً أَعْظَمَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ بِمِقْدَارِ مَا وَرِثَ اسْماً أَفْضَلَ مِنْهُمْ. ٥لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ»؟ وَأَيْضاً: «أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً»؟ ٦وَأَيْضاً مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ». ٧وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ يَقُولُ: «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ». ٨وَأَمَّا عَنْ الابن: «كُرْسِيُّكَ يَا أَللهُ إِلى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ	إن الله الذي في أزمنة كثيرة وبطرق عديدة كلم الآباء بأنبياء قديماً. قد كلمنا نحن في آخر هذه الأيام بابن جعله وارث الكل وبه كان قد صنع العالمين. ذلك الذي وهو فيض مجده وصورة جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته قام بتطهير خطايانا ثم جلس عن يمين العظمة في الأعالي صائراً أفضل من الملائكة. بمقدار ما ورث اسماً أكثر امتيازاً منهم. لأنه لمن من الملائكة قال قط: "أنت ابني أن اليوم ولدتك" وأيضاً "أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً". وأيضاً حين يكون قد أدخل البكر إلى المسكونة يقول: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ». أما عن الملائكة فيقول: «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ رِيَاحاً وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ». وأما عن الابن فيقول: "إن عرشك يا الله إلى دهر الدهور". وصولجان استقامة صولجان

 All rights reserved © 2008-2018

اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ. ٩أَحْبَبْتَ الْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ. مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلَهُكَ بِزَيْتِ الابْتِهَاجِ أَكْثَرَ مِنْ شُرَكَائِكَ». ١٠وَ«أَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيْكَ. ١١هِيَ تَبِيدُ وَلَكِنْ أَنْتَ تَبْقَى، وَكُلُّهَا كَثَوْبٍ تَبْلَى، ١٢وَكَرِدَاءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّرُ. وَلَكِنْ أَنْتَ أَنْتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنَى». ١٣ثُمَّ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟" ١٤أَلَيْسَ جَمِيعُهُمْ أَرْوَاحاً خَادِمَةً مُرْسَلَةً لِلْخِدْمَةِ لأَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!	ملكك. قد أحببت البر وأبغضت التعدي. لذلك مسحك الله إلهم بدهن الابتهاج أكثر من شركائك. و«أَنْتَ يَا رَبُّ فِي الْبَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرْضَ، وَالسَّمَاوَاتُ هِيَ صنع يَدَيْكَ. هي ستزول وأنت تبقى. وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت. وسنوك لن تفنى». وعمن من الملائكة قال قط «اِجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ؟». أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة مرسلة للخدمة لأجل المزمعين أن يرثوا الخلاص؟

تنفق الأديان الثلاثة- اليهودية والمسيحية والإسلام- في الفكرة الأساسية القائلة أن الإنسان لم يكتشف الله بتحليقه في السموات، ولم يصطنعه بعقله وتفكيره. وتتفق أيضاً في أن الله هو الذي بدأ بالعمل وخطا الخطوة التي لم يقدر الإنسان الصغير الحقير على تخطيها. ذلك أن الله قد كلَّم الإنسان.

"أن الله" الذي هو مصدر كل وحي وإعلان "الذي في أزمنة كثيرة" أي في أوقات متقطعة متتابعة وبأقوال متجزئة متلاحقة. ويبين كاتب الرسالة في هذه الأقوال أنه قد تشبع بما يصح أن نسميه فلسفة التاريخ، وذلك أن التاريخ لم يكن في عرفه سلسلة من الحوادث المتفرقة أشبه بمسبحة تتألف من حبات منفصلة، يربطها معاً خيط الزمن. وعنده أن للتاريخ مبدءاً حياً موحداً في إعلان الله عندما كلم بني الإنسان من عصر إلى عصر وفي عصور مختلفة "وبطرق عديدة" سواء أكان ذلك برسائل مباشرة ألهمت إلى القلب، أو أحلام ورؤى طافت أمام العين الداخلية، أو علامات ورموز خارجية مثل عليقة موسى وذبائح خيمة الاجتماع، أو بلسان الحال والمثائل المستمدة من اختبار الأمة، أو ما هو أقرب من ذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مثائل الاختبار الشخصي المباشر العميق "كما حدث عند وفاة زوجة حزقيال أو خيانة زوجة هوشع، وكلاهما رأى في حاله تعاليم الله".

"كلَّم الآباء" والكاتب إذ يخاطب جماعة من المسيحيين العبرانيين يستعمل المصطلحات المألوفة لذى الأمة اليهودية التي تلقى آباؤها الأولون رسائل الله في الماضي. ولكن حتى المسيحيين الأولين أنفسهم الذين لم يكونوا يهوداً في الأصل، قد اعترفوا، كما نعترف نحن، برجال الله في التوارة آباء لهم روحيين. وعلى رأس أولئك الآباء إبراهيم الذي دعي "أبا المؤمنين".

"بالأنبياء قديماً" خلال تاريخ الأنبياء الطويل في القديم دوَّن في ٣٩ سفراً من أسفار العهد القديم. والإشارة إلى قدمية الزمان هنا هي للمطابقة بين الإعلان القديم والإعلان الحديث الذي يشير إليه الكاتب إذ يقول "قد كلمنا نحن" وهو ينتقل من المخاطب إلى المتكلم لأنه يعلم أن الذين يكتب إليهم قد سمعوا هم أيضاً صوت الله.

"في آخر هذه الأيام" وقد أتفق أحبار اليهود وهم يتوقعون مُلك الملك المسيا أن انتقالهم من حالتهم الراهنة إلى عصر مجيد يقع خلال "أيام أخيرة" يسودها الحزن والسجن وأوجاع الولادة الجديدة. وقد اعتاد المسيحيون الأولون، إذ أحسّوا بالأزمة الروحية التي يمرون بها، ورأوا في المسيح الملك المسيا الذي سيملك "في العالم الآني"، أن يتكلموا عن أنفسهم كأنهم يعيشون "في الأيام الأخيرة" (انظر أعمال ٢: ١٧ ويعقوب ٥: ٣ و٢تيموثاوس ٣: ١ و١يوحنا ٢: ١٨ و١ بطرس ١: ٢٠). ومن ثم نرى الكاتب يستعرض أمام قارئيه فكرة مألوفة حينما يتكلم عن إعلان الله في المسيح المعطى "في آخر هذه الأيام" ولكن هذه العبارة تعنى أيضاً أن هذا الإعلان هو متابعة لكلام الله أو وحيه في الأزمنة الكثيرة السابقة. على أن إعلانه هذا هو خاتمة إعلاناته العديدة وخلاصة إلهاماته المتجزئة. فهو اذاً الحلقة الأخيرة الختامية لسلسلة وحيه الأقدس. أما طريقة كلامه لنا في آخر هذه الأيام فهي "بابن" لا بني كما كان يفعل سابقاً.

ولم تكن طريقة كلامه مقتصرة فقط على كلمات ابنه، بل كانت بطبيعته وحياته وموته وقيامته. كل هذا كان إعلاناً لقصد الله المفتدي. ولم يحمل الابن رسالة الله فقط، بل كان هو نفسه رسالة.

وقد شبَّه المسيح الأنبياء بعبيد وجعل نفسه ابناً أسمى منهم "مرقس ١٢: ٢- ٦" فكائنه يقول: "أن الله قد كلمنا في الختام بوساطة كائن هو أعظم من سائر الأنبياء والمرسلين لأن أولئك الأنبياء هم عبيد وأما الابن فهو من نفس جوهر الخالق. وليس للابن علاقة بالتوالد الزمني بل أن صفة البنوة فيه تدل على العبد بين المسيح والأنبياء كما يؤخذ من العبارات النعتية الآتية:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهي نعت للابن الذي "جعله وارث الكل".

ألمحنا فيما سبق إلى مثل يسوع عن الابن والعبيد ويمكن مقارنة هذه العبارة بما جاء في مرقس ١٢: ٧- وليس هناك ما يحدد زمن التعيين الإلهي المستفاد من الفعل "جعل" لأنه لا يقترن بزمن معين بل هو جزء من النظام الأزلي.

والذي نستخلصه من هذه العبارة بصفة عامة أن هذا الكائن الذي به نزل الوحي بصورته الختامية هو ملك الشعوب كلها إذ "به قد صنع العالمين" أي بوساطة ثمَّ خلق الكائنات بأسرها لأن كلمة الله كانت "كن فكان" وقد كان الكلمة لازماً للذات ولكن غير زايد عليها لئلا يحصل التعدد في ذات الله وإذ يستمر الكاتب في وصفه لكلمة الله يقول "ذلك الذي وهو فيض مجده" والنور الذي ينبعث من جلاله معلناً الذات وغير منقص منها "وصورة جوهره" تعالى. واللفظة في الأصل اليوناني تعني الختم أو "البصمة بكلام العامة" أي الأثر الذي يكون طبق الأصل. على أن هنالك فرقاً بين "البصمة" وبين صورة الذات المُشار إليه في الآية لأن الله و"الصورة" هما واحد في الذات ولا يقبلان الانفصال فهما كوجهي المحدب والمقعر للقوس الواحدة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. وعزا إلى الكلمة صفة أخرى وهي أنه "حامل كل الأشياء بكلمة قدرته".

والكلمة اليونانية المترجمة "حامل" لا تعني حمل شيء ثقيل مائت، كما تحمل السفينة وسقها مثلاً، بل بالأحرى السير بكل الأشياء صعداً نحو هدف معين، والذي جبل الأشياء بكلمته، يفعل هذا أيضاً بكلمة قدرته. وتبين لنا هذه العبارة قوة الله المسندة الممسكة بطريقة منسجمة غريبة لكل الخليقة بحركاتها وتطوراتها. وبعد أن يفكر الكاتب في العلاقة بين الكلمة الإلهية أو الابن وبين نظام الكون الهائل، يعود إلى التفكير في العلاقة بين ذلك الكلمة وبين الإنسان الحقير الخاطئ، ويعلن في عباراته التالية أحد الموضوعات الجوهرية في رسالته حين يقول أن هذا الذي هو قوام الكائنات هو بنفسه الذي "قام بتطهير خطايانا" وتصف هذه الرسالة بأوضح عبارة طبيعية ذلك التطهير الذي قام به من كان طاهراً والذي قدَّم به، بإتمامه فوق مرسح هذا العالم الخاطئ المتألم، مرضاة كاملة كافية، فجاز مرة أخرى إلى السلطان الإلهي حتى قيل "ثم جلس عن يمين العظمة في الأعالي".

والكلام هنا على سبيل المجاز مثل الكلمة القرآنية "واستوى على العرش" أو "يد الله" وقد سلم العلماء بمثل هذه الأقوال بلا سؤال أو استفهام. ولا يخفى أن صعود المسيح وجلوسه من الحقائق الإلهية المعبر عنها بتعابير بشرية تدل على الزمان والمكان اللذين لا يمكننا أن ندرك تلك الحقائق بدونهما، اذ لا غنى في الاصطلاحات البشرية عن الصورة الظرفية والخلاصة أن الأعالي التي يسكنها الله ليست أعالي روحية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٢: ١- ١٠	
١لِذَلِكَ يَجِبُ أَنْ نَتَنَبَّهَ أَكْثَرَ إِلَى مَا سَمِعْنَا لِئَلاَّ نَفُوتَهُ، ٢لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً، وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً، ٣فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصاً هَذَا مِقْدَارُهُ، قَدِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا، ٤شَاهِداً اللهُ مَعَهُمْ بِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ وَقُوَّاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَمَوَاهِبِ الرُّوحِ الْقُدُسِ، حَسَبَ إِرَادَتِهِ؟ ٥فَإِنَّهُ لِمَلاَئِكَةٍ لَمْ يُخْضِعِ «الْعَالَمَ الْعَتِيدَ» الَّذِي نَتَكَلَّمُ عَنْهُ. ٦لَكِنْ شَهِدَ وَاحِدٌ فِي مَوْضِعٍ قَائِلاً: «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ، أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ ٧وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. ٨أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». لأَنَّهُ إِذْ أَخْضَعَ الْكُلَّ لَهُ لَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً غَيْرَ خَاضِعٍ لَهُ - عَلَى أَنَّنَا الآنَ لَسْنَا نَرَى الْكُلَّ بَعْدُ مُخْضَعاً لَهُ - ٩وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ، نَرَاهُ مُكَلَّلاً بِالْمَجْدِ وَالْكَرَامَةِ، مِنْ أَجْلِ أَلَمِ	لذلك يجب أن ننتبه بالأكثر إلى ما سمعناه لئلا نسقط عنه. لأنه إن كانت الكلمة التي نطق بها على ألسنة ملائكة قد ثبتت وكل تعد ومعصية قد نالا جزاء عادلاً فكيف ننجو نحن إذا أهملنا خلاصاً عظيماً كهذا- خلاصاً بدأ الرب بالتكلم به ثم قرره لنا الذين سمعوه وقد شهد له الله بآيات وعجائب وقوات متنوعة ومنح الروح القدس حسب مشيئته فإنه ليس للملائكة أخضع المسكونة الآتية التي نتكلم عنها. لكن شهد أحدهم في موضع قائلاً: «مَا هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذْكُرَهُ، أَوِ ابْنُ الإِنْسَانِ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَضَعْتَهُ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ. بِمَجْدٍ وَكَرَامَةٍ كَلَّلْتَهُ، وَأَقَمْتَهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. أَخْضَعْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ». فبإخضاعه له الكل لم يترك شيئاً غير خاضع له. على أننا الآن لسنا نرى الكل مخضعاً له بعد. وأما من وضع قليلاً عن الملائكة يسوع فإننا ننظره مكللاً بالمجد والكرامة بسبب ألم الموت أي لأن يذوق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الْمَوْتِ، لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ. ١٠لأَنَّهُ لاَقَ بِذَاكَ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ الْكُلُّ وَبِهِ الْكُلُّ، وَهُوَ آتٍ بِأَبْنَاءٍ كَثِيرِينَ إِلى الْمَجْدِ أَنْ يُكَمِّلَ رَئِيسَ خَلاَصِهِمْ بِالآلاَمِ.	الموت عن كل واحد بنعمة الله لأنه كان يليق بالذي له وبه كان كل شيء وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد أن يجعل قائد خلاصهم كاملاً بالآلام

"صائراً أفضل من الملائكة" وفي ذلك دليل على تفوق المسيح وسموه على أفضل خلائق الله كما أوضحنا سالفاً. ولما كان الكلمة "قد صار جسداً" واتَّضع في الظاهر، كان لابد له من الصعود لكي يسترجع مجده ومقامه.

وعلينا أن نلحظ الآن الطريقة التي يلجأ بها الكاتب إلى الاستعانة بالأسفار المقدسة، وهي الترجمة اليونانية للعهد القديم. وقد كان عقله مشرباً بها فكانت الآيات تأتيه مطواعة وتجرى بها يراعته سريعاً. وعلينا أن نلحظ بالأخص طريقة استعانته بالنبوءات وتأويله إياها. وهو إذ فكّر في كثير من ألفاظ المزامير أو التاريخ أو النبوءات رآها تحمل معنيين، يتعلق أحدهما بالعصر الذي قيل فيه اللفظ ويكتمل في التاريخ المنصرم للأمة اليهودية. ويشير المعنى الآخر بطريقة سرية إلى المسيح، ولم يتم تحقيقه في العصر القديم بل يكتمل في ذلك الذي علَّم تلاميذه بعد قيامته مبتدئاً "من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب" "لوقا ٢٤: ٢٧". وفي تلك المدرسة، مدرسة التفسير، تعِّلم كاتب الرسالة بالهام الروح القدس. ومن ثمَّ نراه في سياق رسالته يقتبس لفظاً من العهد القديم ويبين كيف اكتمل معناه في المسيح. وبعد أن استهل رسالته بقوله أن "الابن" متسامٍ فوق "العبيد" أي الأنبياء، يقول بعدئذ أنه متسامٍ أيضاً فوق العبيد الآخرين الذين يعيشون بالروح في العالم السمائي.

"لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت ابني أنا اليوم ولدتك" وهذا الاقتباس منقول عن مزامير ٢: ٧ وقوله "اليوم" يدل على أن الزمان كله في عين الله كطرفة عين وأنه ينظر إلى الأزل كأنه قد ابتدأ اليوم. وقد شبهت في الآية بولادة روحية أزلية لا تزال مستمرة حتى "اليوم" ولا يخفى أن موضوع الكلام هنا حقائق روحية. ولما كانت علاقة المحبة بين اقنومي الله والكلمة أشبه بالعلاقة بين "الآب" و "الابن" أمكن التعبير عنها بلفظة "الولادة" بشرط أن نتذكر أن هذا التعبير هو مجاز يشير إلى حقيقة أزلية. هذا هو معنى الآية العام. على أن لها مغزى خاصاً باعتبار الإنجيل اذ اتفق مرتين أنه لما اعتمد الكلمة المتجسد وقبل

 All rights reserved © 2008-2018

موته بقليل رن في الفضاء ذلك الصوت القائل "أنت ابني" فدل على أهلية المسيح لإتمام نبوءة المزمور يوم حيَّاه الله بمثل ذلك الكلام "وأيضاً أن أكون له أباً وهو يكون لي ابناً" والاقتباس هنا منقول عن الترجمة اليونانية لسفر صموئيل الثاني ٧: ١٤ وهو موعد قطع في الأصل لداود الملك. وإذ يرى كاتب الرسالة في قصة داود مجرد اكتمال عرضي لهذه العبارة، يطبقها الآن "على مألوف عادته في تأويل الكتاب المقدس" من وجهة اكتمالها الأبدي ويصفها علاقة أبدية أزلية كما سبق ورأينا.

"وأيضاً حين يكون قد أدخل البكر" الكلمة المترجمة عنها لفظة "البكر" معناها الأصلي البكر بين المولودين، ولأن للبكر مزايا خاصة حملت هذه اللفظة في الفكر اليهودي معنى "السمو والرفعة" دون أي تلميح إلى وظيفة الولادة. ولذلك نرى الفيلسوف فيلو "الذي عرف كاتب الرسالة مؤلفاته كما ألحنا من قبل" يستعمل الكلمة الأصلية المترجمة عنها "البكر" للدلالة على العقل الإلهي أو "LOGOS" وبيَّن أنه يوردها بغير المعنى المقصود منها في الولادة، فانه لم يخطر على بال يهودي أن العقل الإلهي يولد. فمعنى "البكر" في الفكر اليهودي الفلسفي إنما هو الاتصال بالله اتصالاً يستلزم سمواً على كل من سواه. هذا هو الكائن الذي ادخله الله "إلى المسكونة" أو إلى عالم البشر حينما "كلمنا بابنه".

"يقول" كلمة الله هذه ترينا لمحة من عمل لم يتم في المسكونة، بل في عالم الغيب عندما قال الله "لتسجد له جميع ملائكة الله" وكان طبيعياً أن يسجد عالم الملائكة لمن قيل عنه "البكر" أي الرفيع المتعالي في أمجاد السمائيات. ولكنه حين أدخل إلى المسكونة قد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد (كما قال الرسول بولس في رسالته إلى فيلبي ٢: ٧) "صائراً في شبه الناس" ومن ثمَّ يكون للبشرية بمثابة آدم الثاني.

"صار آدم الإنسان الأول نفساً حية والآخر روحاً محيية" و "والإنسان الأول من الأرض ترابي، الإنسان الثاني الرب من السماء " (١ كور ١٥: ٤٧).

لذلك صدر الأمر الإلهي أن ينال ذلك الذي اتخذ صورة الاتضاع هذه وعرَّض نفسه حتى الموت على أيدي الخطاة، خضوع العالم غير المنظور (ولتسجد له جميع ملائكة الله) وهذه الكلمات مقتبسة عن الترجمة اليونانية لسفر التثنية (٣٢: ٤٣). وهنا تحضرنا سبع آيات غامضة في القرآن (سورة ٢ آية ٣٤، ١٥: ٣٠، ١٧: ٦٣، ١٨: ٤٨، ٧: ١٠- ١٨ و٢٠: ١١٥، ٣٨: ٧١- ٧٩) وكذلك عدة من الأحاديث اليهودية، ذكر فيها أن الملائكة الله أمرت لأن تخر ساجدة لآدم. ولعلنا نرى هنا في هذه الرسالة تأويلاً لذلك المعنى الدفين في هذه الآيات الغامضة.

"أما عن الملائكة فيقول" كما قال في مزمور ١٠٤: ٤ "الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار" والآية هي بيت شعر من المزمور المذكور ومعناها أن الملائكة متحدة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مع القوات الطبيعية ومسخرة مثلها لأمر الابن. ومن ثمَّ تنفذ أمر الله سبحانه وتعالى، عاملة مع القوى الطبيعية في الكون. وقد حفلت الكتب اليهودية القديمة بالأفكار عن تعدد الملائكة وتنوعها. وقد ذهب بعضها إلى حد القول أنها "تتجدد كل صباح، وبعد أن تسبح الله تعود إلى مجاري النيران التي وفدت منها". أما الابن فسلطانه أبدي خالد كما نرى في الاقتباس التالي الذي يصف عمله، وقد اختير من مزمور صيغ ثناء على ملك عبري. ولكن اليهود لم يجدوا ملكاً من ملوكهم يستكمل فيه كلما حواه ذلك المزمور فاستخلصوا من هذا أن ساعرهم الضي كتب كان نبياً يومي إلى الملك المسيا الذي هو أعظم من كل ملك أرضي.

ومن ثمَّ يرى ذلك الكاتب العبري المسيحي أقوال المزمور القديم تستكمل في المسيح فيقول:

"وأما عن الابن فيقول أن عرشك يا الله" والنداء يشمل الابن أيضاً لأنه أحد أقانيم الذات. قارن هذا بما قاله التلميذ توما حين رأى سيده المقام وصرخ قائلاً: ربي وإلهي- (يوحنا ٢٠: ٢٨).

"إلى دهر الدهور" أما الملائكة فلا هي أزلية ولا عرش لها. أما أزلية عرش الابن فقائمة على شيء هو أسمى وأبقى من كل قوى الطبيعة، على ذلك البرّ الذي هو عنصر من طبيعة الله ذاته، كما يشرح الكاتب حين يتابع كلامه فيقول:

"وصولجان الاستقامة صولجان ملكك. وقد أحببت البر وأبغضت التعدي. لذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج" وليست الإشارة هنا إلى مسح ملك لإفرازه لوظيفة الملوكية كما جاء في قصة داود وسليمان، بل إلى مسح بالزيت المعطر علامة الابتهاج والمجد في عيد من الأعياد (انظر أشعياء ٦١: ٣).

"أكثر من شركائك" إذن هناك شركاء يشاطرون الملك المسيا في مسحة زيت الابتهاج هذه. فمن هم؟ يبين لنا تاريخ البشر الروحي أن أولئك هم الذين يشاطرون المسح في "محبته البرّ وبغضة الإثم". فإن تلك الأنفس تتألم كثيراً كما تألم المسيح ذاته، ولكنها تبلغ أيضاً ذرى الفرح الطاهر الذي يجهله الآخرون، ويمسحون مع ربّهم بزيت الابتهاج. وقد يكون ممكناً أيضاً أن كاتب الرسالة الذي يوازن بين الابن والملائكة فكَّر في الملائكة كشركاء في هذا الفرح النفسي الهائم، ورأى أن الابن الذي أقام ملكوته على محبة البرّ بآلامه على الصليب، قد جاز بسبب ذلك فرحاً أعمق جداً (انظر فصل ١٢ آية ٢ من هذه الرسالة) مما خبره أولئك الخدام السماويون.

(و) أداة العطف هذه في إثرها اقتباساً من الشعر الذي يتلوه الشعب العبراني في عبادته. وقد ورد (في مزمور ١٠٢: ٢٦ و٢٧) وهو أنشودة يلوذ بها إسرائيلي في منفاه،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إلى ربه ومولاه، الذي قطع عهداً مع شعبه. وقد رأى الإسرائيلي المتأخر الذي كتب رسالتنا هذه أن في المسيح، وأن لم تكن موجهة إليه مباشرة. والملك الذي تقوم مملكته الروحية على برّ الله ذاته لا يكلل فقط بالابتهاج، بل تبقى ملكوته خالدة بعد كل المخلوقات.

"أنت يا رب في البدء أسست الأرض. والسموات هي صنع يديك" لأن الابن أو "الكلمة" المتجسد هو خالق لا مخلوق لأنه "في البدء كان الكلمة... كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" إلى غير ذلك من الآيات الواردة في العهد الجديد.

"وهي ستزول وأنت تبقى. وكلها كثوب ستبلى. وكرداء تطويها فتتغير. ولكن أنت أنت. وسنوك لن تفنى" وذلك لأن حياة البر الإلهي تفضل كثيراً وجود الكون الطبيعي، بل تعلو فوق حياة الملائكة ذاتها كما يقول كاتبنا فيما يلي:

"وعمن من الملائكة قال قط" كما قال في مزمور ١١٠: ١ وهو مزمور تأمله الكاتب ملياً، يشير إليه المرة تلو الأخرى في سياق رسالته.

"اجلس عن يميني" كناية عن سمو المنزلة في السماء "حتى أضع أعدائك موطئ قدميك" فيكون "الابن" اذ ذاك ملك ملكوت الله المنتصر. أما الملائكة فيقول عنهم"أليسوا جميعهم أرواحاً خادمة" وههنا وجه الفرق بين الابن والملائكة على أتمه. فإن الابن هو المخدوم والملائكة هم أرواح خادمة.

"مرسلة للخدمة لأجل المزمعين أن يرثوا الخلاص" بوساطة الابن المخلص. ومن مأثور الأحاديث اليهودية أن الله، حين استنفد بني إسرائيل من مظالم فرعون وعبروا البحر الأحمر، ورأوا "جيوشاً تلي جيوشاً من الملائكة الخادمة". ومن ثمَّ تعلن لنا الرسالة عالم الملائكة عالماً يحفل بخدام الله السمائيين يخدمون المؤمنون لله وفي الله. وليس في هذه الرسالة ما يبرر تخرصات الكتّاب اليهود المتأخرين الذين قفا أثرهم كثيرون من المسيحيين فيما بعد، فوضعوا الملائكة في مكانة الشفعاء عن الناس والوسطاء في أدعيتهم. ولقد استأثرت هذه الفكرة بعقول بعض المسيحيين، حتى لنرى فريقاً منهم في عصر النبي محمد، ممن استوطنوا تخوم جزيرة العرب، قد ذهبوا إلى حدّ بعيد فكانوا يرفعون أدعيتهم عن طريق الملائكة، مما كاد يكون شبيهاً بالصلاة للملائكة أنفسهم. وليس في المسيحية الحقة شيء من هذا. ويرى كاتب رسالتنا هذه أن العلاقة بين الله والناس يصلها المسيح الذي لا وسيط سواه، وأن تكن السماء حافلة بربوات من الملائكة. وما هؤلاء إلا خدام، ومهما سمت وتقدست طبائعهم، فإنهم خدام المؤمنون في خلاص الله، وان يكن أولئك المؤمنون ضعفاء مجاهدين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لذلك" أي بسبب ما تبين لنا في الشطر الأول من الرسالة عن سلطان ذلك الذي جاء إلينا برسالة الله، بل من هو نفسه رسالة الله ووحيه "يجب أن ننتبه" والضمير في الفعل قوي النبرات في الأصل اليوناني، كأنه يقول "يجب أن ننتبه نحن المسيحيين، أنا الذي اكتب لكم وأنتم الذين تقرأون" "بالأكثر" إلى أبعد حدود الانتباه "إلى ما سمعناه" وهذا تعبير عام يقصد به الكاتب الرسالة التي كلمنا بها الله في ابنه (ص ١: ١). ويتبين لنا من الآيات التالية أنها تشتمل على الرسالة المعلنة في حياة يسوع على الأرض وأقواله، وكذا إيصال هذه الرسالة عن طريق رسل إلهية إلى الكاتب وقرائه.

"لئلا نسقط عنه" وكلمة "نسقط" في الأصيل اليوناني هي من قبيل الاستعارة ومعناها الحرفي اندفاع القارب أو ابتعاده بسبب تقاذف الأمواج أو بسبب دفع التيار.

ومن ثمَّ قد يحمل المسيحيون (في ذلك أو هذا العصر) بتيارات العالم الجارفة ويبتعدون عن مرساة الخلاص الممكنة في المسيح. ومن هذا المعنى الأصلي تطور معنى الفعل في القرن الأول فصار "يخطئ" أو "يسقط" (وهي ترجمة تتفق تماماً مع النص السرياني). وقد استعمله أوريجانوس لينعت به المسيحيين الذي نبذوا أو حادوا عن ممارستهم الدينية بفعل مؤثرات العالم في نفوسهم (وهو لا شك يفكر هنا في مواطني الإسكندرية الوثنيين أو أشباه الوثنيين، الأغنياء المتهاملين).

"لأنه إن كانت الكلمة التي نطق بها على ألسنة الملائكة" أي بواسطة الأنبياء الذين كان ينزل عليهم الوحي بطريق الملائكة. وفوق كل شيء فان القراء العبرانيين يفكرون دوماً في هبة الله, في الشريعة المعطاة لهم فوق جبل سيناء. وبالتأمل في تثنية ٢:٣٣ ومزامير ١٧:٦٨ أدرك أحبار اليهود وجود الجند السمائي فوق الجبل المقدس المشتعل بالنار واستنتجوا من هذا أن لذلك الجند يداً في نزول الشريعة (انظر غلاطية ١٩:٣ وأعمال ٥٣:٣٨) ومن ثم نرى أولئك العبرانيين المسيحيين قد عرفوا منذ الطفولة أن منحة الشريعة المقدسة المعطاة من الله كانت دائماً موضع اهتمام القوى المقدسة غير المنظورة في العالم السمائي. فلا عجب إذاً أن يقال عن هذه الشريعة "قد ثبتت" ودليل ثباتها وصلاحيتها وصدقها مستمد من تاريخ الأمة التي انزل الله عليها هذه الشريعة, وذلك لان كل زيغان عن تلك الشريعة لم ينجم عنه إلاَّ البلايا والمصائب تحقيق بالأمة, كما يقول الكاتب فيما يلي:

"وكل تعدّ ومعصية قد نالا جزاء عادلاً" والكلمة المترجمة عنها "جزاء" لم ترد في العهد الجديد, إلا في الرسالة إلى العبرانيين. وهي تبرز فكرة المجازاة الدقيقة للخير أو الشر, لا فكرة الجزاء أو العقوبة كوفاء عادل لا مناص منه, كما هو الحال مثلاً مع الجشع النهم حين يتألم ويشكو جزاء نهمه وجشعه, وغيره الكابح لجماحه المسيطر على إرادته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حين ينعم بالصحة والعافية جزاء اعتداله وضبطه لنفسه. ولنا في ترويض بني إسرائيل في البرية (انظر خصوصاً سفري الخروج والعدد) المثال النموذجي لهذا النوع من الجزاء، ولكن تاريخ العهد القديم كله يهيئ لنا وفرة من هذه النماذج, ويبين لنا بالحوادث التاريخية أن الشريعة المعطاة فوق جبل سيناء"قد ثبتت" وان الذين عاشوا في القديم لم يفلتوا من الجزاء العادل نظير إهمالهم إياها.

فإذا كانت "الكلمة التي نطق بها على ألسنة ملائكة" هي شريعة موسى, فان "الكلمة التي نطق بها في الابن" لم تكن توعه من الشريعة بل خلاصاً عظيماً. وعظمة ذلك الخلاص بنسبة عظمة ذلك المخلص.

فالشريعة تفرض على الإنسان الطاعة والخنوع, ولكن تقدمة الخلاص المسيح تطمع في الثقة والامتنان والولاء من أناس يحسون أن طاعتهم لم تكن كاملة. ومما هو جدير بالمراعاة أن كاتب الرسالة لم يرَ ضرورة أن يشرح لقرائه المعنى المسيحي الخاص المقصود من كلمة "الخلاص" التي لم يكن لها معنى في اليونانية أكثر من مجرد "الأمان" كإنسان ينجو من سفينة مرتطمة ويبلغ شاطئ السلامة. ومن ثمَّ نرى كاتب الرسالة في ذلك التاريخ المتقدم يفترض جدلاً أن قراءه يعرفون قصده حين يقول"خلاصاً عظيماً كهذا"، وذلك لان المعنى المسيحي للخلاص جزء من اختبار أعضاء الجماعة المسيحية. وهو ما يزال منطو على الفكرة القديمة الدائرة حول السلامة (الروحية) ولكنه يحمل معه أيضاً فكرة أكمل وأخصب عن غفران الهي, لا من الخطايا فقط, بل غفران للشخص الخاطئ, الذي يتصل بعد هذا الغفران مع ربّه بعلاقة مطهرة محيية, فيصير سليماً في الروح، أو كما يقول علماء النفس الحديثون "تنسجم شخصيته"

"خلاصاً بدا الرب بالتكلم به" لأن "الكلمة المتجسدة" كان يكلم الناس رأساً بكلماته وآياته, ثم بآلامه وموته وقيامته, في أثناء بعثته الأرضية.

"ثم قرره" وإذا كانت شريعة سيناء قد تثبتت، فأن رسالة الخلاص بالابن قد تثبتت أيضاً، من الناس الذين سمعوا يسوع فعلاً واختبروا هذا الخلاص بوساطته، ومن الله الذي أيدهم وألهمهم في رسالتهم. وفي مكنة الكاتب أن يلجأ للاستعانة باختباره واختبار قرائه لهذه الحقائق فيقول بصيغة المتكلم:

"لنا الذين سمعوه" نحن الذين لم نشاهد المسيح بالعين الجسدية بل سمعنا عنه من شهود العين. وهذه الآية من الأهمية بمكان لأنها توضح لنا صريحاً أن الرسالة كتبت في زمن الرسل وهم "الصحابة" في المسيحية. وربما كان الكاتب معاصراً للمسيح إلا أنه لم يشاهده. ولعله اهتدى على يد الرسل الذين شاهدوا السيد عياناً "وقد شهد له الله" مهيمناً على صحة شهادة الحواريين "بآيات وعجائب وقوات متنوعة" التي أجراها الله على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أيديهم. وتلك الآيات الخارجية التي لم تحدث بفضل قوتهم كما أثبتوا ذلك صراحة (أع ٣:١٢) قد اقترنت بقوة داخلية موفورة الخير جاء وصفها في الآية التالية، فكانت أعمالهم الخارجية قاهرة عظيمة لا نفوسهم الداخلية جاشت بقوى عظيمة:

"ومنح الروح القدس" التي كانت تسبغ على الكنيسة بكثرة في ذلك الزمن. راجع سفر الأعمال كله و١كورنثوس ١٢ "حسب مشيئته" فثبت بذلك أن الله كان مهيمناً على كرازة الرسل وأقوالهم. وملخصها أن المسيح ولد وعاش ومات وقام وصعد ليخلصنا من خطايانا إلى الأبد ويجعلنا شعبه الخاص.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الابن الذي صار أخاً لنا بفضل أفعاله هذه

وبعد أن تكلم الكاتب عن "الخلاص" الذي شهد له الصحابة وأمة المسيحيين، ينتقل إلى الابن الزعيم والرئيس الذي علي يديه كمل هذا الإخلاص. ويبدأ من موضعه السابق في المقارنة بين الابن والملائكة، ثم يقتبس عن مزمور يشير إلى المصير الرفيع الذي أعدّه الله للإنسان. ولكنه يجد نفسه وجهاً لوجه أمام هذه المقارنة الصارخة بين هذا المصير الرفيع وبين الذلة المهينة والآلام التي عاناها الابن في حياته الأرضية. وهو الآن يكتب إلى المسيحيين الذين قد يُستهزأ بهم لإتباعهم رباً قضى كمجرم، ولذلك شعر من واجبه أن يعينهم على مواجهة حقيقة هذه المذلة، فيدركوا شيئاً من معناها.

"فأنه ليس للملائكة" اللام في "الملائكة" للجنس. فيكون المعنى "فأنه ليس لجنس الكائنات التي لها طبيعة ملكية" وتكميل المعنى يستدل من القرينة وهو "بل كائنات لها طبيعة بشرية".

"أخضع المسكونة الآتية" وفي بعض الترجمات "العالم الآتي" وكانت هذه العبارة مألوفة لدى المسيحيين العبرانيين. وجرت على الألسن اليهودية لمعنى "ملك المسيا" أي نظام الأشياء المزمع إقامته على الأرض كتدبير الله النهائي وسلطان القداسة والعدل والفرح بسبب المسيا. وأما لدى المسيحي العبراني فمعناها نظام الأشياء الجديد الذي يتحقق فيه كاملاً ذلك "الخلاص" الذي تكلمت عنه الرسالة، والذي بدأت تنساب منه المؤثرات في حياة المسيحيين (آية ٢ و٣).

"التي نتكلم عنها" وصيغة الجمع هنا إنشائية، ويمكن ترجمة العبارة "التي أتكلم عنها في هذه الرسالة".

"لكن شهد أحدهم في موضع" والاقتباس مأخوذ عن الترجمة اليونانية للمزمور الثامن "ما هو الإنسان حتى تذكره وإبن الإنسان حتى تفتقده" ويقول حديث يهودي أن هذه الكلمات قالها الملائكة لله عزّ جلاله حينما صعد موسى إلى جبل سيناء لتناول الشريعة. ومنطوق العبارة حسب الحديث: "يا رب العالمين: أتعطي لحماً ودماً هذا الذخر الثمين الذي احتفظت به ٩٧٤ جيلاً". وإلى هنا تشير العبارة إلى حالة الإنسان الساقطة. ولكنها تنتقل بعد ذلك إلى حالة أرقى وبعد أن يكون الإنسان "أقل من الملائكة" يصعد إلى إلى مرتبة السلطان التي لم يدانهِ فيها ملائكة السماء.

"وضعته قليلاً" يجوز أن تكون لفظة "قليلاً" ظرف زمان فيكون المعنى "وضعته زمناً قليلاً". ويجوز أيضاً أن تكون نائب مفعول مطلق بمعنى "وضعته وضعاً قليلاً" " عن الملائكة" الذين كانوا واسطة إلهام الأنبياء والوحي إليهم، فكان يزعم أنه أرفع من البشر

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"بمجد وكرامة كللته" والكلمة في اليونانية تعني تاج الفوز والنصر "وسلطته على أعمال يديك" أن إيراد الكلام هنا بصيغة الماضي ليس دليلاً على وقوع الفعل بل على إرادة الله تعالى. فكأنه يقول "أردت يا الله أن تكلل الإنسان بمجد وكرامة وتسلته على أعمال يديك". ويتضح ذلك بالأكثر من الآية التالية "أخضعت كل شيء تحت قدميه" وهو تكميل الآية المقتبسة من العهد القديم "فبإخضاعه له الكل لم يترك شيئاً غير خاضع له" مما في السماء أو على الأرض وضمنها المسكونة الآتية أو العالم الآتي، وهو نظام العالم الجديد للبرّ، الذي كان يترقبه اليهود بمجيء المسيا.

"على أننا الآن نرى الكل مخضعاً له" أي للإنسان "بعد" كما هو المأمول أن يكون يوماً ما. لأننا الآن نرى أن إطلاق الإنسان من القيود المادية والألم والخطية والموت غير كامل بعد فهل يحنث الله بمواعيده؟ حاشا وكلا! نعم أننا لا نرى الإنسان اليوم متفوقاً في الملك والملكوت ولكن ثمة شيئاً نراه. ذلك إنّا نرى واحداً تنطبق عليه صورة الإنسان المرسومة في المزمور المقتبس، واحداً جعل نفسه أخاً وممثلاً لكل بني الإنسان.

"وأما مَن وُضع قليلاً عن الملائكة" وأن يكن يطبعه أسمى منهم بل أسمى من كل ما في الكائنات (أنظر فيلبي ٢:٦- ٧) وهو "يسوع" وهنا أول موضع في رسالتنا دعي فيه الابن بلفظ "يسوع" وقد سمي قبلاً "الابن" و "الكلمة" و "الرب" و "بهاء الله" و "صورته" الخ.

ويستعمل الكاتب- وهو في صدد التكلم عن الذلة الاختيارية التي قبلها الابن على نفسه ليكون أخاً للإنسان، مثلنا "أقل من الملائكة" – الاسم البشري الذي أطلقته أم يسوع على ولدها وهو طفل، والذي كتبه أخيراً الوالي الروماني على عنوان الصليب. ويرى في يسوع هذا اكتمال ذلك المصير الأسمى الذي تنبأ به صاحب ألزبور عن الإنسان: ولذا يقول "فأننا ننظره مكللاً بالمجد والكرامة" وهذه الرؤية تمحو الأثر السيئ الناشئ عن رؤية الإنسان بالحالة السابقة أي بحالة العبودية. فإذا كان نائب البشر الذي هو إنسان تام قد أعطي تاج السلطة والظفر فذلك رمز صادق إلى ظفر الإنسان نفسه إتماماً للوعد الوارد في المزمور الثامن. والتكليل المشار إليه لم يعقب الموت فقط بل كان "بسبب ألم الموت" (راجع أيضاً فيلبي ٢:٦- ١٠) وهو يتفق كل الإتفاق مع ما جاء في الآيات التي نحن بصددها إذ يقول: "أطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسما فوق كل اسم. لكي تجثوا بإسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ونت تحت الأرض" لاحظ قوله "لذلك رفّعه الله" وهو نفس ما يقوله كاتب الرسالة إلى العبرانيين.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه كانت خطة الله "أي لأن يذوق الموت عن كل واحد" وتحتوي هذه الألفاظ على ملخص مهمة المسيح التي جاء إلى الأرض من أجلها. والعبارة "يذوق الموت" غير مألوفة كثيراً في اللغة اليونانية، وقد أراد الكاتب بها أكثر من مجرد "الموت" لأنها تنطوي على "الموت في حالة الوعي والإدراك، واختبار الموت في أتم معنى". وقد قال أحدهم: "حين أفكر في يسوع وهو يذوق الموت، يخيل إليَّ أنه هو وحده الذي تذوق الموت حقاً" لأنه لم يتذوق موت الجسد فقط، ولكنه وهو بلا خطية قدَّم ذاته ليتذوق موت الأفصال الذي هو نتيجة الخطية، وقد فعل هذا لأجل القوم الخاطئين.

فكل فرد من أفراد البشر له حق الإشتراك بالميزة التي جاء المسيح من أجلها وذلك بمحض اعترافه بالمسيح نائباً عنه بإيمان الحي. وقد تم ذلك "بنعمة الله" أي بإرادته المقدسة المشفوعة بالحب. وإذ رأى كاتب الرسالة يومئذ أن قرائه يستصعبون الإعتراف بتلك الحقيقة علق عليها جملة تعليلية وهي قوله "لأنه كان يليق" أي أنه لم يكن أمراً شائناً ولا حائطاً من مجد ذلك الإله "الذي له" أي لمجده "وبه" أي بإرادته وقدرته "كان كل شيء" في الخليقة من حكم وسلطة "وهو آت بأبناء كثيرين إلى المجد" الأمر الذي اقتدى إعلان صفاته إعلاناً تاماً وإكمال الوعد الذي قرأنا عنه في المزمور الثامن من المصير الرفيع الذي أعدَّه الله للإنسان "أن يجعل قائد خلاصهم" يسوع المسيح. وقد دعاه قائد خلاصهم لأن به تم خلاص البشر قاطبة.

والكلمة المترجمة "قائد" مثل الكلمة "شيخ" في العربية تحمل معاني كثيرة. والظاهر أن الكاتب يستعملها بمعنى "مقدام أو ممهّد الطريق" للآخرين ليقفوا خطاه، كما يفعل المكتشف في إفريقيا الوسطى حين يشق الطريق في الغابات والحراج أو كما يفعل قائد الجند في حملة هجومية. ويؤثر عن جندي حكم عليه بالموت لأجل المسيح سنة ٢٩٥ ب. م. أنه قال لقاضته ألفاظاً تعيد إلى الذهن معنى هذه العبارة: "هو الذي نخدمه نحن المسيحيين، والذي نتبعه، رئيس حياتنا، وقائد (أو ممهّد) خلاصنا" وقصد الكاتب هو أن قرائه أن الذي قام بمثل تلك المهمة العظيمة كان يليق به أن يُجعل "كاملاً بالآلام" ليس كاملاً بالاعتبار الأدبي بل باعتبار كفاءته للقيادة وهذه "الآلام" قد أعثرت الكثيرين إذ صعب عليهم إدراكها. فالعبرانيون الذين خاطبهم كاتب الرسالة كانوا دائماً يعترضون بقولهم "لماذا بلغ زعيمنا تلك الدرجة من الحقارة" وكان اليهود ولا يزالون يقولون "حاشا للملك المسيا أن يعامل بمثل تلك المعاملة، ولذلك لا يمكن أن يكون ذلك الناصري المسيا". وكثيرون يرتكبون اليوم نفس الخطأ بطريقة أخرى فيقولون "حاشا الله أن يموت أعظم الأنبياء موت العار. فالناصري الذي كان المسيا لم يمت بهذا الأسلوب" فكاتب الرسالة إلى العبرانيين قد أزال هذه الإشكالات جميعها باستعماله لفظة "قائد" لأن كل جندي يعلم أن القائد هو أول من يتعرض للأخطار في الحرب فيعاني ما يعانيه كل فرد من أفراد فرقته

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

من ألم وخطر وعناء. وقد توسع كاتب الرسالة في هذه الحقيقة البسيطة السامية معاً فقال "لأن المقدِّس" بكسر الدال أي القائد المنوط به تقديس الأمة "والمقدَّسين" بفتح الدال أي البشر الذين جاء ليخلصهم ويقدسهم. والتقديس في عرف المسيحيين العبرانيين كان مقترناً بخيمة الإجتماع اليهودية أو بالهيكل في أورشليم. إذ كان لزاماً على البيت ذاته، وكل وعاء أو إناء فيه، وكل كاهن من خدامه، أن يأخذ حظّه الخاص من هذا التقديس. ليكون مفرزاً عن الإستعمال العادي أو العمل لخدمة الله- كان هذا المعنى الأول المقصود من التقديس في نظر كل من نشأ نشأة يهودية. ومن هذا المعنى تطور معنى آخر أعمق وأوسع، هو تقديس الروح، تقديس لا يفعله إلا الله ذاته (أنظر مثلاً حذقيال ٢٠:١٢ "أنا الرب مقدسهم" أو صفنيا ١:٧ "الرب قدس مدعوّيه" ولم يتردد الكاتب في أن يعزو إلى المسيح الإمتياز الإلهي لتقديس أنفس البشر.

٢: ١١- ١٨	
١١لأَنَّ الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهَذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، ١٢قَائِلاً: «أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ». ١٣وَأَيْضاً: «أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ». وَأَيْضاً: «هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ». ١٤فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، ١٥وَيُعْتِقَ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ. ١٦لأَنَّهُ حَقّاً لَيْسَ يُمْسِكُ الْمَلاَئِكَةَ، بَلْ يُمْسِكُ نَسْلَ إِبْرَاهِيمَ. ١٧مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشْبِهَ إِخْوَتَهُ فِي كُلِّ	لأن المقدس والمقدسين كلهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم أخوة قائلاً: «أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ». وَأَيْضاً: «أَنَا أَكُونُ مُتَوَكِّلاً عَلَيْهِ». وَأَيْضاً: «هَا أَنَا وَالأَوْلاَدُ الَّذِينَ أَعْطَانِيهِمِ اللهُ». فإذا قد اشترك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضاً بمثل ذلك، فيها لكي يبطل الموت من كان له سلطان الموت أي الشيطان ويعتق كل الذين كانوا مدة حياتهم أسرى للعبودية خوفاً من الموت ولا شك أنه لا يحاول إنهاض ملائكة بل يحاول إنهاض نسل إبراهيم. فمن ثم كان ينبغي أن يصير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيماً، وَرَئِيسَ كَهَنَةٍ أَمِيناً فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكَفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ. ١٨لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّباً يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ.	شبيهاً بالأخوة في كل شيء ليكون رئيس كهنة رحيماً أميناً فيما لله حتى يكفر خطايا الشعب لأنه إذ قد ابتلى فيما تألم منه فهو يقدر أن يسعف المبتلين.

"كلهم من واحد" إذ واضح أن المتأنس هو أحد الناس، فالجميع إذاً من أصل واحد أي الله. والابن هو من الله في صفته الأزلية والناس عم من الله بالخليقة "فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم إخوة" أي أنهم ليسوا أتباعاً فقط بل إخوة. فإن كانوا متحدين هكذا فهم يعانون جميع الآلام والأخطار معاً، وقد أوضح الكاتب هذا فيما يلي، إلا أنه عزز أولاً مقاله بخصوص وحدتهم باقتباسات من التوراة حيث يشهد "الابن" كلمة الله بفم النبي "قائلاً أخبر باسمك إخوتي" الذين أصبحت معهم واحداً "وفي وسط الكنيسة أسبحك" والإقتباس هو من المزمور ٢٢:٢٢ (الترجمة اليونانية السبعينية) وهو مزمور قد اتخذه المسيح لنفسه بنوع خاص، إذ اقتبس منه وهو معلق على الصليب. فلم يكن أحد من العبرانيين المسيحيين يقرأ المزمور إلا ويطبق كلماته على آلام ربّه الذي مات لأجله. والآية المقتبسة هنا مقتطفة من خاتمة المزمور التي تجيش بالرضى والأنتصار، وقد بدأ المزمور بنغمات أسيفة من الوحشة المريعة.

"وأيضاً. أنا أكون متكلاً عليه" كأحد إخوتي والإقتباس من أشعياء ١٧:٨ (يوناني) وهي تبين كيف أن زعامة قائدنا تصدر عن كونه قد خبر بنفسه ما في الثقة والإستسلام للإيمان من معانٍ وقوة. ففيه قد تجسمت كاملة كل معاني الثقة المطمئنة ومواقف الجنان الثابت الممكن، على حد قول بن يعقوب الصوصي عن إنسان "لا يشهد في العطاء إلاَّ يده، أي يد الله، ولا يرى في المنع إلا حكمته أي حكمة الله".

"وأيضاً هاءنذا والأولاد الذين اعطانيهم الله" آية مقتبسة من أشعياء ١٨:٨ ومعنى الأولاد هنا الأتباع أو التلاميذ. وكثيراً ما يخاطب القواد الشرقيون رجالهم بلفظة "أولاد" أو "إخوة". وإذ قد تقررت وحدة المسيح ورجاله عقلاً ونقلاً ختم الكاتب ذلك بقوله "فإذ قد اشترك الأولاد" أي إخوته وأتباعه "في اللحم والدم" أي في جميع الطبائع البشرية وما يترتب عليها من آلام وموت "اشترك هو أيضاً بمثل ذلك" تماماً "فيها" أي في اللحم والدم راضياً بكل ما يترتب على ذلك الاشتراك. فهو لم يصر إنساناً فقط بل قبل كل ما يترتب على تأنسه من النتائج الصعبة. وكل ذلك "لكي يبطل بالموت" الذي هو أشر المصائب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأفدحها بل منتهى بلايا الإنسان "من كان له سلطان الموت أي الشيطان" الذي حارب المسيح وجهاً لوجه على الأرض "ويعتق" بنصرته التامة على ملك الموت "كل الذين كانوا مدة حياتهم أسرى للعبودية" بدلاً من أن يكون كل شيء خاضعاً لهم كما وُعد بذلك في المزمور الثامن.

"خوفاً من الموت" وعلى الرغم من بسالة الأبطال الأفراد في معارك القتال، فأن الخوف من الموت كان سائداً في الإمبراطورية الرومانية التي أرسلت في ربوعها هذه الرسالة. وبعد زمن كتابة هذه الرسالة بسنوات قلال، أنبرى الفيلسوف سينكا رائد الإمبراطور نيرون وكتب في رسائله كثيراً من النصائح عن الخوف والموت. وقد سلم في أقواله أن هذا الخوف يستحكم في الحياة البشرية بشكل غريب (كما تقول رسالتنا "الذين كانوا مدة حياتهم أسرى للعبودية خوفاً من الموت")، واعترف الفيلسوف أنك لو أخذت أي إنسان، شاباً كان أم كهلاً أم شيخاً "لوجدتهم يخافون الموت جميعاً" (رسالة سينكا ١٤:٢٢). وأقوى تعزية قدمها للناس أن "الموت هو آخر الشرور التي يلقاها الإنسان". هذا هو موقف فيلسوف وثني متنور، ولكن الذين أرسلت إليهم رسالتنا عرفوا أكثر منه، لأنهم نشأوا في أحضان الديانة اليهودية وتوقعوا دينونة بعد الموت، فكان خوف الموت أمراً مريعاً مرعباً في نظرهم. وذلك لأن أشد مخاوف الموت هو تبكيت الضمير. وهذا التبكيت هو ما جاء المسيح ليزيله ويقدس صاحب الضمير. وهنا فصل الخطاب. إلا أن الكاتب أردف كلامه بملحق ليبين أن الوحدة بين الإنسان والمتأنس لم تنشأ قط بين المتأنس والملائكة "ولا شك" الكلام تمهيد لبرهان آخر لا ينتظر الاعتراض عليه من قبل الذين خاطبهم "أنه لا يحاول إنهاض ملائكة" والعبارة اليونانية هي أنه "لا يمسك بالملائكة" والمقصود من الإمساك هو المساعدة والإنقاذ. ولما ل يكن في اللغة العربية كلمة تدل على المعنى المقصود اضطر المترجم أن يعبر عنها بقوله "يحاول إنهاض الملائكة" لأن كلمة "يمسك" وحدها لا تدل على المعنى المقصود. "بل يحاول إنهاض نسل إبرهيم" أي البشر دون الملائكة لأن جميع الناس قد يكونون أولاداً لإبرهيم بالإيمان (متى ٣:٩ ورومية ٤:١١ و١٢و١٦). والذي يحاول المسيح إنهاضهم لهم خاصية روحية (إيمان) إذ يرون سلفهم الروحي إنساناً قبل دعوة شخصية من الله ودعي "أبا المؤمنين" (حيث جعل إبرهيم أباً لجميع الناس أي المؤمنين).

هذا وأن تأنس الكلمة واتخاذه شكل بشر جعل البشر أسمى من الملائكة إمكانياً. وغرض كاتب الرسالة هو ذا: "إذا كان كلا الإنسان والمتأنس أفضل من الملائكة فلماذا تتمسكون بالنظام القديم الذي كان فيه للملائكة القدح المعلى بسبب ألقاهم الوصية على الأنبياء؟ أن دور الملائكة قد أنقضى وجاء الآن دور "الابن" فهو أولى بالأتباع والإعتماد" "فمن ثم" معيداً الكلام عن البرهان كله وليس عن الآية السابقة فقط "كان ينبغي أن يصير

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شبيهاً بالإخوة" أو الأولاد أو الأتباع، لأنه حاول إنهاضهم، والذي يحاول الإنهاض، حرّى به أن يعطف على من ينهضهم. والذي يعين في التجارب يجب أن يفهم شدتها وقوتها. لذلك "ينبغي" أن يكون المخلص شبيهاً بإخوته "في كل شيء" ما عدا الءخطية. (راجع ص ١٥:٤) إلا أنه صار شبيهاً بهم في احتمال الآلام والأحزان والتجارب والاضطهادات من أجل البر والاستشهاد في سبيل الحق.

"ليكون رئيس كهنة رحيماً أميناً فيما لله" وهذا تمهيد لتعاليم جديدة سيتوسع فيها الكاتب فيما بعد. فالقائد هو إمام. والإمام هو رئيس أحبار أي رئيس كهنة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقارنة بين الابن ورئيس كهنة اليهود

صوّر في خيالاتك الذين كتبت لهم هذه الرسالة حين يسمعون القارئ يقول "رئيس كهنة" وقد كان لهذه الكلمة شأن كبير في نفس كل ناشئ في دين إسرائيل. فأنه بعد انقضاء عصر ملوك بيت داود، تركزت كل أفكار الأمة في هيكلها بأورشليم، وكان رئيس الكهنة في نظر الشعب ممثل الأمة- ومثلهم مثل الأرمن في هذا العصر الذين وهم بلا عرش ويعيشون مبعثرين تحت حكومات مختلفة، يشعرون أن الكنيسة الوطنية وبطريك "اتشميادزين" مركز حياة الشعب. وربما يكون قد سمع القراء الأولون لهذه الرسالة أن هيكلهم قد تحزب وأن رئيس كهنتهم قد ذبح. وإذا كانوا قد تلقوا الرسالة قبل خراب أورشليم، فربما كانوا يشعرون بالأسى لأن إتّباعهم المسيح قد قطع وشائج الإتصال بأبناء جلدتهم وإخوانهم الذين لم يعودوا يقبلونهم في عبادتهم التي تركزت في رئيس الكهنة رمزها القائم. ثم تقرأ عليهم الرسالة فتشرق عليهم بفكرة جديدة ويرون أن يسوع نفسه هو رئيس كهنتهم يصنع بهم ما يصنعه رؤساء الكهنة للشعب!

وكان رؤساء الكهنة ينوبون عن الله لدى الشعب وعن الشعب لدى الله وباعتبار هذه الوظيفة كان رئيس الكهنة يقدم الضحايا ويشفع في الناس "حتى يكفر خطايا الشعب" ليس بدم حيوان لا قيمة له بل بأثمن دم في الكائنات إلا وهو دم نفسه.

وستعود الرسالة مرة أخرى إلى موضوع الكاهن وذبائحه، ولكن الكاتب يذكر هنا كلمة أخرى عن قوة المسيح في إنهاض إخوته وقد قلنا أنه أصبح شبيهاً بإخوته "لأنه إذ قد ابتلي فيما تألم منه"كانت آلامه ناشئة عن بلايا وتجارب مستمرة.

تألم خصوصاً في التجارب التي داهمته موعزة إياه أن يستخدم قوته لاجتناب الآلام التي أدت إلى الصليب،التجارب التي تنشأ حينما تتعارض إرادة الله مع الميول الطبيعية لاجتناب الألم. ومثل هذه التجربة ليست خطية،ويؤثر عن احد العلماء قوله :"كان المسيح معرضا"للتجربة تقترن دائما بغريزة تكون في بادئ الأمر سائغة أديباً أو مسموحا" بها. فالدافع في حدّ ذاته سائغ لا غبار عليه،هو دافع الإبقاء على الذات, الذي حدا بالمسيح إلى أن يرغب في تجنب آلام الصليب. وكان هذا الموقف تجربة لأن الرغبة الطبيعية تعارضت مع واجبه في قبول الدعوة ليكون للبشرية مخلصا. لكن المسيح لن يرضخ لهذه التجربة، فأنكر غريزة حفظ الذات على نفسه وبذل حياته حتى الموت ونتعلم من مثال المسيح، ومن الذين ساروا على نهجه أن التجارب ليست خطراً فقط بل قد تكون مصدر قوة أيضاً إلا أنها مؤلمة في كل حال (فهو) أي هذا الذي ابتلي وجرب (يقدر أن يسعف المبتلين) أي نحن المصابين ببلايا وتجارب بعضها ناشئ عن أحوالنا وبعضها عن طبائعنا الساقطة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وفي وسعنا أن نلجئ إليه في ثقة مطمئنة لأنه قد تجرّب وانتصر . ومن رضخ للتجربة لا يعرف قوتها الكاملة ،والذي يسقط يخضع في أول صراع. أما ذاك الذي لم يسقط قد أحس قوة المجرب كاملة، ويستطيع أن يقدّر ما نحن معرضون له من صعاب .وقد كتبت هذه الأقوال لرجال ونساء كانت الحياة قاسية جهمة أمامهم، فتألموا كثيراً بسبب إيمانهم وكادت تنهكهم تلك الآلام (انظر ص ٣:١٢). فيصرخ الكاتب قائلاً: "تشجعوا وثابروا! فيسوع يفهم ويعرف عناء تحمل الآلام دون الانحراف عن إرادة الله!" ومن ذلك اليوم حتى الآن ثبتت لنا قدرته على "إسعاف المبتلين".

(من ثم) أي بعد أن أثبتنا أفضلية المسيح المطلقة (أيها الإخوة القديسون) وهنا ينهج الكاتب نهج سيده (انظر ص ٢:١١) في تسمية ذلكم النفر من تلاميذه "إخوة" وبعد ذلك يدعو الفريق الصغير من الإخوة الذي يكتب لهم رسالته"مقدَّسين" ذلك لأنه على الرغم من صعابهم وتجاربهم يؤمن أنهم زمرة الذين يقدسون المقدس (انظر ص ٢:٢١ مرة أخرى)

"الشركاء في الدعوة السموية" والدعوة المسيحية سماوية، لا لأنها دعوة من السماء للإنسان وحسب (ولو أن هذا حق لا شية فيه) ولكن لأنها أيضاً دعوة لحياة تكمل في السماء، وتبدأ هنا في ميدان الروح.

٣: ١- ١٠	
١مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، ٢حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ. ٣فَإِنَّ هَذَا قَدْ حُسِبَ أَهْلاً لِمَجْدٍ أَكْثَرَ مِنْ مُوسَى، بِمِقْدَارِ مَا لِبَانِي الْبَيْتِ مِنْ كَرَامَةٍ أَكْثَرَ مِنَ الْبَيْتِ. ٤لأَنَّ كُلَّ بَيْتٍ يَبْنِيهِ إِنْسَانٌ مَا، وَلَكِنَّ بَانِيَ الْكُلِّ هُوَ اللهُ. ٥وَمُوسَى كَانَ أَمِيناً فِي كُلِّ بَيْتِهِ كَخَادِمٍ،	مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، الشُرَكَاء في الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ تأملوا من هو في اعترافنا الرسول ورئيس الكهنة- أي المسيح يسوع وهو أمين لمن أقامه كما كان موسى أيضاً في جميع بيته فإن هذا قد حسب أهلاً لمجد أكثر من مجد موسى بمقدار ما لباني البيت كرامة أكثر من البيت لأن كل بيت يبنيه بان. وباني الكل هو الله. وأما موسى فقد كان أميناً في جميع بيته كخادم شهادة لما كان سيقال. وأما المسيح فكان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

شَهَادَةً لِلْعَتِيدِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِهِ. ٦وَأَمَّا الْمَسِيحُ فَكَابْنٍ عَلَى بَيْتِهِ. وَبَيْتُهُ نَحْنُ إِنْ تَمَسَّكْنَا بِثِقَةِ الرَّجَاءِ وَافْتِخَارِهِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ. ٧لِذَلِكَ كَمَا يَقُولُ الرُّوحُ الْقُدُسُ: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ ٨فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ ٩حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ. اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. ١٠لِذَلِكَ مَقَتُّ ذَلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ إِنَّهُمْ دَائِماً يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي	أميناً كابن على بيته ونحن بيته إن تمسكنا بالثقة وفخر الرجاء ثابتاً حتى المنتهى. لذلك كما يقول الروح القدس: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ، يَوْمَ التَّجْرِبَةِ فِي الْقَفْرِ حَيْثُ جَرَّبَنِي آبَاؤُكُمُ. اخْتَبَرُونِي وَأَبْصَرُوا أَعْمَالِي أَرْبَعِينَ سَنَةً. لِذَلِكَ مَقَتُّ ذَلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ إِنَّهُمْ دَائِماً يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي

"تأملوا" وجهوا إلتفاتكم إلي "من هو في اعترافنا الرسول ورئيس الكهنة" اللام للدلالة على الامتياز والتفرد وقد جمع الكاتب بين وظيفتي النبي والكاهن (أي الرسالة والشفاعة) وأوضح أن المسيح متفوق في كلتيهما على من سواه "وهو أمين لمن أقامه" رسولاً ووسيطاً أي للآب السموي "كما كان موسى أيضاً" أميناً "في جميع بيته" والإشارة هنا إلى ما جاء في سفر العدد ١٢:٧ حيث ورد قوله "وأما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كل شيء" أي في كل ما عهدت به إليه. وعلى كل فأن الكاتب أوضح لنا السبب الذي من أجله طلب إلينا أن نوجه أنظارنا إلى المسيح وهو قوله: "فأن هذا" أي يسوع المسيح المشار إليه "قد حسب أهلاً لمجد أكثر من مجد موسى" الذي مدحه الله لأنه كان أميناً في كل بيته، وكثيراً ما تشبه الكنيسة أو الجماعة بالبيت.

وكان لدى أحبار اليهود أفكار شتى لمدح الله لموسى، فقال أحدهم: "يدعو الله موسى: أميناً في كل بيته- ولذلك احتل مرتبة تعلو فوق مراتب الملائكة أنفسهم". وقال آخر أنه حين دعي موسى "أميناً" كان معنى هذا أنه استحق أن يكون مستودع أسرار الرب. فإذا كان العبرانيون المسيحيون قد أسفوا وتألموا لأن "خلفاء موسى والذين احتلوا مجلسه" (أي كتبة اليهود وهم أشبه برجال الفقه والشريعة في هذا العصر) قد وقفوا منهم موقف العداء وطردوهم من جماعة موسى، فها هو ذا الآن أمامهم من هو أعظم من موسى.

 All rights reserved © 2008-2018

"بمقدار ما لباني البيت" وهو المسيح كلمة الله المبدعة "كرامة أكثر من البيت" الذي هو موسى لأن موسى لم يكن سوى فرد خادم من أفراد بيت الله يخدم ويدير ما لم يخلقه أو يبنيه.

"وبأني الكل هو الله" فالمسيح بأني البيت لم يكن مجرداً من الذات الإلهية. وقد كان هو نفسه الباني لأنه قال الله تعالى للعالم كن فكان. راجع الفصل الأول وهو يشهد أن الله صنع به العالمين. وهذا يبين لنا جواز نسبة الخلق إلى الله أو إلى كلمته المتجسدة لأن كليهما واحد. ويتضح لك الفرق بين أمانة موسى وأمانة المسيح مما يأتي. قال "أما موسى فقد كان أميناً في جميع بيته" أي بيت الله "كخادم" أي أن أمانة موسى كانت أمانة رجل خادم يخضع لأوامر رئيسه ولا نصيب له في الإدارة. ثم أن أمانته كانت "شهادة لما كان سيقال" من وقت إلى آخر على سبيل الأمر.

دعيت خيمة الاجتماع التي عبد فيها موسى وشعبه في البرية "خيمة الشهادة" وقد شهد كل النظام الموسوي بمعنى عميق جداً إلى شخص عتيد أن يأتي، هو مسيح الله، الذي شوهد موسى في حادثة تجليه في مجد يتحدث عن موت المعصوم البار، الذي رمزت إليه الذبائح العديدة في الخيمة التي أقامها موسى في البرية (لوقا ٩:٢٩- ٣١).

وبعبارة أخرى كان موسى خادماً مستعداً لأداء شهادة حسنة عن نصائح سامية لم يكن هو معطيها "وأما المسيح فكان أميناً كإبن على بيته" أي بيت الله. أي أن أمانة المسيح لم تكن كأمانة خادم بل كأمانة مدير العمل وصاحب المشروع وهو الحكمة الإلهية أو الكلمة الأزلية كما جاء في أمثال ٨:٢٢- ٣٠ "ونحن بيته" أي بيت الله "إن تمسكنا بالثقة" أي إذا بقينا ثابتين في ثقتنا وإيماننا "وفخر الرجاء" والكلام في الأصل من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة ومعطوف على الثقة فكأنه قال إن تمسكنا بثقتنا ورجائنا المفتخر "ثابتاً حتى المنتهى".

وقد قيل في المقدمة (في مقالنا عن "أغراض الرسالة") أن أولئك العبرانيين المسيحيين الذين كتبت إليهم الرسالة، كانوا عرضة للخطر في أن يفقدوا رجاءهم البهيج القوي الذي أسندهم في الإضطهادات. وقد يكون هذا حالنا نحن، لأن استطالة الزمن من أقوى مقوضات الرجاء. ولكن الكاتب بقوله (حتى المنتهى) يذكّر أصدقائه أنه ليس مفروضاً عليهم أن يأملوا إلى ما لا نهاية، فهناك نهاية للرجاء حين يتحول عياناً واكتمالاً. وقد قال المسيح "في بيت أبي منازل كثيرة .... إن مضيت أعددت لكم مكاناً" (يوحنا ١٤:٢).

يفكر كاتب الرسالة في المسيح وفي موسى بنسبة علاقتهما ببيت الله. والكلمة "بيت" في هذا المقام (كما هو شأنها في اللغتين العربية والإنكليزية) لا تعني البناء بل "آل البيت".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبعد أن أنذر أصحابه- الذين هم اليوم من "أهل البيت"- لكيلا يفقدوا شجاعتهم ورجائهم، يعود بطبيعة الحال إلى مسلك "أهل البيت" في عصر موسى الذين أضاعوا رجاءهم، فضاع معه ميراثهم. وهو يلخص قصة فشلهم بألفاظ أحد المزامير:

"لذلك كما يقول الروح القدس" في مز ٩٥:٨-١١. والكلام هنا استعطاف للعبرانيين. ومن مزايا هذا الكتاب أنه ينظر إلى ما وراء الشاعر البشري الذي أبدع المزمور، إلى الملهم الإلهي وذلك لأن العالم غير المنظور أعظم الحقائق دائماً في نظر هذا الكاتب. والاقتباس هنا مقتطف عن النص اليوناني للشطر الثاني من المزمور، الذي يفتتح بالدعوة إلى العبادة، وكان يستعمل كل سبت في العبادة بالمجمع (كما يستعمل اليوم في عبادة الصباح في كنيسة الغرب) منذ العصور الأولى. لذلك كان المزمور معروفاً لدى قراء الرسالة الأولين منذ حداثتهم:

"اليوم إن سمعتم صوته" أي صوت الله الذي يدعو الناس في جميع الأمكنة والأزمنة وربما بلغ مسامعكم هذا اليوم "فلا تقسوا قلوبكم" وأهم ما في هذه الآية المقتبسة استعطافه إياهم أن لا يقسوا قلوبهم "كما حدث حين الإسخاط يوم التجربة في البرية" والإشارة هي إلى حادثتين وقعتا في تاريخ الإسرائيليين لعهد تيهانهم في البرية إذ اسخطوا الله بشراهتهم وجربوه بتمردهم وعصيانهم حتى دعي المكانان اللذان وقعت فيهما تانك الحادثتان "مريبة" "ومسة" ومعناهما في العبرانية الإسخاط والتجربة "حيث جربني أباؤكم واختبروني" متجاوزين قول الله "لا تجرب الرب إلهك" وخطية المؤمن أو الشعب المختار إلى إلهه هي بمثابة تجربة الله أي امتحان لمعرفة مقدار صبره "وشهدوا أعمالي أربعين سنة" أي على رغم كونهم قد رأوا وشهدوا أعمالي أربعين سنة فأنهم قسوا قلوبهم وأغمضوا عيونهم عن رؤية آياتي "لذلك مقت ذلك الجبل" العاصي التائه في البرية "فقلت أنهم دائماً يضلون في قلوبهم ولم يعرفوا سبلي" مع أنني قد بسطتها لهم مراراً "حتى أقسمت في غضبي أنهم لن يدخلوا في راحتي" أي الراحة التي قد أعدتها لشعبي الذين يؤمنون بي ويحبونني. وقد كانت الإشارة الأولى إلى أرض فلسطين بعد انتهاء مدة التيهان أما الإشارة الحقيقية المهمة فهي إلى الراحة الأبدية.

وقد انتهت هنا الآية المقتبسة من مزمور ٩٥ وأخذ الكاتب يطبقها على العبرانيين فقال "انظروا أيها الإخوة أن لا يكون في أحدكم" لأن الروح الشرير في الواحد قد تسري عدواها إلى الجسد كله "قلب عصيان شرير يرتد عن الله الحي" والكلمة اليونانية المترجمة "بعصيان" تعني (١) عدم الإيمان (٢) المعصية. وذلك لأن عدم الإيمان يسوق دائماً إلى عدم الأمانة. وينذر الكاتب إخوانه ضد ما هو مناقض تماماً لصفة "الأمانة" التي لحظها في موسى وفي المسيح.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٣: ١١-١٨	
١١حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي». ١٢أُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْبٌ شِرِّيرٌ بِعَدَمِ إِيمَانٍ فِي الارْتِدَادِ عَنِ اللهِ الْحَيِّ، ١٣بَلْ عِظُوا أَنْفُسَكُمْ كُلَّ يَوْمٍ، مَا دَامَ الْوَقْتُ يُدْعَى الْيَوْمَ، لِكَيْ لاَ يُقَسَّى أَحَدٌ مِنْكُمْ بِغُرُورِ الْخَطِيَّةِ. ١٤لأَنَّنَا قَدْ صِرْنَا شُرَكَاءَ الْمَسِيحِ، إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ الثِّقَةِ ثَابِتَةً إِلَى النِّهَايَةِ، ١٥إِذْ قِيلَ: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ». ١٦فَمَنْ هُمُ الَّذِينَ إِذْ سَمِعُوا أَسْخَطُوا؟ أَلَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ بِوَاسِطَةِ مُوسَى؟ ١٧وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، الَّذِينَ جُثَثُهُمْ سَقَطَتْ فِي الْقَفْرِ؟ ١٨وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتَهُ، إِلاَّ لِلَّذِينَ لَمْ يُطِيعُوا؟ ١٩فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا لِعَدَمِ الإِيمَانِ	حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي». أُنْظُرُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ لاَ يَكُونَ فِي أَحَدِكُمْ قَلْب عصيان شِرِّير يرتد عن الله الحي، بل عظوا أنفسكم في كل يوم ما دام الوقت يدعى "اليوم" لكي لا يقسى أحدكم بغرور الخطية. فإننا قد صرنا شركاء المسيح إِنْ تَمَسَّكْنَا بِبَدَاءَةِ ثبوتنا حتى النهاية ما دام يقال «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ، كَمَا فِي الإِسْخَاطِ» فَمَنْ هُمُ الَّذِين إِذْ سَمِعُوا أَسْخَطُوا؟ أَلَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ على يد مُوسَى؟ وَمَنْ مَقَتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً؟ أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْطَأُوا، الَّذِينَ سَقَطَتْ جُثَثُهُمْ فِي البرية؟ وَلِمَنْ أَقْسَمَ لَنْ يَدْخُلُوا في رَاحَتَهُ، إِلاَّ لِلَّذِينَ عصوا؟ فَنَرَى أَنَّهُمْ لَمْ يستطيعوا الدخول بسبب العصيان.

"بل عظوا أنفسكم" وكان هيناً على المسيحيين العبرانيين أن يكونوا راضين عن أنفسهم لأنهم تألموا كثيراً بسبب دينهم، كما هو هين على أية كنيسة أن تفخر لأنها بذلت في الماضي كثيرين من الشهداء أو المبشرين أو الرسل. ونصيحة الكاتب هنا لأولئك العبرانيين أن يتخذوا موقفاً ينقدون فيه نفوسهم، لا موقف الرضى عن الذات. فلا يركنون إلى الماضي، بل يعظون أنفسهم لبذل مجهود روحي جديد. وكانت هذه خطة بولس الرسول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(فيلبي ٣:١٣ و١٤) حين قال لصحبه "ناسين ما هو وراء وممتدين إلى ما هو قدام، نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع". ولزام أن يكون هذا المجهود يومياً بدليل قوله بعد ذلك:

"في كل يوم ما دام الوقت يدعى "اليوم" قوله "اليوم" إشارة إلى لفظة "اليوم" الواردة في قوله "اليوم إن سمعتم صوته الخ". وأن صوت الله يدعو الناس جميعهم كل الأيام إلى انقضاء الدهر. وما دام الإنسان يقول "اليوم" فأن صوت الله قد يرن في إذنه "لئلا يقسى" فالناس قد يقسون أنفسهم، أو يسمحون للإعتبارات الدنيئة أن تقسي قلوبهم ضد دعوة الله، ومتى قسينا قلوبنا طويلاً حل بنا ما حل بفرعون ويهوذا وغيرهما أي أنهم لم يعودوا قادرين على السماع "أحدكم" وهنا أيضاً نرى المعلم المسيحي ينحو نحو يسوع في التفكير في تلاميذه كأفراد، لا كسامعين أو جماعة "بغرور الخطية" وعدم مقدرتها على السماع كانت النتيجة الأخيرة لغرور الخطية. فلنحذر إذاً "فأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة ثبوتنا" لأن الله يشترط على المؤمن المشارك للمسيح أن يقدم ولا يحجم إذاً أن نتمسك ببداءة ثبوتنا "حتى النهاية" لأن الجهاد لا ينقضي حتى النفس الأخير.

والكلمة اليونانية المترجمة عنها "ثبوت" من الألفاظ الشيقة حقاً. وسنعود إلى شرحها في الفصل الحادي عشر (ص ١١:١) حيث ترجمت بلفظ الإيقان. وحسبنا القول هنا أن معناها الأصلي يقيد الشيء الساند أو المتركز فوقه. ثم جرى معناها ليفيد الشيء الذي يركن الإنسان إليه أو يقوم عليه، أي عقيدته الراسخة أو ثقته المكنية. هذا هو ما يجب أن نتمسك به. بل هو يستمر "ما دام يقال اليوم" أي دائماً. وأن الله يظل يقول لنا: اليوم "إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما حدث حين الإسخاط" حاول الكاتب أن يبسط التعاليم التي تنطوي عليها هذه الآية بإيضاح أتم ويبين فشل الإسرائيليين. "فمن هم الذين إذ سمعوا اسخطوا؟ أليس جميع الذين خرجوا من مصر على يد موسى؟" (جاءت القصة في سفري الخروج والعدد) ولهذه القصة رسالة خاصة للذين شرعوا في انتهاج الطريق الروحي، ذلك لأن الذين فشلوا في بلوغ أرض الموعد كانوا ثبّتوا وجوههم مختارين لاقتفاء آثار موسى، وخبروا خلاصاً عجيباً من ربّهم بعد إذ عبروا البحر الأحمر الذي قطعهم عن حياتهم القديمة كعبيد في أرض مصر. وبعد كل هذا فشلوا في جهادهم كما يحتمل أن يفشل أولئك العبرانيون المسيحيون الذين أرسلت إليهم الرسالة، أو كما يحتمل أن يفشل كل واحد منا. فما أحرانا باليقظة والحذر! "ومن مقت أربعين سنة؟ أليس الذين أخطأوا" أي ألم تكن خطيتهم سبب مقت الله لهم- أولئك "الذين سقطت جثتهم في البرية" ولم يدخلوا أرض الموعد أي فلسطين. وذراريهم فقط هم الذين اكتحلت عيونهم برؤية أرض الموعد التي وعد الله بها ذرية إبرهيم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"ولمن اقسم أنهم لن يدخلوا في راحته إلا للذين عصوا فنرى أنهم لم يستطيعوا الدخول بسبب العصيان" أو عدم الإيمان كما قلنا قبلاً. وقد أراد الكاتب أن يبين للعبرانيين أنهم كانوا في خطر حرمان الدخول إلى راحة أشهى من راحة فلسطين- راحة الله الأزلية التي قد أعدها تعالى لجميع الذين يؤمنون به ويتمسكون ببداءة إيمانهم حتى النهاية. أصغوا "اليوم" إلى صوت تعالى القائل "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" (متى ١١:٢٨).

٤: ١ ـ ٨	
١فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ! ٢لأَنَّنَا نَحْنُ أَيْضاً قَدْ بُشِّرْنَا كَمَا أُولَئِكَ، لَكِنْ لَمْ تَنْفَعْ كَلِمَةُ الْخَبَرِ أُولَئِكَ. إِذْ لَمْ تَكُنْ مُمْتَزِجَةً بِالإِيمَانِ فِي الَّذِينَ سَمِعُوا. ٣لأَنَّنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ نَدْخُلُ الرَّاحَةَ، كَمَا قَالَ: «حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي!» مَعَ كَوْنِ الأَعْمَالِ قَدْ أُكْمِلَتْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ. ٤لأَنَّهُ قَالَ فِي مَوْضِعٍ عَنِ السَّابِعِ هَكَذَا: «وَاسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ». ٥وَفِي هَذَا أَيْضاً: «لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي». ٦فَإِذْ بَقِيَ أَنَّ قَوْماً يَدْخُلُونَهَا، وَالَّذِينَ بُشِّرُوا أَوَّلاً لَمْ يَدْخُلُوا لِسَبَبِ الْعِصْيَانِ، ٧يُعَيِّنُ أَيْضاً يَوْماً قَائِلاً فِي دَاوُدَ: «الْيَوْمَ» بَعْدَ زَمَانٍ هَذَا مِقْدَارُهُ، كَمَا قِيلَ: «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ». ٨لأَنَّهُ لَوْ كَانَ يَشُوعُ	فلنخشَ أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ الوَعْد بِالدُّخُولِ إِلى رَاحَتِهِ يرى أحدكم أنه قد خاب. لأننا نحن أيضاً قد بشرنا كأولئك. وأما هم فلم تنفعهم كلمة الخبر لأنها لم تكن ممتزجة بالإيمان عند الذين سمعوها. إذ أننا نحن الذين آمنا ندخلن الراحة كما قال «حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي!» مع أن الأعمال أكملت منذ إنشاء العالم لأنه قال في موضع عن اليوم السابع ما يأتي: «وَاسْتَرَاحَ اللهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ مِنْ جَمِيعِ أَعْمَالِهِ». وقال في موضع آخر: «أنهم لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي». فيما أنه قد بقي للبعض أن يدخلوها حالة إن الذين بشروا أولاً لم يدخلوها بسبب العصيان فقد عاد فحدد يوماً قائلاً في (مزامير) داود "اليوم" أي

 All rights reserved © 2008-2018

قَدْ أَرَاحَهُمْ لَمَا تَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ يَوْمٍ آخَرَ	بعد زمان هذا مقداره- كما قيل سابقاً «الْيَوْمَ إِنْ سَمِعْتُمْ صَوْتَهُ فَلاَ تُقَسُّوا قُلُوبَكُمْ». فإنه لو كان يشوع قد أراحهم ما تكلم بعد ذلك عن يوم آخر.

"فلنخش" معتبرين بما وقع للإسرائيليين "أنه مع بقاء الوعد بالدخول إلى راحته" أي مع وجود تلك الدعوة حتى هذا اليوم. ويؤخذ من عبرة تاريخ إسرائيل أن موعد الله لشعبه لم يكمل تماماً بدخولهم أرض كنعان (فلسطين)، ولكن يقول الكاتب أن الموعد بالدخول إلى الراحة ما يزال قائماً. ومناطه الإيمان، والإيمان وحده. وبابه مفتوح لنا بشرط الإيمان هذا. فلنعتبر بخيبة أبائنا ونؤمن بالله. هذا هو مدار فكرة الكاتب في هذا المقام "يرى أحدكم" أي يظهر لله وللناس، ومرة أخرى يستعمل الكاتب كلمة "أحدكم" مما يدل على أن من واجب الراعي أو المعلم المسيحي أن يعنى بكل نفس على أفراد "أنه قد خاب" فحرم التمتع بذلك الوعد أو الدعوة كما خاب الذين استنقذوا من أرض مصر. وفي هذا المظهر الواحد كان الإسرائيليون في مصر والمسيحيون الذين كتبت لهم الرسالة في مكانة واحدة. فكلاهما تلقَّى رسالة مفرحة طيبة تنبئ أن الله يدعوهم ليتبعوا منقذاً ويثقوا فيه وينتقلوا من حياة العبودية إلى حياة الطاعة الحرة. ووضع أمام كليهما رجاء الراحة في أرض موعود بها. والمؤلف يبسط هذه المقارنة أمام قارئيه بقوله: "لأننا نحن أيضاً قد بشرنا" بالدعوة إلى الراحة "كأولئك" الإسرائيليين في زمن موسى "وأما هم فلم تنفعهم كلمة الخبر" أي دعوة الله إياهم إلى راحته وهم لم يكونوا كالوثنيين الذين لم يسمعوا دعوة الله. بل قد سمعوها، ولكن انتهى الأمر عند هذا الحد. اكتفوا بسماع ما قاله الله، ولكنهم لم يؤمنوا به، فلم تنفعهم الكلمة "لأنها لم تكن ممتزجة بالإيمان عند الذين سمعوها" مما يدل على أن شرط حصول الخلاص هو اجتماع نعمة الله المجانية مع إيمان الإنسان إيماناً بلا قيد.

وقد توقع الكاتب هنا أن يعترض البعض عليه بقولهم "ما هذه الراحة وما علاقتها بنا أو بأي شعب آخر غير الإسرائيليين" فقال "إذ أننا نحن الذين قد آمنا" أي الذين امتزجت عندنا كلمة الخبر بالإيمان "ندخلن الراحة" أي لابد لنا من الدخول في الراحة السموية والواقع أننا من راحة اختبارية داخلونها الآن "كما قال" والبرهان الآتي هو من الوجهة السلبية وهو قوله "حتى أقسمت في غضبي أنهم لن يدخلوا راحتي" فنستنتج من هذا أنه كان يمكنهم أن يدخلوا لو شاءوا ولكنهم قصروا. ولأن الموعد لم يكمل ولم يسحب فأنه ما يزال قائماً لشعب الله وأن في وسع غيرهم أن يفوزوا بالدخول. ثم أن أولئك القوم لم يكونوا أول

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الناس الذين خابوا إذ لم يكن أحد قد دخل تلك الراحة "مع أن الأعمال" أي أعمال الخلق "اكتملت منذ إنشاء العالم" فكانت راحت السبت مرسومة منذ البدء أي قبل موسى بألوف من السنين وكان لكل جيل ذي إيمان أن يدخلها ويتمتع بها.

ومن ثمَّ نعرف ما هية المعنى الداخلي للموعد القائل أن شعب الله يدخلون إلى الراحة. فهم يدخلون إلى راحته (كما يقول مزمور ٩٥) وراحته هي رضاؤه المستمر في تكميل عمل خليقته. وعند ما أخرج الله الجيل الجاحد، من راحته، كان هو نفسه موجوداً في راحته، والذي حال بينهم وبين الدخول إنما جحودهم وعدم إيمانهم، وليس التقصير من جانب الله الذي أعدَّ الراحة.

وقد أيد الكاتب هذه الحجة بآيتين إحداهما من سفر التكوين والأخرى من المزامير. فقال "لأنه قال في موضع" أي في تكوين ١:٢ "عن اليوم السابع ما يأتي: واستراح الله في اليوم السابع من جميع أعماله" أي أنه تعالى فرغ من أعمال الخلق. وليس المقصود من الراحة هنا ضد التعب لأن الله لا يتعب ولا يحتاج إلى راحة أو نوم. قال أشعياء "أما عرفت أم لم تسمع إله الدهر الرب خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا. ليس عن فهمه فحص" (أشعياء ٢٨:٤٠) وقال أيضاً "هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب. هوذا الجزائر يرفعها كدقة" (أشعياء ١٥:٤٠) على أن بين حالتي الخلق والانقطاع عن الخلق فرقاً وهو المشار إليه بقوله "واستراح الله" فراحة الله هي حالة مطوبة. هذا هو مفاد الآية الأولى.

"وقال في موضع آخر أنهم لن يدخلوا راحتي" مما يدل على أن في وسع الناس أن يدخلوا في تلك الراحة وأنه من الممكن أيضاً أن يخيبوا عنها. وهذه الآية تمهيد لقوله "فبما أنه قد بقي للبعض أن يدخلوها" والمقصود من لفظة البعض هنا كل من أراد أن يتمم شروط الإيمان- وهي شروط روحية لنيل فوائد روحية. لأن المقصود "بالراحة" في سياق الكلام كله وجود المؤمنين في حالة مطوبة في العالم الآخر.

وقد كتب كاتب يهودي آخر معاصر لرسالتنا ما يقرب من فكر الرسول فقال: "لأن الفردوس مفتوح لكم، وشجرة الحياة مغروسة، والمستقبل معدٌّ، والخير وفير، والمدينة مشيدة، والراحة مهيأة" (٤ عزرا ٥٢:٨) ولكي نعود إلى الأسباب التي تحملنا على الإيمان بأن موعد الراحة ما زال قائماً، لا بد لنا من إلقاء نظرة أخرى على تاريخ شعب إسرائيل الذي بُشر بمنحة راحة الله.

بما "أن الذين بُشروا أولاً لم يدخلوها بسبب العصيان" في عهد موسى "فقد عاد" في عهد داود النبي "فحدد يوماً" إتماماً للوعد بالقبول "قائلاً في مزامير داود "اليوم"- أي بعد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

زمان هذا مقداره" وهو الزمان الذي بين موسى وداود أي بضعة قرون "كما قيل سابقاً" في الآية التي أوردناها مراراً "اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم".

ورب معترض يسأل "ألم يتمم يشوع خليفة داود هذا الوعد بإدخاله بني إسرائيل إلى أرض الراحة بعد عنائهم العظيم مع أن يشوع جاء بعد موسى وقبل داود؟" نقول كلا "فأنه لو كان يشوع قد أراحكم" بإدخالهم أرض كنعان "ما تكلم" الله "بعد ذلك عن يوم آخر" في زمن داود كما رأينا سابقاً. فالنتيجة أنه لا شعب الإسرائيليين في زمان موسى، ولا القبائل التي كانت بقيادة يشوع، ولا اليهود في زمان داود دخلوا في الراحة الموعدة.فالوعد باق إذاً كما كان لمن يطالب به "إذاً لا يزال لشعب الله" المؤمنين الذين يكملون بالفعل المعنى الروحي لهذه العلاقة. ولا شك أن المسيحيين العبرانيين الذين عهدوا نفسهم شعب الله وخشوا الحرمان على أيدي سلطات أمتهم، قد جذلوا وطربوا أن يعرفوا الآن أنه ما يزال لشعب الله "راحة سبت" كالراحة المشار إليها في تكوين ٢:١. ليس سبتاً مفرزاً للراحة بل سبتاً للحياة. وهذا كما قلنا نعمة من نعم الحياة الأخرى، ولكنه أيضاً حقيقة إختبارية هنا على الأرض لشعب الله حينما يدخلون إلى راحة الخلاص.

٤: ٩- ١٦	
٩إِذاً بَقِيَتْ رَاحَةٌ لِشَعْبِ اللهِ! ١٠لأَنَّ الَّذِي دَخَلَ رَاحَتَهُ اسْتَرَاحَ هُوَ أَيْضاً مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا اللهُ مِنْ أَعْمَالِهِ. ١١فَلْنَجْتَهِدْ أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ، لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ فِي عِبْرَةِ الْعِصْيَانِ هَذِهِ عَيْنِهَا. ١٢لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ. ١٣وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ	إذاً لا يزال لشعب الله راحة سبت لأن من "دخل في راحته" فقد استراح هو أيضاً من أعماله كما استراح الله من أعماله. فَلْنَجْتَهِدْ إذاً أَنْ نَدْخُلَ تِلْكَ الرَّاحَةَ لِئَلاَّ يَسْقُطَ أَحَدٌ في مثل ذلك العصيان عينه. لأن كلمة الله حية فعالة أمضى من كل سيف ذي حدين نافذة حتى مفرق النفس والروح أوصالاً ومخاخاً ومميزة لأفكار القلب ونياته. وليس في الوجود خليقة مستترة أمامه بل كل شيء عار معروض لعيني ذلك الذي له معنا حساب. فإذ لنا رئيس كهنة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذَلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا. ١٤فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ. ١٥لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. ١٦فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ.	عظيم قد اجتاز السماوات يسوع ابن الله فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ إذ ليس رئيس كهنتنا ممن لا يستطيع أن يرثي لضعفاتنا بل جرب في كل شي مثلنا بلا خطية. فلنتقدم إذاً بثقة إلى عرش النعمة لننال رحمة ونجد نعمة عوناً في حينه".

"لأن "من دخل في راحته" تعالى "فقد استراح هو أيضاً من أعماله كما استراح الله من أعماله" أي أن النفس لا تعود تطلب الخلاص من أعمالها فكأنها تفرغ من مساعيها التي تقوم بها إلتماساً للخلاص وتعتمد على عمل الله الذي تم بيسوع المسيح الأمر الذي يهب النفس سلاماً ويمكنها من التمتع براحة السبت حتى هنا على الأرض. ولسنا نعرف كيف تكون هذه الراحة في الحياة الأخرى. وقد قال فيلو الفيلسوف اليهودي أنه لا يشترط في راحة الله أن تكون توقفاً عن عمل الخير، بل "جهداً خالياً من العناء والإجهاد والآلام، يبذله الإنسان في راحة مطلقة.... والذي يخلو من الضعف، لا يقف عند الراحة، ولو كان يحرّك كل الأشياء". ورسالتنا تغضُّ الطرف عن هذه الإفتراضات ولكنها تبين في جلاء أن الراحة المقصودة روحية، في راحة الله.

"فلنجتهد إذاً أن ندخل في تلك الراحة" ههنا شبه تناقض ظاهري إذ كيف يختلف هذا الإجتهاد عن الأعمال التي يستريح منها المؤمن؟ الجواب أن الإيمان هو الشرط الوحيد المطلوب إتمامه وهو يقتضي الإستسلام إلى الله بالنفس والجسد والروح لا مجرد الرضى العقلي. فهذا الإجتهاد إذا مرتبط بالإيمان الذي هو الشرط الوحيد لدخول راحة الله. ولا مجال لراحة خارجية في معزل عن تناسق المؤمن مع الله. وهذا التناسق ينتج جهداً، ولكنه شرط للراحة الناشئة عن الإنس مع الله.

سقط الإسرائيليون كافة، ولكن الكاتب المسيحي يفكر في الأنفس فرادى حين يقول "لئلا يسقط أحد" هذا هو روح المسيحية، الروح الذي يلهم الراعي ليسعى إلى البرية وراء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خروف واحد ضلّ وشرد. "لأن كلمة الله" عن طريق رسله وأنبيائه في القديم، مثل موعد الراحة لشعبه الذي سلف ذكره. وكلمته عن طريق رسله وأنبيائه في عصر الكاتب (أو في عصرنا نحن) مثل رسالة الدعاة المسيحيين التي بدَّلت حياة الذين أرسلت إليهم هذه الرسالة، وكلمته التي لم ينطق بها بصوت بشري، بل تعمقت في قلب أي إنسان "حية" فهي إذاً محيية للمؤمن ومميتة للماضي لأن علامة الحياة ليست مجرد الوجود (كوجود حجر مثلاً)، ولا حتى الوجود إلى الأبد، بل الحركة الناشطة. لذلك كانت هذه "الكلمة الحية" "فعالة" أيضاً، كما عرف القراء الأولون لهذه الرسالة. لأنهم، والكاتب معهم، قد تجددوا رجالاً ونساء بالمناداة بهذه الكلمة. فألفوها، كما يلفاها كل الصاغين إلى صوت الله "أمضى عن سيف ذي حدين". وقد قال الفيلسوف اليهودي فيلو أن قوة العقل المميزة السريعة أشبه بسيف من لهيب في يد الشاروبيم الحارس لباب جنة عدن بعد طرد آدم وحواء منها، سيف يفصل بين البركة والنقمة، بين حياة الطهر وحياة النجاسة. وقد لجأ أحد صحابة المسيح إلى هذه الإستعارة حين شهد سيده في مجده، فقال معبراً عن القوة المحيية في كلمات ربه "وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه" (رؤية ١:١٦). وحدّة سيف الكلمة الإلهية "نافذة حتى مفرق النفس والروح" أي إلى أعماق الوجدان إذ من يعلم أسرار النفس أو الروح وبالأولى أسرار نسبة الأولى على الثانية واتصالهما معاً؟ فكلمة الله تخترق حتى نقطة اتصالهما معاً "أوصالاً ومخاخاً" أي إلى أوصال النفس والروح ومخاخهما. والكلام مجازي ومعناه أن كلمة الله تصل إلى مخادع النفس وتشرّحها كما يشرّح الجراح الجسد وهي "مميزة لأفكار القلب ونياته".

"وبالقلب" نبلغ الذروة، وسبق للكاتب أن عزا علة الفشل البشري إلى "قلب شرير بعدم إيمان" (عب ٣:١٢) وكان تحذيره ضد تقسية القلب، وذلك لان القلب هو مركز الحياة الأدبية الشخصية.

والأوصاف الخمسة التي خلعت بالتتابع على "الكلمة"- حية، فعّالة، أمضى، نافذة، مميزة، تبين في إيضاح قوتها على معالجة قلب الفرد. فهناك انتقال خطوة فخطوة من التعميم إلى التخصيص الفردي:

ولحياة تتميز بالحركة والنشاط، وتتطور الحركة فتصير فحصاً داخلياً ينفذ على دعائم كياننا ووجودنا، وليس هذا أثراً من آثار المعرفة العلمية هو تمييز، تكون فيه كلمة الله المميزة قوة أدبية تحكم علي مشاعر القلب وتتوغل إلى مخادعه.

والله الذي تنير كلمته كل شيء أمامها في قلب الإنسان البشري، وتتوغل إلى أفكار النفس ومخادعها، هو إله الدينونة النهائية للكون. "وليس في الوجود خليقة مستترة أمامه بل كل شيء عار معروض" ولفظة "معروض" في الأصل اليوناني مأخوذة عن كلمة معناها

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رد العنق أو ليّه إلى الوراء لوضع السكين عليه. فكلمة الله هي أشبه بسيف مسلول على الأعناق وليس للإنسان قوة على النجاة منه لأن عنقه مكشوف لحد ذلك السيف ومعروض "لعيني ذلك الذي له معنا حساب" والفرق بين هذا اليوم ويوم الحساب هو أننا نجهل اليوم أو نتجاهل أن الله يرى، وأننا بدونه تعالى معدومون كل نصير، وأن السيف مسلول فوق أعناقنا.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

دعاء

"أللهم القادر على كل شيء الذي كل القلوب مكشوفة لديه وكل رغبة معلومة عنده ولا تخفى عليه خافية. طهر أفكار قلوبنا بإلهام روحك القدوس لنحبك حباً تاماً ونعظم أسمك الأقدس حق تعظيم بواسطة ربنا يسوع المسيح. آمين"

ألقى الكاتب تحذيراً خطيراً لأن كل البشر عرضة لأن ينزعوا من عقولهم نور الله الفاحص الدّيان. ولكنه لم يرد أن يستسلم أصدقاؤه لليأس، فأن لديه لهم رسالة رجاء في المسيح:

"فإذ لنا رئيس كهنة عظيم" والإشارة هي إلى ص٢:١٧ والرسول يذكّر قراءه هنا بأن المسيح لم يكن يكرز بالراحة فقط كما كان موسى يفعل، ولا كان مجرد قائد كيشوع يحاول اقتياد شعبه إلى تلك الراحة، بل كان وسيطاً ليجعل البشر أهلاً به.

وهو يدعو رئيس كهنتنا "عظيماً" تقوم عظمته على ثقته بالله وحظوته لديه، ليس أشبه برؤساء كهنة اليهود الذين جازوا إلى ما وراء حجاب يفصل قدس أقداس الهيكل عن أنظار الآخرين، فأن المسيح لم يجز حجاباً مادياً كهذا، بل اجتاز السموات، متوغلاً إلى عرش الله، بفضل تقدمة ذاته ذبيحة كاملة.

"قد اجتاز السموات" فاتحاً السبيل للوصول إلى عرش الله

"يسوع إبن الله" الذي لا يزال بلقبه الناسوتي دليلاً على كونه لا يزال نائبنا لدى العرش- مقيماً هناك لكونه "إبن" الله "فلنتمسك بالقرار" حتى المنتهى "إذ ليس رئيس كهنتنا ممن لا يستطيع أن يرثي لضعفاتنا" بل هو يرثي لها ولا يبكتنا عليها وهو "قد جرب في كل شيء مثلنا" في أثناء حياته الأرضية "بلا خطية" إذاً منتصر على الخطية ومشارك لنا في بلايانا ولذلك يجب إقامته نائباً عنا وشفيعاً لنا.

أنظر ماذا فعل الكاتب بقرائه المضطربين! فهم كسائر أبناء شعبهم، ترقبوا أن يكون مخلص الله المرتقب ملكاً مسيا، قوياً مهوباً فوق عرشه الأرضي، فوجدوا عوضاً عن ذلك مخلصاً أسلم نفسه إلى التجربة والألم والإستيحاش. وحتى بعد أن عرفوا محبته وقوته اللتين بدّلتا حياتهم، كانت تعاودهم الحيرة بين الفينة والفينة، فأسفوا (كما فعل غيرهم) إذ لم يروه متربعاً فوق عرش أرضي، منصوراً فائزاً فوق ممالك الأرض. والآن يبين كاتبنا أن التجارب والآلام التي بدت مستغربة إذ أصابت مختار الله، واختفاءه عن العلم عوضاً عن تربعه فوق عرش أورشليم، هي في الحقيقة سرّ رجائهم وثقتهم وعزائهم. فأن المسيح قد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

حمل الإختبار الذي عاناه في مشقات الجنس البشري وأحزانه وتجاربه، لا إلى عرش أرضي، بل إلى عرش الله ذاته. ومن ثمَّ كان ذلك العرش الذي حفَّ به المجد والدينونة، عرشاً تحف به "النعمة" والرحمة نحو جميع شعبه.

"فلنتقدم إذاً بثقة إلى عرش النعمة" لأن السبيل إلى ذلك العرش مفتوح أمامنا ولنا نائب هنالك. فإذا سرنا في ذلك السبيل بلغنا راحته تعالى حتى في هذه الحياة "لننال رحمة ونجد عوناً في حينه" أي إذ تكون حاجتنا إلى المساعدة على أشدها وذلك في أوقات التجارب والبلايا وفي يوم الحساب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مقدمة للفصل الخامس

في سياق هذه الرسالة إلى هنا أشار الكاتب في غير مرة إلى عمل رئيس كهنة اليهود ولا شك أن شيئاً ما خطر بأفكار قرائه عن هذه الخدمة، أما لأن زملاءهم اليهود قد شرعوا أن "يطردوهم من المجامع" بسبب اعتناقهم المسيحية وينكروا عليهم نصيبهم في الدين القديم بذبائحه وكهنوته مما اعتزوا به أيما اعتزاز، وأما لأنهم أحسوا بالأسى والألم مع سائر العبرانيين لما أصاب هيكل أورشليم من خراب واندثار تلك الطقوس القديمة التي كان فيها رئيس الكهنة أبرز الشخصيات- وقد ألمح مراراً كثيرة إلى فكرة رئيس الكهنة كأشارته إليه مثلاً في ص ١٧:٢ وفي الآيات الختامية للفصل الذي قبله. وقد حان الوقت لإظهار تفوق المسيح على هارون الكاهن الأعلى وكان هارون هذا أخا موسى، دعاه الله ليكون أول رئيس كهنة لشعبه، وهو لذلك رئيس على خلفائه إلى عصر كتابة رسالتنا.

أما عن عمل الكهنة فإنّا نلاحظ أن الكلمة العربية "كاهن" والكلمة العبرية "كوهين" ولو أنهما يتفقان في اشتقاقهما من مصدر واحد، إلاَّ أنهما يختلفان في التاريخ. فالكاهن في العالم العربي القديم كان الشخص الذي له اتصال بالعالم غير المنظور، وفي وسعه أن يذيع رسائله في أسلوب شعري فطري. وكان أشبه بساحر القبيلة. وهذه الفكرة، الدائرة حول الشخص المتصل بالعالم غير المنظور والمستطيع أن ينقل عنه رسائله، قد انتقلت إلى العبرية حاملة بالأكثر وظيفة "النبي"، لأن الأنبياء كانوا مذيعين لإدارة الله ورسائله.

أما "الكوهين" فلم يكن بالضرورة ممن يتكلمون أو يعظون. بل كانت وظيفته قيادة الشعب في عبادته وتقديم الذبائح بالنيابة عنه وكمندوب عنهم.

وقد كانت أعظم وظيفة لرئيس الكهنة أن يقرب التقدمات في يوم الكفارة حين يكون الله وشعبه قد تصالحا. وكان عمله ينقسم إلى قسمين يتألف منهما عمل الكفارة.

(١) قتل ذبيحة خارج الخيمة تكفيراً عن خطايا الشعب

(٢) أخذ الدم إلى قدس الأقداس (رمزاً إلى حضور الله فعلاً) وسنرى فيما يلي كيف أثبت كاتب الرسالة أن يسوع المسيح تمم هذه الوظيفة بموته في هذا العالم وصعوده إلى ما وراء الحجاب إلى عرش الله الذي في قدس الأقداس.

والآيات الآتية مسهبة جداً وتتناول ليس فقط إظهار فضل المسيح على رؤساء الكهنة الأقدمين بل أيضاً فضل تقدمته على تقدماتهم وهيكله على هياكلهم ونظامه على نظاماتهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٥: ١ ـ ١٤	
١لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ مَأْخُوذٍ مِنَ النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِي مَا لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا، ٢قَادِراً أَنْ يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ، إِذْ هُوَ أَيْضاً مُحَاطٌ بِالضُّعْفِ. ٣وَلِهَذَا الضُّعْفِ يَلْتَزِمُ أَنَّهُ كَمَا يُقَدِّمُ عَنِ الْخَطَايَا لأَجْلِ الشَّعْبِ هَكَذَا أَيْضاً لأَجْلِ نَفْسِهِ. ٤وَلاَ يَأْخُذُ أَحَدٌ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ بِنَفْسِهِ، بَلِ الْمَدْعُوُّ مِنَ اللهِ، كَمَا هَارُونُ أَيْضاً. ٥كَذَلِكَ الْمَسِيحُ أَيْضاً لَمْ يُمَجِّدْ نَفْسَهُ لِيَصِيرَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ، بَلِ الَّذِي قَالَ لَهُ: «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ». ٦كَمَا يَقُولُ أَيْضاً فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: «أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». ٧الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسُمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، ٨مَعَ كَوْنِهِ ابْناً تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ. ٩وَإِذْ كُمِّلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلاَصٍ أَبَدِيٍّ، ١٠مَدْعُوّاً مِنَ اللهِ رَئِيسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ	لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ وهو مَأْخُوذ مِن بين النَّاسِ يُقَامُ لأَجْلِ النَّاسِ فِيمَا هو لِلَّهِ، لِكَيْ يُقَدِّمَ تقدمات وَذَبَائِحَ عَنِ الْخَطَايَا قَادِراً أَنْ يَتَرَفَّقَ بِالْجُهَّالِ وَالضَّالِّينَ لأنه هُوَ أَيْضاً متلبس بالضعف ونظراً لهذا الضعف يجب عليه أن يقرب عن الخطايا لأجل نفسه كما يقرب لأجل الشعب وليس أحد يأخذ هذه الكرامة بنفسه إلا المدعو من الله كما كان هرون كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة إنما مجده ذلك الذي قال له «أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ». كما يقول أيضاً في موضع آخر: «أَنْتَ كَاهِنٌ إلى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» هو الذي في أيام جسده قدم طلبات وتضرعات بصراخ شديد ودموع إلى القادر أن يخلصه من الموت واستجيب له من أجل تقواه فمع كونه ابناً تعلم الطاعة بما تألم به. وإذا أكمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي. وقد دعاه الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق هو الذي لنا بشأنه كلام كثير لنقوله وهو صعب التفسير لأنكم قد صرتم متثاقلي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مَلْكِي صَادِقَ. ١١اَلَّذِي مِنْ جِهَتِهِ الْكَلاَمُ كَثِيرٌ عِنْدَنَا، وَعَسِرُ التَّفْسِيرِ لِنَنْطِقَ بِهِ، إِذْ قَدْ صِرْتُمْ مُتَبَاطِئِي الْمَسَامِعِ. ١٢لأَنَّكُمْ إِذْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونُوا مُعَلِّمِينَ لِسَبَبِ طُولِ الزَّمَانِ، تَحْتَاجُونَ أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ مَا هِيَ أَرْكَانُ بَدَاءَةِ أَقْوَالِ اللهِ، وَصِرْتُمْ مُحْتَاجِينَ إِلَى اللَّبَنِ لاَ إِلَى طَعَامٍ قَوِيٍّ. ١٣لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ اللَّبَنَ هُوَ عَدِيمُ الْخِبْرَةِ فِي كَلاَمِ الْبِرِّ لأَنَّهُ طِفْلٌ، ١٤وَأَمَّا الطَّعَامُ الْقَوِيُّ فَلِلْبَالِغِينَ، الَّذِينَ بِسَبَبِ التَّمَرُّنِ قَدْ صَارَتْ لَهُمُ الْحَوَاسُّ مُدَرَّبَةً عَلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.	الأسماع. فإذ كان يجب أن تكونوا معلمين لتمادي الزمان تحتاجون أن يعلمكم أحد أركان بداءة أقوال الله. وقد صرتم محتاجين إلى اللبن دون الطعام القوي. لن كل من طعامه اللبن هو فاقد الخبرة في كلام البر لأنه طفل. وأما الطعام القوي فللبالغين المتروضة حواسهم بالممارسة على التمييز بين الخير والشر.

وهنا تحليل الآيات من ١-١٠

١- يجب أن يكون رئيس الكهنة كريماً رحوماً، كما ينبغي أن يكون إنساناً من البشر (آية ١-٣)

٢- يجب ألاَّ يعين رئيس الكهنة نفسه (آية ٤) ويشرع الكاتب بعد ذلك في تطبيق هذين الشرطين على يسوع مبتدئاً بالشرط الثاني (آية ٥ و٦)

ثم ينتقل إلى تطبيق الشرط الأول على يسوع (آية ٧-١٠)

قال الكاتب في ص ٤:١٥ "إذ ليس رئيس كهنتنا ممن لا يستطيع أن يرثي لضعفاتنا بل قد جرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" ثم أعقب ذلك يقوله "لأن كل رئيس كهنة وهو مأخوذ من بين الناس" ينوب عنهم ويشاركهم في شعورهم إلا من كان وهو نفسه إنساناً

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهو "يقام لأجل الناس" من بين الناس "فيما لله لكي يقدم تقدمات وذبائح عن الخطايا" أي ليقوم بالأمور التي تعلن أسرار الله وتقرب الناس منه تعالى.

والإشارة هنا إلى يوم الكفارة العظيم الذي يدعو التلمود "اليوم". وفي صلوات ذلك اليوم وتقدماته تركزت كل الأفكار عن الذبائح والعبادة، كما تركّز في شخص الكاهن وهو يخدم تقدمات كل الشعب وعبادته.

"قادراً أن يترفق" أي أن يستعمل اللين والشفقة "بالجهال الضالين" الذين لا يعلمون أنهم ضالون والذين لا يستطيعون الرجوع "لأنه هو أيضاً متلبس بالضعف" وهذا يشرح سبب ترفقه بهم. فهو إنسان ويعرف بالاختبار ضعف الإنسان. بل أنه يشعر بالضعف إلى حد يجعله هو وشعبه متساوين باعتبار التقدمات والذبائح "ونظراً لهذا الضعف" البشري الذي يشترك فيه مع جميع الناس "يجب عليه أن يقرب عن الخطايا لأجل نفسه كما يقرب لأجل الشعب" فأنه أدخل نفسه بين شعبه في أمر الكفارة.

وقد قضت أحكام يوم الكفارة أن تكون ذبيحة الكاهن الأولى نيابة عن نفسه وأهل بيته (أنظر لاويين ١٦:٦)

"وليس أحد يأخذ هذه الكرامة بنفسه" لأن رئيس الكهنة كما رأينا كان إنساناً من بني الناس، وهل يجرؤ الإنسان أن يأخذ على نفسه وظيفة كهذه. وكيف يجسر الخاطئ أن يتقدم إلى الله ليشفع عن خطايا الآخرين؟

ولم يكن كل رؤساء الكهنة في العصر الذي كتبت فيه الرسالة من الأسر التي امتازت بالدعوة الإلهية، وبدرت منهم كثير من التصرفات الشاذة. لذلك يرجع الكاتب إلى أيام الطهارة الأولى، ويقول أنه ولا هرون نفسه أخا موسى استطاع أن يأخذ هذه الوظيفة بدون دعوة من الله. فلا يقدر إذاً أحد أن يأخذها "إلاَّ المدعو من الله كما كان هرون". ويرى في أحد الأحاديث اليهودية أن موسى قال للعصاة الثائرين "إن كان هرون أخي قد أخذ الكهنوت من تلقاء نفسه، لكان من حقكم أن تثوروا ضده، ولكن الواقع أن الله نفسه هو الذي أعطاه إياه، الذي له العظمة والقوة والمجد". ويمكن الرجوع إلى دعوة هرون في سفر الخروج ٢٨:١ وسفر العدد ص ١٦-١٨

وبعد ذلك يعود الكاتب إلى صفات المسيح ومزاياه من حيث كونه رئيس كهنة شعبه، ويبين أولاً أن هذه الوظيفة أعطيت له بتعيين إلهي.

"لذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة" إذ أنتظر الدعوة الإلهية شأن الإنسان الكامل "إنما مجده ذلك" أي الله الإله الكامل "الذي قال له" في مزمور ٢:٧و ١١٠:٤ "أنت أبني أنا اليوم والدتك" كما يقول في موضع آخر "أنت كاهن إلى الأبد على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

رتبة ملكي صادق" وفي كلا الآيتين دعوة إلهية اختيارية. فالآية الأولى قد شرحت سابقاً. حيث فسر معنى قوله اليوم ولدتك وأما الآية الثانية فسيجيء شرحها فيما بعد (أنظر فصل ٧) وخلاصتها أن المسيح شارك جميع رؤساء الكهنة في كونه دعي إلى الكهنوت كما دعوا هم أيضاً مع فارق واحد، وهو أنه كاهن "إلى الأبد"، وليس له خليفة، ولا حاجة به إلى خليفة، وكهنوته يمارس الآن في العالم الأزلي، وراء حدود الزمن، ولكنه بدأ هنا في تقدمة ذاته على الأرض. وقد كان العمل الذي دعي إليه شاقاً جهداً حتى أنه لم يأخذ تلك الكرامة بنفسه. والكلمات التالية تدل على مشقة الوظيفة الكهنوتية التي دعي إليها المسيح. وقبوله لهذه المشقة المريعة تبين كيف أن يسوع بصفته رئيس كهنة الله قد ارتضى أن يندمج مع إخوته ويكون واحداً منهم، مكملاً بذلك مطالب الآيات ١-٣ "وهو الذي قدم طلبات وتضرعات" بصفة كونه رئيس كهنة "بصراخ شديد ودموع" كما في متى ٢٧:٣٨-٤٤ ومرقس ٧:٣٤ ويوحنا ١١:٣٣-٣٨ ولوقا ١٩:٤١ ففي جميع ذلك نجد أن المسيح تألم بغصات آلام مبرحة ناتجة عن شعوره بثقل المسؤولية التي ألقتها عليه تلك الدعوة. وقد كانت تلك الآلام ظاهرة من خلال الصلوات الصريحة والباطنة التي كان يرفعها "إلى القادر أن يخلصه من الموت" أي موت الخيبة والفشل "واستجيب له من أجل تقواه" لأن أناته لم تكن ناتجة عن جبن أو عن رفض احتمال الآلام أو الإحتجاج عليها "(كما زعم بعض الجهال) بل كانت طلبات استعان بها الله على إتمام إرادته تعالى. انظر متى ٢٧:٣٨ الخ. هذا هو كمال التقوى ولذلك استجيبت صلواته فقواه الله وشدده لإتمام ذلك العمل العظيم بالخطة التي كان قد رسمها له "فمع كونه ابناً" غير مطلوب منه معاناة تلك الآلام لولا مجرد حبه للآخرين "تعلم الطاعة بما تألم به" لأنه بصفة كونه ابناً أزلياً كان يعلم حق العلم ما هي إرادة أبيه الأزلية لأنها كانت صادرة عن الذات الأزلية. ومع ذلك رضي بطوعه واختياره أن يتجسد ثم تحمل أشد الآلام كإنسان. وتعلم الطاعة أيضاً في مدرسة الآلام الهائلة (أنظر متى ٢٧:٣٨)

ويقول أحد الكّتاب: "كان عليه أن ينزل إلى مستوى إخوته الذين تولّى هدايتهم إلى المجد، وأن يجعل نفسه واحداً معهم، في ممارسة الطاعة بالدعوة التي دُعي بها. وكان عليه أن يتعلم هذه الطاعة، لا لأن إرادته لم تكن كاملة في أي وقت من الأوقات... بل لأنها كانت طاعة متماسكة ذات نواح كثيرة تتكاثر مطاليبها يوماً فيوماً".

"وإذا أكمل" شرحنا معنى الكمال سابقاً وليس المقصود منه الكمال الأدبي لأن المسيح كان حاصلاً على ذلك الكمال منذ البدء بل المقصود منه كمال الاستعداد لرتبة الكهنوت ليكون أهلاً أن يقدم كفارة حتى أنه "صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" لأن عمل المسيح يظل يفضي إلى الخلاص حتى الأبد "وقد دعاه الله" الجملة حالية وهي تشير إلى النبوة السابقة في مزمور ١١٥ "رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق" وهذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الخطاب كان دعوة من الله للمسيح ليقوم بإتمام ذلك العمل العظيم- عمل الكفارة والشفاعة والكهنوت.

ولا شك أن هذا الكلام يحتاج إلى إيضاح. قال الكاتب "هو" أي ملكي صادق "الذي لنا بشأنه كلام كثير لنقوله وهو صعب التفسير" وذلك الكلام يتناول الرسالة كلها وصعوبته راجعة إلى هذا السبب وهو قول الرسول "لأنكم قد صرتم متثاقلي الإسماع" فالرسول أستاء من حالة المسيحيين العبرانيين حتى أنه كاد ييأس منهم فقال "فإذ كان يجب أن تكونوا معلمين لتمادي الزمان" الأمر الذي نتعلم منه (١) أن المسيحيين الجدد لا يجب أن يكونوا هم المعلمين و (٢) أن المسيحيين الحاصلين على خبرة هم المطلوب منهم أن يقوموا بوظيفة التعليم و (٣) أن الحياة المسيحية حياة تقدم وارتقاء. فالإنسان لا يمتلك منها بمجرد معمودية وقبوله في عضوية الكنيسة، بل هناك حاجة إلى المجهود المستمر، ولن تستكشف الحقائق العميقة إلاَّ عن طريق ارتقاء الذين يتعلمونها وتدَّرجهم في التقدم. لأن هذه ليست حقائق العقل فقط يلتقطها النابه السريع الخاطر، بل هي حقائق روحية تمتلكها الشخصية كلها بالحياة والاختبار والنمو، روحاً وعقلاً.

"تحتاجون أن يعلمكم أحد بداءة أقوال الله" أي مبادئ الإيمان المسيحي الملخص فيها أقوال الله. والكلمة اليونانية المترجمة "بداءة" تطلق على الحروف الأبجدية التي يتعلمها الأطفال فهي تعنى البداية في أي موضوع. فكأن الذين ينبغي أن يكونوا معلمين، ما زالوا أحداثاً في روضة الأطفال "وقد صرتم محتاجين إلى اللبن دون الطعام القوي" شبّه الرسول مبادئ الإيمان بطعام الأطفال الذي هو اللبن "لأن كل من طعامه اللبن هو فائق الخبرة في كلام البر" الذي هو أشبه بالطعام القوي "لأنه طفل" فاللبن إذاً يشبه التعاليم الأولية التي يتلقنها متعلمو الديانة عن التوبة والإيمان وهلم جراً. وقد ذكر الرسول أن القوم كانوا في حاجة إلى تناول ذلك الطعام البسيط مرة أخرى "وأما الطعام القوي فللبالغين" أو الكاملين كما يؤخذ من الأصل اليوناني. قابل قوله "إذ أكمل" ومعناه "إذ بلغ" من البلوغ وهو النضج أو الاستوآء "المتروضة حواسهم" الروحية "بالممارسة على التمييز بين الخير والشر" والممارسة هي القوة التي تمكن الإنسان من التقدم في الإيمان (راجع ١كو ١٥:٢ و١:٣ و٢)

والكلمة المترجمة "ممارسة" تحمل في اليونانية فكرة الترويض والتدريب كما في الألعاب الرياضية، حيث تتقوى العضلات بالمران. ولا يشكو الرسول هنا من شر أدبي في المسيحيين العبرانيين، ولكن تقصيرهم الوحيد في نظره هو وقوفهم موقف الجمود، وهذا تقصير سلبي. فهم لا يتقدمون ولا يرتقون، ولا يتطورون في فهم الأشياء. والذين يعرفون الإنجيل يذكرون كيف أصرَّ المسيح في غير مرة على أن يستخدم تلاميذه عقولهم ويفكروا ويكتشفوا مناطق المعرفة الجديدة ويقبلوا التعليم الجديد الذي كان يلقنهم إياه. وكأنه يدعو،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بواسطة رسوله، أولئك العبرانيين المسيحيين، كما يدعو كلَّ من يقرأ الرسالة، أن نستيقظ ونتنبه ونتعلم من غير انقطاع.

٦: ١- ١٠	
١لِذَلِكَ وَنَحْنُ تَارِكُونَ كَلاَمَ بَدَاءَةِ الْمَسِيحِ لِنَتَقَدَّمْ إِلَى الْكَمَالِ، غَيْرَ وَاضِعِينَ أَيْضاً أَسَاسَ التَّوْبَةِ مِنَ الأَعْمَالِ الْمَيِّتَةِ، وَالإِيمَانِ بِاللهِ، ٢تَعْلِيمَ الْمَعْمُودِيَّاتِ، وَوَضْعَ الأَيَادِي، قِيَامَةَ الأَمْوَاتِ، وَالدَّيْنُونَةَ الأَبَدِيَّةَ - ٣وَهَذَا سَنَفْعَلُهُ إِنْ أَذِنَ اللهُ. ٤لأَنَّ الَّذِينَ اسْتُنِيرُوا مَرَّةً، وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وَصَارُوا شُرَكَاءَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، ٥وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ وَقُوَّاتِ الدَّهْرِ الآتِي، ٦وَسَقَطُوا، لاَ يُمْكِنُ تَجْدِيدُهُمْ أَيْضاً لِلتَّوْبَةِ، إِذْ هُمْ يَصْلِبُونَ لأَنْفُسِهِمُ ابْنَ اللهِ ثَانِيَةً وَيُشَهِّرُونَهُ. ٧لأَنَّ أَرْضاً قَدْ شَرِبَتِ الْمَطَرَ الآتِيَ عَلَيْهَا مِرَاراً كَثِيرَةً، وَأَنْتَجَتْ عُشْباً صَالِحاً لِلَّذِينَ فُلِحَتْ مِنْ أَجْلِهِمْ، تَنَالُ بَرَكَةً مِنَ اللهِ. ٨وَلَكِنْ إِنْ أَخْرَجَتْ شَوْكاً وَحَسَكاً، فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ وَقَرِيبَةٌ مِنَ اللَّعْنَةِ، الَّتِي نِهَايَتُهَا لِلْحَرِيقِ. ٩وَلَكِنَّنَا قَدْ تَيَقَّنَّا مِنْ جِهَتِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ	فلندع إذاً الكلام عن مبادئ المسيح ولنسعَ إلى الكمال غير واضعين مرة ثانية أساس التوبة من أعمال ميتة. والإيمان بالله. وتعليم معموديات ووضع الأيدي. وقيامة الأموات. والدينونة الأبدية . وهذا سنصنعه إن أذن الله: لأَنَّ الَّذِينَ قد أنيروا مَرَّةً، وَذَاقُوا من الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ وجعلوا مشتركين في الروح القدس. وذاقوا كلمة الله الطيبة وقوات الدهر الآتي. ثم ارتدوا فلا يمكن تجديدهم ثانية للتوبة إذ هم يصلبون ابن الله ثانية لأنفسهم ويشهرونه لأن الأرض التي تشرب المطر النازل عليها مراراً فتنتج نباتاً صالحاً للذين حرثت من أجلهم تتقبل بركة من الله. لكنها إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرذولة وقريبة من اللعنة ولها حريق عاقبة. بيد أننا قد تيقنا في جهتكم أيها الأحباء ما هو أفضل وقريب إلى الخلاص وإن كنا نتكلم هكذا. لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أُمُوراً أَفْضَلَ، وَمُخْتَصَّةً بِالْخَلاَصِ، وَإِنْ كُنَّا نَتَكَلَّمُ هَكَذَا. ١٠لأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ حَتَّى يَنْسَى عَمَلَكُمْ وَتَعَبَ الْمَحَبَّةِ الَّتِي أَظْهَرْتُمُوهَا نَحْوَ اسْمِهِ، إِذْ قَدْ خَدَمْتُمُ الْقِدِّيسِينَ وَتَخْدِمُونَهُمْ.	وتعب المحبة التي أبديتموها لأجل اسمه إذ قد خدمتم ولا تزالون تخدمون القديسين.

في مستهل هذا الفصل يقول الكاتب: "إن أردتم أحداً يلقنكم مرة ثانية المبادئ المسيحية الأولى، فأنا لست ذلك الإنسان. وأنا أقترح أن أعلو بكم إلى نظام من الدروس أرقى، تعالوا إذاً لنتقدم سوياً.

"فلندع إذن الكلام عن مبادئ المسيح" وليس المعنى لننبذ تلك المبادئ ونهجرها بل لنتركها كما يترك البنَّاء الأساس وهو يبني عليه الجدار فكلما ارتقى ابتعد عن ذلك الأساس مع أنه لا يستطيع الاستغناء عنه "ولنسعَ إلى الكمال" أي إلى النمو التام. وكانت الشكوى من العبرانيين أنهم راضون بحالتهم التي كانت تشبه حالة الأطفال في معرفة الأمور الدينية. أما لفظة "كمال" الواردة في الآية فهي في الأصل اليوناني تدل على الكمال الروحي لا الأدبي. وقد وردت بهذا المعنى في مواضع عديدة عن العهد الجديد "غير واضعين مرة أخرى أساس التوبة من أعمال ميتة" إذ أي بنَّاء عاقل يضع أساسات البناء ثم يقوضها ثم يعود فيضعها ثم يقودها وهكذا المرة بعد الأخرى؟ أما الأساسات المشار إليها فهي ستة (أولهما) التوبة من الأعمال الميتة وهي الخطوة الأولى في حياة الرجل المسيحي لأنه يحتاج إلى تنقية قلبه من جميع المعايب والشوائب لتحل فيه نعمة الله ومحبته تعالى. والأعمال الميتة هي الأعمال التي يأتيها الخوارج عن الحياة الحقة وعن خدمة الله. لأن هناك نبعاً واحداً للحياة، وكل ما لم يصدر عنه فهو "ميت" فالأعمال الميتة إذاً هي كل أعمال الحياة الذاتية الأنانية، التي يحياها الإنسان لنفسه لا لله.

"والإيمان بالله" هو الأساس الثاني من الأساسات الستة المشار إليها. وكان الأساس الأول سلبياً، أما الأساس الثاني فهو إيجابي، كما هو الحال في الشهادة الإسلامية. واختبار النفس في هذا المقام: "أرجع عن الذات وأعود إلى الله" فأن النفس بعد أن تتوب من أعمالها الميتة ترى ذاتها بنعمة الله ورحمته ومحبته مدفوعة إلى الإيمان "وتعليم المعموديات" لأن المعمودية هي الخطوة الثالثة وهي تلي الإيمان. أما قوله "معموديات" بصيغة الجمع فليس المقصود منه تعداد المعمودية أو تكرارها بل أن كل مهتد كان يجب أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يلقن صفة المعمودية ونوعها والفرق بينها وبين معمودية يوحنا والمعموديات اليهودية وطقوس الغسل. أنظر مثلاً متى ٣:١١ و١ بطرس ٣:٢١ "ووضع الأيادي" هذه هي الخطوة التالية للمعمودية وهي لأجل التثبيت كما حدث للرسل (أنظر أعمال ٨:١٤- ١٧) أو لأجل الرسامة للخدمة في الكنيسة (أنظر أعمال ٦:٦ و١٣:٣ و١تيموثاوس ٤:١٤ و٥:٢٢ و٢تيموثاوس ١:٦) "وقيامة الأموات والدينونة الأبدية" أي التعليم بخصوص الأخرويات بعد ختام التعليم المختص ببدء الحياة المسيحية وخطتها. هذه هي المبادئ الستة التي كان كاتب الرسالة يأنف من العودة إليها. والذين يعنون بدراسة هذه المبادئ دراسة مقارنة مع تعاليم المسيحية الأولى على أيدي الرسل في سفر الأعمال، يجدون كيف يتفق هذا البيان مع أقوال سفر الأعمال عن تعاليم الإيمان الأولى.

"وهذا" أي هجران تلك المبادئ والسعي إلى التعاليم الأسمى "سنصنعه إن أذن الله". يقول الكاتب: "تعالوا، لأنكم إذا لم تتقدموا تمسون في خطر الرجوع القهقرى، والرجوع إلى الوراء أمر شديد الخطورة. وقد استعمل لفظة "أن" للدلالة على الشك فيما إذا كان الله سيأذن بهجران تلك المبادئ. وذلك الشك هو الذي حداه إلى قول ما يأتي: "لأن الذين قد أنيروا مرة" عند ولادتهم الجديدة بالتوبة والإيمان والمعمودية. ولا يتكلم الكاتب هنا عن الذين سمعوا رسالة الإنجيل فقط وقبلوها وآمنوا بها، بل عن الذين "أنيروا" بأنوار المؤثرات الإلهية اللامعة في حياتهم الروحية. ومرة واحدة يدخل الناس إلى المسيحية بهذا المعنى العميق الكامل، فهو اختبار لن يتكرر أشبه بموتهم وموت يسوع. "وذاقوا من الموهبة السموية" أي من نعمة الله ذوقاً اختيارياً "وجعلوا مشتركين في الروح القدس" بفعل نعمة الله العاملة في القلوب "وذاقوا كلمة الله الطيبة" ليس بسماعهم إياها فقط بل باختبارهم لها وسيرهم بموجبها. أنظر كيف يشير كل فعل من هذه الأفعال إلى تخصيص شخصي واختبار داخلي- "أنيروا.... ذاقوا.... جعلوا.... مشتركين.... ذاقوا" ثم يسترسل الرسول بعد ذلك ويبين كيف انتقل هذه الإختبار على طور أعلى "وقوات الدهر الآتي" الكلام معطوف على قوله مشتركين في الروح القدس، تلك كانت الكرامات والاختبارات الروحية. وعد ثانية إلى فصل ٢ آية ٣ ترَ الاختبار الشيّق الذي تذوقه العبرانيون المسيحيون الذين أرسلت لهم هذه الرسالة، حينما خبروا عمل قوات ليست من هذا العالم- وهم الذين كانوا قد امتازوا بتلك الهبات "ثم ارتادوا" فأنكروا المسيح ليس عن خوف بل عن انطفاء نور الروح في داخلهم "فلا يمكن تجديدهم ثانية للتوبة" لأن القوى الروحية التي كانت كامنة فيهم قد اضمحلت ونفدت.

ولم يُقل هنا شيء عن الألى ينكرون ربهم عن خوف بينما تعمر قلوبهم ببعض المحبة له. فأن اختبار العصور يدلنا على أنه منذ أيام بطرس الرسول الذي أنكر سيده عند محاكمته، كانت التوبة الحقة والإعتراف العلني والإستنابة الجريئة، مهيئة للغفران الكامل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أما المشار إليهم في هذه العبارة فحالتهم جدُّ محزنة أليمة، فأنهم، وهم المستنيرون، يدعون النور ظلاماً، لا خوفاً من العواقب، إنما لأنهم يحبون الظلمة بعد أن اختبروا ملء النور "إذ هم يصلبون إبن الله ثانية" بعد صلبه في المرة الأولى. على أنهم يصلبونه في هذه المرة "لأنفسهم" كأنهم هم وحدهم المجرمون الخطاة مع أنه في حادثة الصلب الأولى اشتركت الخليقة كلها في الانتفاع من ذلك الموت وإنما عن غير علم (لوقا ٢٣:٣٤) بخلاف هذه المرة فأنهم كانوا يعلمون بأنهم يصلبون المسيح عمداً وهم يبعدونه عن حياتهم، فيمسى ميتاً بالنسبة لهم، كما كان وهو معلق على الصليب "ويشهرونه" والتشهير هو الحط من كرامة الشخص علناً. فالمسيحي الذي يخون المسيح يكون كمن يشهّر مولاه وفي تشهيره بسيده يذيع على الملأ أنه يحسب يسوع عقيماً لا نفع منه، وأنه لا يعبأ شيئاً بخلاصه، وأن أفضل ما يفعل به إقصاؤه عن حياته. أليس هذا تشهيراً علنياً؟

وفي العصور الأولى كان يُطلب إلى المسيحيين إذا ما مثلوا أمام الوالي الروماني أن ينطقوا سوءاً في سيدهم أمام الناس أو يذوقوا الموت. وبعضهم خارت عزيمته في هذا الإمتحان. ولدينا رسالة من بليني الوالي الروماني يقول فيها أنهم حقّروا يسوع "وهو أمر (على حدّ قول الروماني الوثني) لا يفعله المسيحي الحقيقي". وليس معنى هذه العبارة إذاعة ألفاظ القذف والتحقير على لسان إنسان مُرغْم بائس قد غالبه الخوف، بل تنصرف إلى الخيانة العظمى، في الإرتداد الداخلي المقترن بالقذف الخارجي. ومثله مثل الأرض المروية كثيراً وهي لا تخرج ثمراً "لأن الأرض التي تشرب المطر النازل عليها مراراً فتنتج نباتاً صالحاً للذين حرثت من أجلهم تتقبل بركة من الله" هكذا تكون حالة المسيحي المخلَّص. أنظر متى ١٣:٢٣ "لكنها إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرذولة" أنظر لوقا ١٣:٧-٩ وهو قوله "فقال للكرام هوذا ثلاث سنين آتي أطلب ثمراً في هذه التينة ولم أجد. اقطعها. لماذا تبطل الأرض أيضاً؟ فأجاب وقال له يا سيد اتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً. فأن صنعت ثمراً وإلا ففيما بعد تقطعها" راجع أيضاً المثل الوارد في أشعياء ٥:١-٧ ولا سيما الآية الرابعة. كذلك راجع كلام المسيح بخصوص الكرم الغير مثمر والأغصان التي لا تحمل ثمراً فأن تلك الأغصان مرذولة "وقريبة من اللعنة" كما لعنت شجرة التين. راجع مرقس ١١:١٤ و٢٠ واللعنة تقع على النفس التي تكون غير قابلة للأثمار "ولها الحريق عاقبة" راجع ما قاله المسيح عن الأغصان التي لا تعطي ثمراً (يوحنا ١٥:٢)

أن الآيات السابقة تمثل لنا حالة أولئك الذين يرتدون عن الدين القويم ويضلون الطريق المستقيم على رغم ما تلقنوه عن المسيح. فالكاتب يحذر العبرانيين من التعرض لذلك الخطر العظيم إلا أن أمله لم يكن خاب كما يفهم من قوله الآتي: "بيد أننا قد تيقنا من جهتكم أيها الإخوة ما هو أفضل" من الحالة التي وصلتم إليها "وقريب إلى الخلاص" أي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أنهم قد ينالون الخلاص بعد "وإن كنا نتكلم هكذا" بطريق التحذير غير قائلين أن الفرصة قد فاتت لأن الدلائل كانت تدل على أنه لا يزال فيهم بعض الحياة فقد كان فيهم بعض ثمار المسيحية وبعد أصولها وكانوا قد شرعوا يبنون على أسسها "لأن الله ليس بظالم حتى ينسى عملكم" إذ أنه لا يرتكب أغلاطاً كأولئك الذين يدفنون الجسد قبل أن تفيض الروح منه. فهو لا ينسى الأعمال الصالحة "وتعب المحبة التي أبديتموها لأجل اسمه" في تاريخ ماضيكم المجيد بل في قليل من سيرتكم الحالية "إذ قد خدمتم ولا تزالون تخدمون القديسين" وتلك الخدمة هي التي كانت تشفع ببقائكم وإعطائكم فرصة أخرى عملاً بقوله "أتركها هذه السنة أيضاً الخ" فحالة القوم هذه كانت أشبه بحالة كنيسة ساردس التي خاطبها السيد له المجد بقوله "واكتب إلى ملاك الكنيسة التي في ساردس هذا يقوله الذي له سبعة أرواح الله والسبعة الكواكب. أنا عارف أعمالك أن لك إسماً أنك حي وأنت ميت. كن ساهراً وشدد ما بقي الذي هو عتيد أن يموت لأني لم أجد أعمالك كاملة أمام الله" (رؤيا ٣:١و٢)

٦: ١١- ٢٠	
١١وَلَكِنَّنَا نَشْتَهِي أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ يُظْهِرُ هَذَا الاِجْتِهَادَ عَيْنَهُ لِيَقِينِ الرَّجَاءِ إِلَى النِّهَايَةِ، ١٢لِكَيْ لاَ تَكُونُوا مُتَبَاطِئِينَ بَلْ مُتَمَثِّلِينَ بِالَّذِينَ بِالإِيمَانِ وَالأَنَاةِ يَرِثُونَ الْمَوَاعِيدَ. ١٣فَإِنَّهُ لَمَّا وَعَدَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْظَمُ يُقْسِمُ بِهِ، أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ، ١٤قَائِلاً: «إِنِّي لأُبَارِكَنَّكَ بَرَكَةً وَأُكَثِّرَنَّكَ تَكْثِيراً». ١٥وَهَكَذَا إِذْ تَأَنَّى نَالَ الْمَوْعِدَ. ١٦فَإِنَّ النَّاسَ يُقْسِمُونَ بِالأَعْظَمِ، وَنِهَايَةُ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ عِنْدَهُمْ لأَجْلِ التَّثْبِيتِ هِيَ الْقَسَمُ. ١٧فَلِذَلِكَ إِذْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيراً لِوَرَثَةِ الْمَوْعِدِ عَدَمَ	وإنما نشتهي أن كل واحد منكم يبدي هذا الاجتهاد بعينه لتمام الرجاء حتى المنتهى لكي لا تكونوا متباطئين بل مقتدين بالذين يرثون المواعيد بالإيمان والصبر لأن الله عندما وعد إبراهيم حالة أنه لم يكن أن يقسم أعظم بنفسه. فقال لأباركنك بركة. وأكثرنّك تكثيراً وهكذا صبر فنال الموعد فإن الناس إنما يقسمون بالأعظم. وفي كل مشاجرة عندهم القسم فصل الخطاب للإثبات. فلذلك إذا أراد الله أن يزيد ورثة الموعد بياناً بعدم تغير قضائه توسط بالقسم حتى نحصل بأمرين لا يتحولان ولا يمكن أن يكذب الله فيهما على تعزية قوية نحن الذين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تَغَيُّرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ، ١٨حَتَّى بِأَمْرَيْنِ عَدِيمَيِ التَّغَيُّرِ، لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ فِيهِمَا، تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، ١٩الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ، تَدْخُلُ إِلَى مَا دَاخِلَ الْحِجَابِ، ٢٠حَيْثُ دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا، صَائِراً عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادَقَ، رَئِيسَ كَهَنَةٍ إِلَى الأَبَدِ.	التجأنا إلى التمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة ثابتة داخلة إلى ما وراء الحجاب حيث دخل يسوع سابقاً لأجلنا فصار رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق.

وقد ردد الرسول صدى تلك الدعوة بقوله "وإنما نشتهي" والكلمة اليونانية المترجمة "نشتهي" تعبر عن أعمق مشاعر الحنو التي يحسُّ بها الوالد المحب "أن كل واحد منكم" لا المختارين فقط. وكما لحظنا من قبل يفكر كاتب الرسالة في كل واحد كفرد مفرد "يبدي هذا الاجتهاد بعينه" كما فعل أحسن رجالكم سابقاً وكما لا يزالون يفعلون الآن "لتمام الرجاء" أي لإتمام الأمور التي تتعلق بها آمالكم المسيحية. ويشير أحد الكتاب إلى ما يفعله الرجاء من دور خطير في الحياة المسيحية المرتقية. فهو يستجمع خطوات التقدم السابقة، لا بروح الكبرياء والإكتفاء بالذات، بل بأمل معاودة السير إلى الأمام، كما يفعل القائد العظيم حين يجمع شمل جنوده، بعد الفوز للإستيلاء على أرض جديدة. وعلى هذا المثال ينبغي أن يأمل المسيحي، واضعاً رجاءه إلى ما هو قدام، ما دام في الحياة بقية "حتى المنتهى" حينما يدعوكم الله من هنا إلى كمال القداسة في فردوس الله. وقد ختم كلامه بتبيان الغاية من ذلك وهي "لكي لا تكونوا متباطئين" كما نحن الآن "بل مقتدين بالذين يرثون المواعيد بالإيمان والصبر"- وهذه سيتولى وصفها تفصيلاً في فصل آت- وهم أفراد نوادر. وقد تمنى الرسول أن يصبح ذلك النادر أو الشاذ قاعدة يجري عليها لكي يقبل الجميع على المطالبة بإرثهم ولا يفقدوه بسبب عدم ثباتهم وقلة صبرهم.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أن قول الرسول لأولئك المسيحيين المتباطئين "لكي لا تكونوا متباطئين بل مقتدين بالذين يرثون المواعد بالإيمان والصبر" يرجع بالقارئ إلى إبرهيم الذي كان رمزاً إلى المؤمنين والصبورين ونائلي المواعد.

وفي صدد التحدث عن أخبار سلف العبرانيين المسيحيين العظيم، يضع الكاتب أهمية فائقة على المزايا والخواص البشرية في الإيمان والصبر، كما يشير إلى أهمية الأساس الروحي فيهما. ولو أن الصبر مجهود يبذل، إلاَّ أنه مجهود تسنده وتعضده كلمة الله.

"لأن الله" وهذا التعليل هو لتأييد السبب الذي من أجله لا يجب أن يكونوا متباطئين "عند ما وعد إبرهيم" أن يباركه ويكثر نسله "حالة انه لم يكن أن يقسم بشيء أعظم" من نفسه تعالى "أقسم بنفسه" قائلاً بذاتي أقسمت الخ (أنظر تكوين ١٦:٢٢)

ونقرأ غير مرة عن الموعد الذي أعطاه الله لإبرهيم (أنظر تكوين ٣:١٢ و٧ و١٤:١٣ و٥:١٥) وعن تأييده بالقَسَم (أنظر ١٦:٢٢). أما القسم فلو أن معناه أن إبرهيم شهد بداءة تكميل الموعد في أبنه إسحق الذي ولد له بعد انقطاع الرجاء (وقد تكرر الوعد مرة أخرى في تكوين ص ٢٢) إلاَّ أنه سيكون هناك إبطاء في تكميل الموعد بتمامه، ولو كانت البركة الموعد بها تمَّت مباشرة، لما كان هناك داعٍ للقسَم. وكان قسم الله لإبرهيم أساس رجاء إسرائيل مدى أجيال طويلة إلى الزمن الذي كتبت فيه هذه الرسالة. وكان دعامة لكن إيمان ديني إيجابي في كلّ ما لم يُنظر بعد. ويقول حديث يهودي: "هكذا كلَّم موسى (عليه السلام) ربه: لو كنت قد أقسمت بالسماء والأرض، لقلت إن هذا الموعد سيذوب وينطوي بما أن الأرض والسماء سوف تزولان. أما وقد أقسمت باسمك العظيم، الذي يحيا ويبقى إلى أبد الدهور، فأن قَسمَك سيبقى أيضاً مدى الدهر".

"فقال لأباركنك بركة وأكثرنك تكثيراً. وهكذا" وثق في موعد تأيد على هذا النحو و"صبر" إبرهيم "فنال الموعد" لأن الله باركه حقيقة وأكثر نسله بإسحق. فنال أخيراً جزاء صبره وإيمانه.

ومع ذلك فأن الذي ناله في حياته على الأرض لم يكن إلاَّ جزءاً من ذلك الموعد العظيم الذي ظلَّ تكميله سائراً مدى التاريخ وما فتئ مستمراً حتى اليوم. لأن المسيح كان من نسل إبرهيم، وفيه قد تباركت شعوب لم يسمع إبرهيم بوجودها، ففي بلاد الصين، واليابان، والهند، وإفريقيا، وأمريكا، وأوربا، أناس ألفوا بركة في المسيح الذي هو من نسل إبرهيم، يرجعون بأنظارهم إلى الوراء، إلى إبرهيم كأبيهم الروحي، وأبي كل المؤمنين "فأن الناس إنما يقسمون بالأعظم" وإلا فلا تكون للقسم قيمة "وفي كل مشاجرة عندهم" أي عند أهل العالم "القسم فصل الخطاب للإثبات" كما يقولون أن القسم على المدعى عليه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"فلذلك إذ أراد الله" بنعمته العظمى أن يجاري الناس على عقولهم و "أن يزيد ورثة الموعد" فلا يكون مقتصراً على إبرهيم وحده، ما دام الموعد في معناه الروحي منطبقاً على كل من له إيمان مثل إبرهيم. فكان له ولنسله، لأبي المؤمنين وكل الابناء المؤمنين. وقد شمل التطبيق المباشر الذي دار بخلد الكاتب جماعة المؤمنين الصغيرة التي وُجهت إليها الرسالة. ولإبرهيم ولهم ولنا "فلذلك إذ أراد الله أن يزيد بياناً بعدم تغير قضائه" وبأن وعده لا بد أن يتم مهما حدث "توسط بالقسم" أي عمد إلى القسم بنفسه إذ ليس هنالك كائن أعظم من نفسه يسوغ القسم به "حتى نحصل" نحن أيضاً إذ لنا حصة في الوعد الذي أعطي لإبرهيم (أنظر رومية فصل ٤ ولا سيما آية ٢٢- ٢٥) "بأمرين لا يتحولان ولا يمكن أن يكذب الله فيهما" وهما الوعد والقسم "على تعزية قوية" ناتجة عن وثوق النفس بصحة ذينك الأمرين. والكلمة المترجمة "تعزية" ليست تنطوي فقط على تعزية سلبية بل على تشجيع إيجابي للتقوية في الظروف الصعبة. وهذه هي طبيعة تعزيات الله، فهي ليست أشبه بتعازي صديق في وقت الضيق التي تعبّر لنا عن عطفه ومشاركته لنا، بل هي أكثر من ذلك، هي مقوّيات مشجعة. "نحن الذين إلتجأنا" والمعنى الحقيقي للفعل اليوناني أننا (كإبرهيم) غرباء لاجئون. وليس لنا موطن أكيد إلاَّ في هذا الرجاء. وكل عون آخر قد أهمل، فكان على أولئك العبرانيين المسيحيين أن يهملوا ثقافتهم الدينية القديمة الغالية عليهم وعبادتهم التي اعتزوا بها، ولكن موعد إبرهيم بحلول البركة على كل ذوي الإيمان ظلَّ قائماً لهم. وكلُّ من يقف موقف الحزم لأجل المسيح عليه أن. يتناسى ما يحسبه العالم أقوى دعائمه. ولكننا لم نهرب فقط من هذه الأشياء بل قد إلتجأنا "إلى التمسك بالرجاء" أي الرجاء بتلك البركة الفريدة "الموضوع أمامنا" بصفة كوننا أولاداً لإبرهيم بالإيمان. ولا شك أن في الرجاء تعزية وسلاماً وأمناً إذ وثقت النفس بثبات الواعد. كما أن الإنسان يكون مستريح البال إذ أودع ماله في مصرف (بنك) إنكلترا. فكم بالحري الإنسان المسيحي الذي يودع رجائه في الموضع الأمين؟ ذلك الرجاء "الذي هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة" نظراً للصخرة المؤسسة عليها تلك المرساة. وهذه المرساة قد اتخذها المسيحيون منذ البداءة كعلامة رجائهم. ومما يقوله اكليمندس السكندري إن مسيحيي مصر كانوا يحفرون هذه العلاقة على خواتم أصابعهم. وفي أماكن الدفن السرية، حيث كان يودع المسيحيون الأولون أجساد موتاهم في الأقبية الرومانية، كانت تنقش علامة "المرساة" هذه على قبور الموتى.

وأن مرساتنا الروحية "داخلة إلى ما وراء الحجاب" أي إلى العالم الروحي، ملكوت الحقائق الذي لا يعتريه تحول أو تبديل. تلك هي البيئة التي تسقط عليها مرساة المؤمن. واستعارة "الحجاب" مأخوذة عن عبادة اليهود، حيث كان يقام حجاب أمام قدس الأقداس مقر حضرة الله، مشاراً إليه بسحابة مستقرة فوق المقدس "حيث" اللفظة إشارة إلى العالم الذي وراء الحجاب "دخل يسوع سابقاً لأجلنا" ويدخل الرجاء حيثما دخل يسوع كممهّد الطريق، "كسابق"، للبشرية المفتداة. ويسوع، قاهر الموت بصعوده، دخل إلى الأقداس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"سابقاً". والكلمة المترجمة هنا "سابق" كانت تطلق على الناس أو الجيوش التي كانت ترسل لاكتشاف الطريق قبل تقدم الجيوش. فهو قد سبق ليعدّ أفضل طريق "لأجلنا" وليكفّر عنا، بتقدمة ذاته ذبيحة كاملة، وليشفع فينا، بتقدمة صلواته كمن اختبر تجارب الحياة البشرية. وكل رجاء المسيحي مستقر في يسوع هذا الذي جاز إلى العالم الأبدي الخالد بدخوله بعد بذل نفسه "فصار رئيس كهنة إلى الأبد".

وهنا يعود بنا الكاتب مرة أخرى إلى فكره عن يسوع كرئيس كهنة. وكن قراؤه قد ألفوا الفكرة أن رئيس الكهنة اليهودي (وحده دون سائر البشر) هو الذي كان يدخل مرة واحدة في السنة وراء الحجاب إلى قدس الأقداس، في حضرة الله، ليكفّر عن خطايا الشعب. وكان رئيس الكهنة هذا يدخل إلى المكان المقدس وحده نيابة عن الشعب، ولكن الشعب لن يتبعه، أما يسوع رئيس كهنة شعبه فيدخل فيما وراء الحجاب، لا لأجلهم فقط، بل سابقاً لهم.

ويبين الكاتب لقرائه أن يسوع رئيس كهنتهم دخل إلى حضرة الله السمائية، لا مرة واحدة في السنة، لأن ذلك العالم أبدي خالد لا يقاس بالسنين، بل في كهنوت خالد "إلى الأبد".

ثم يعلن لهم الآن أن كهنوت يسوع ليس مثل كهنوت هرون وأبنائه، بل كهنوت أرفع قدراً وأوفر غنى، يكون فيها الكاهن ملكاً، والملك كاهناً. فيقول أن يسوع كاهن "إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" كما جاء في المزمور ١١٠- وقد ذكرت هذه العبارة الخطيرة مرتين من قبل في هذه الرسالة (ص ٥:٦ وص ٥:١٠) والآن قد بلغ الكاتب النقطة التي شرع يفسر لنا فيها كلَّ ما تعلمه من تأمله في آية المزامير هذه.

ولكي نفهم كيف مثَّل شكل ملكي صادق صورة كهنوت المسيح الأبدية في ذهن الكاتب، لابد لنا من الرجوع إلى الآيات الموجزة التي كان كاتبنا يتأملها.

وهاك ما جاء في سفري التكوين والمزامير بخصوص ملكي صادق:-

"وملكي صادق ملكي ساليم أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلي وباركه وقال مبارك إبرام من الله العلي مالك السموات والأرض. ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك. فأعطاه عشراً من كل شيء" (تكوين ١٤:١٨-٢٠).

"أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" (مزمور ١١٠:٤)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٧: ١ - ١٠	
١لأَنَّ مَلْكِي صَادِقَ هَذَا، مَلِكَ سَالِيمَ، كَاهِنَ اللهِ الْعَلِيِّ، الَّذِي اسْتَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ رَاجِعاً مِنْ كَسْرَةِ الْمُلُوكِ وَبَارَكَهُ، ٢الَّذِي قَسَمَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عُشْراً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. الْمُتَرْجَمَ أَوَّلاً «مَلِكَ الْبِرِّ» ثُمَّ أَيْضاً «مَلِكَ سَالِيمَ» أَيْ مَلِكَ السَّلاَمِ ٣بِلاَ أَبٍ بِلاَ أُمٍّ بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. هَذَا يَبْقَى كَاهِناً إِلَى الأَبَدِ. ٤ثُمَّ انْظُرُوا مَا أَعْظَمَ هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُ إِبْرَاهِيمُ رَئِيسُ الآبَاءِ عُشْراً أَيْضاً مِنْ رَأْسِ الْغَنَائِمِ. ٥وَأَمَّا الَّذِينَ هُمْ مِنْ بَنِي لاَوِي، الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الْكَهَنُوتَ، فَلَهُمْ وَصِيَّةٌ أَنْ يُعَشِّرُوا الشَّعْبَ بِمُقْتَضَى النَّامُوسِ - أَيْ إِخْوَتَهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا مِنْ صُلْبِ إِبْرَاهِيمَ. ٦وَلَكِنَّ الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ مِنْهُمْ قَدْ عَشَّرَ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارَكَ الَّذِي لَهُ الْمَوَاعِيدُ! ٧وَبِدُونِ كُلِّ مُشَاجَرَةٍ: الأَصْغَرُ يُبَارِكُ من الأَكْبَرِ. ٨وَهُنَا أُنَاسٌ مَائِتُونَ يَأْخُذُونَ عُشْراً،	لأَنَّ مَلْكِي صَادِقَ هَذَا "مَلِكَ سَالِيمَ"، "كَاهِنَ اللهِ الْعَلِيِّ" الَّذِي اسْتَقْبَلَ إِبْرَاهِيمَ عند رجوعه مِنْ كَسْرِ الْمُلُوكِ "وَبَارَكَهُ" والَّذِي "قَسَمَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عُشْراً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ" يبقى "كاهناً إلى الأبد" إذ أن تفسير اسمه أَوَّلاً «مَلِكَ الْبِرِّ» ثُمَّ «مَلِكَ سَالِيمَ» أَيْ مَلِكَ السَّلاَمِ. بِلاَ أَبٍ بِلاَ أُمٍّ. بِلاَ نَسَبٍ. لاَ بَدَاءَةَ أَيَّامٍ لَهُ وَلاَ نِهَايَةَ حَيَاةٍ. بَلْ هُوَ مُشَبَّهٌ بِابْنِ اللهِ. يَبْقَى كَاهِناً إلى الأَبَدِ. وانْظُرُوا مَا أَعْظَمَ هَذَا الَّذِي أَعْطَاهُ إِبْرَاهِيمُ رَئِيسُ الآبَاءِ عُشْراً مِنْ خيارِ الْغَنَائِمِ. أما الذين يقلدون الكهنون مِنْ بَنِي لاَوِي فقد فرض عليهم شرعاً أن يأخذوا العشور من الشعب أي من إخوتهم مع أنهم خرجوا من صلب إبراهيم. وأما الذي لا ينتسب إليهم فقد أخذ عشراً من إبراهيم وبارك صاحب المواعد. ولا جدال أن الأكبر يبارك الأصغر. والذين يأخذون العشور هنا أُنَاسٌ مَائِتُونَ وأما هناك فواحد مشهود له بأنه حي. ولا حرج في القول بأن لاوي الآخذ العشور قد أخذت منه العشور في إبراهيم لأنه كان

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وَأَمَّا هُنَاكَ فَٱلْمَشْهُودُ لَهُ بِأَنَّهُ حَيٌّ. ٩حَتَّى أَقُولُ كَلِمَةً: إِنَّ لاَوِي أَيْضاً ٱلآخِذَ ٱلأَعْشَارَ قَدْ عُشِّرَ بِإِبْرَاهِيمَ! ١٠لأَنَّهُ كَانَ بَعْدُ فِي صُلْبِ أَبِيهِ حِينَ ٱسْتَقْبَلَهُ مَلْكِي صَادِقَ	بعد في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق

وقد جمع كاتب الرسالة إلى العبرانيين جميع الأمور المهمة في هذه الآيات فقال "لأن ملكي صادق هذا ملك سالیم كاهن الله العلي الذي استقبل إبرهيم عند خروجه من كسر الملوك وباركه" وبإجراء البركة احتل ملكي صادق فوراً مكانة الرئاسة، واعترف إبرهيم من جانبه بدعوى ملكي صادق في رئاسته كما يتضح من الكلمات الآتية:

"والذي له إبرهيم عشراً من كل شيء" والآية تجمع صفات ملكي صادق وأعماله "يبقى كاهناً إلى الأبد" كما جاء في المزمور ١١٠ مما يدل على أن الإشارة ليست إلى شخص ملكي صادق بل إلى رتبته الكهنوتية وإلى الشخص المرموز إليه بذلك الكهنوت. ثم ذكر الكاتب أموراً أخرى تتعلق بملكي صادق بعضها سلبي والبعض الآخر إيجابي وجميعها تشير إشارة واضحة إلى المسيح. قال "إذ أن تفسير إسمه أولاً ملك البر" ولفظة "صادق" في الأصل العبراني تعني "الصدق" بصيغة المصدر لا بصيغة الفاعل أو الصفة المشبهة "ثم ملك سالیم" وهي مدينة ومعنى اسمها السلام. فيكون ذلك الملك إذاً فضلاً عن كونه ملك البر "ملك السلام" وقد اقترن هذان المظهران في الفكر اليهودي بمجيء المسيا الذي سيحكم بالبر والسلام. وقد وجد كاتب هذه الرسالة وقراؤها في المسيح ملكاً للبر والسلام. "بلا أب" وأرث عنه الكهنوت و "بلا أم" وأرث عنها تلك الرتبة. وطبعاً لم يخطر ببال الكاتب ولا ببال أحد من قرائه (كما يزعم بعض المحافظين على حرفية النص في هذا العصر) إن الإنسان ملكي صادق خلق بدون أبوين أو أنه بالضرورة لم يخلّف نسلاً. لأن الكاتب يقتصر في كلامه على رسم صورة ملكي صادق في السفر المقدس (كما أسلفنا) ويلحظ كيف يشعُّ رسمه أمامنا بغتة دون ذكرٍ لأسلافه أو أخلافه من البشر. وهو يقف ماثلاً أمام الأجيال ككاهن الله العلي العظيم، حتى أن إبرهيم نفسه يجثوا ساجداً أمامه لنيل بركته. وإذ يقارن الكاتب هذه الأوصاف شيئاً فشيئاً يصرخ قائلاً: ما أشبه هذا بكهنوت المسيح!! "بلا نسب" تعزى إليه. فهو إذاً يشبه المسيح من هذه الوجهة لأن أبا المسيح (الأرضي) وأمه ونسبه لم تكن مصدر كهنوته.

 All rights reserved © 2008-2018

على أن هنالك أموراً قد سكت عنها الكاتب. فإن ذكر ملكي صادق يظهر ويختفي بغتة بخلاف الأسلوب المعروف عن العهد القديم. ترى من أين أتى وإلى أين ذهب؟ لا نعلم إذ "لا بداءة أيام له" معروفة "ولا نهاية حياة" مذكورة "وهو مشبه بإبن الله" بهذه الاعتبارات إذ لم تكن له بداءة في الأزل ولا نهاية له للأبد. نعم ليس المقصود من هذا القول معناه الحرفي ولكن سكوت الكتاب يدلنا على أن المقصود من الإشارة هو المرموز إليه فجميع هذه الاعتبارات تدل على أن رتبة ذلك الكهنوت هي رتبة من "يبقى كاهناً إلى الأبد".

وقد استاق الكاتب كلامه للمقارنة بين ذلك الشخص الغريب وإبرهيم نفسه وبالأحرى بينه وبين هارون. فقال "وانظروا ما أعظم هذا الذي أعطاه إبرهيم رئيس الآباء" قوله رئيس الآباء دليل على سمو منزلة إبرهيم في التاريخ اليهودي فقد كان أول شعبه وأعظمهم ومع هذا أعطى "عشراً من خيار الغنائم" لملكي صادق.

والآن نراه يلجأ إلى دليل خيالي شرقي ولكنه دليل واضح، مفاده أن كهنوت مَن كان أعظم من إبرهيم لابد أن يكون أعظم من أي كهنوت آخر مستمد من ذراري إبرهيم. "أفتندبون حظكم أيها العبرانيون المسيحيون لأنكم أُقتطعتم من كهنوت أبناء هرون الذين كانوا من نسل إبرهيم؟ أن لكاهنكم كهنوتاً أعظم من جميع هؤلاء"

"أما الذين يقلدون الكهنوت من بني لاوي" أي بني هارون "فقد فرض لهم شرعاً" أي بموجب شريعة الله التي نزلت على يد موسى "أن يأخذوا العشور من الشعب" الإسرائيلي "أي من إخوتهم" مع أن المنتظر أن يكون الإخوة متساوين. إلا أن أولاد لاوي امتازوا بأخذ العشور "مع أنهم" هم أيضاً "خرجوا من صلب إبرهيم" كسائر بني إسرائيل. وعلى رغم أهمية ذلك الفرق ليس ذلك شيئاً يذكر باعتبار ملكي صادق. إذ قال "وأما هذا الذي لا ينتسب إليهم" أي بني لاوي "فقد أخذ عشراً من إبرهيم" الذي كان أعظم من نسله بني لاوي "وبارك صاحب المواعد" نفسه أي إبرهيم "ولا جدال أن الأكبر يبارك الأصغر" فإبرهيم بسجوده لملكي صادق اعترف بأفضليته عليه. ثم أن هنالك أمراً آخر حرياً بالاعتبار وهو قوله "والذين يأخذون العشور هنا" بين اليهود مثلاً "أناس مائتون" يذهبون ويورثون امتيازهم لآخرين "وأما هنالك" أي في أمر العشور التي أداها إبرهيم "فواحد" يدعى ملكي صادق "مشهود له بأنه حي" إذ لم نسمع عن موته بل عن حياته- سلباً في سفر التكوين وإيجاباً في المزمور ١١٠ فبينه وبين هرون فرق إذاً لأن موت هرون مذكور في الكتاب فبهذا الاعتبار أيضاً يشبه ملكي صادق المسيح الحي. ثم أنه إذا كان ملكي صادق أعظم من إبرهيم فهو إذاً أعظم من هرون أيضاً "ولا حرج في القول" الكلام دليل على أن الكاتب ينتظر شيئاً من الاستغراب عند السامع "بأن لاوي الآخذ العشور" شرعاً من إخوته بني إسرائيل "قد أخذت منه العشور" أي أعطيت لملكي صادق "في إبرهيم" أبيه ونائبه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"لأنه كان بعد في صلب أبيه حين استقبله ملكي صادق" وهكذا أدى العشور. وبعبارة أخرى إن كهنوت هرون أدى واجب الاحترام لكهنوت ملكي صادق فاعترف بأفضليته عليه ونال منه البركة. والعبارة القائلة "كان بعد في صلب أبيه" تقوّى فكرة اتحاد نسل إبرهيم فيما يتعلق بأحوالهم الأرضية. وهذا ما فعله أيضاً كهنوت هرون، لأنه لكي يكون الإنسان كاهناً لا بد أن يكون متحدراً من سلالة نقية. ولكن هذا التعليم، إذا قورن بفكرة ملكي صادق، يبين لنا سراً من أسرار الحياة البشرية. فكلنا مولودون من سلالة متسلسلة، ولذا نشعر بإرتباطنا بالماضي أنى أدرنا الطرف. وكثيراً ما نشعر أيضاً أن المستقبل يتوقف علينا إلى حد ما. وليس هذا كل موقفنا، فمن ناحية واحدة نرى حياتنا الخارجية مقترنة بأسلافنا، ومن الناحية الأخرى نرانا، بالنسبة لأرواحنا، على صلة مباشرة بالله. فنحن وُلدنا، كأفراد في جنس ونلعب أدوارنا في تطور ذلك الجنس، ولكننا خلقنا أيضاً أرواحاً مسئولة أمام الله مسئولية مباشرة. فليس كافياً أن نكون من أبناء هارون، بل ينبغي أن نكون بالروح أبناء لمن هو أعظم، لملكي صادق المسيح الذي يقدر أن يجيء بنا إلى كمال البركة والطوبى، مهما كانت سلالتنا ومهما كان ماضينا.

٧: ١١- ٢٠	
١١فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ- إِذِ الشَّعْبُ أَخَذَ النَّامُوسَ عَلَيْهِ - مَاذَا كَانَتِ الْحَاجَةُ بَعْدُ إِلى أَنْ يَقُومَ كَاهِنٌ آخَرُ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ، وَلاَ يُقَالُ «عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ»؟ ١٢لأَنَّهُ إِنْ تَغَيَّرَ الْكَهَنُوتُ فَبِالضَّرُورَةِ يَصِيرُ تَغَيُّرٌ لِلنَّامُوسِ أَيْضاً. ١٣لأَنَّ الَّذِي يُقَالُ عَنْهُ هَذَا كَانَ شَرِيكاً فِي سِبْطٍ آخَرَ لَمْ يُلاَزِمْ أَحَدٌ مِنْهُ الْمَذْبَحَ. ١٤فَإِنَّهُ وَاضِحٌ أَنَّ رَبَّنَا قَدْ طَلَعَ مِنْ سِبْطِ يَهُوذَا، الَّذِي لَمْ يَتَكَلَّمْ عَنْهُ مُوسَى شَيْئاً مِنْ جِهَةِ الْكَهَنُوتِ. ١٥وَذَلِكَ	فَلَوْ كَانَ بِالْكَهَنُوتِ اللاَّوِيِّ كَمَالٌ (وبموجبه قد أخذ الشعب الشريعة) فأية حاجة بعد أن يقوم كاهن آخر "عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ"، وَلاَ يُقَالُ «عَلَى رُتْبَةِ هَارُونَ» لأنه إذا تحول الكهنوت فبالضرورة يحصل تحول في الشريعة أيضاً والحال إن الذي قيل فيه هذا الأمر كان ينتمي إلى سبط آخر لم يلازم أحد منه المذبح، فإنه واضح أن سيدنا طلع من يهوذا وهو سبط لم يشر موسى في كلامه عنه إلى الكهنوت. ومما يزيد الأمر وضوحاً للغاية أن كاهناً آخر يقوم على شبه ملكي صادق. لم

 All rights reserved © 2008-2018

أَكْثَرُ وُضُوحاً أَيْضاً إِنْ كَانَ عَلَى شِبْهِ مَلْكِي صَادِقَ يَقُومُ كَاهِنٌ آخَرُ، ١٦قَدْ صَارَ لَيْسَ بِحَسَبِ نَامُوسِ وَصِيَّةٍ جَسَدِيَّةٍ، بَلْ بِحَسَبِ قُوَّةِ حَيَاةٍ لاَ تَزُولُ. ١٧لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّكَ «كَاهِنٌ إِلى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». ١٨فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِبْطَالُ الْوَصِيَّةِ السَّابِقَةِ مِنْ أَجْلِ ضُعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا، ١٩إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يُكَمِّلْ شَيْئاً. وَلَكِنْ يَصِيرُ إِدْخَالُ رَجَاءٍ أَفْضَلَ بِهِ نَقْتَرِبُ إِلى اللهِ. ٢٠وَعَلَى قَدْرِ مَا إِنَّهُ لَيْسَ بِدُونِ قَسَمٍ	يقم بمقتضى شريعة وصية جسد بل بمقتضى قوة حياة لا تفنى. لأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنّ أنت كَاهِنٌ "إِلَى الأَبَدِ" عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ. فمن الجهة الواحدة يقع الإلغاء في الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها (لأن الشريعة لم تكمل شيئاً) ومن الجهة الأخرى إيجاد رجاء أفضل نقترب به من الله. ثم بما أن ذلك لم يحصل بدون قسم، فعلى ذلك صار يسوع ضامناً لعهد أفضل

قال الكاتب "فلو كان بالكهنوت اللاوي" أي كهنوت أبناء هرون من سبط لاوي "كمال" أي علاقة كاملة مع الله، لما كانت هناك حاجة (كما نرى) إلى نوع آخر من الكهنوت. فأن غرض الكهنوت أو الناموس الديني أن يجيء بالشعب إلى هذا "الكمال"، كمال الصلة مع الله "وبموجبه" أي بموجب الكهنوت اللاوي "قد أخذ الشعب الشريعة" لأن الشريعة بإجمعها كانت مؤسسة على الكهنوت اللاوي والطقوس الملازمة له حتى لقد يصح القول بأن الديانة اليهودية كانت مؤسسة على الكهنوت. لأن الشريعة الموسوية لا يمكن تنفيذها بدون كهنوت لقبول الذبائح وتقديمها كفّارة عن المعاصي الكثيرة.

وخلاصة الآية أنه كان المنتظر أن يكون الكهنوت اللاوي كاملاً ختامياً. ولو كان كذلك "فأية حاجة أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكي صادق" كما قال داود في المزمور المئة والعاشر بعد موسى ببضعة قرون "ولا يقال على رتبة هرون" كما لو كان كهنوت هرون كاملاً ختامياً. فأنه إلى مثل ذلك الكهنوت يشير كاتب المزمور. فلماذا يعوض عنه بكهنوت آخر وهو يعلم أن ذلك يؤثر في الشريعة "لأنه إذا تحول الكهنوت فبالضرورة يحصل تحول في الشريعة أيضاً" وفي ذلك انقلاب عظيم الأهمية. وهنا ربما يفكّر كاتبنا في أفكار وأحاسيس العبرانيين المسيحيين الدائرة حول شريعة شعبهم القديمة التي ينفذها الكهنوت اللاوي. وربما كانوا، قبل أن يدخلوا في المسيحية، قد عانوا بعض الصعاب فيها،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لأنهم كانوا أبناء الشريعة عائشين بعيداً عن أورشليم. وقد أعطيت الشريعة لقوم كان في وسعهم أن يلتفوا حول مركز للعبادة مشترك، ويقدموا تقدماتهم إلى خيمة الاجتماع أو إلى الهيكل حيثما وُجد كاهنهم. فأولئك اليهود الذين نزحوا للعيش في أقطار نائية لم يستطيعوا حفظ الشريعة كاملة، تلك الشريعة التي أعطيت في زمن كانت فيه أمتهم مجتمعة في صعيد واحد حول مركز واحد. ولا بد أن هذه الحالة قد أثارت عدّة من المشاكل في ضمائر كثيرة. وبعد ذلك يدخل أولئك العبرانيون في المسيحية، فما عسى أن تكون علاقتهم الآن بالشريعة القديمة النافذة على يدي الكهنوت القديم؟ وهنا نرى الكاتب يشرح لهم أن لهم في المسيح كهنوتاً أفضل، لا يرتبط ببقعة معينة من الأرض، بل كهنوتاً خالداً في السمائيات، تحت إمرة كل إنسان سواء أعاش في أورشليم أم في رومية أم في الإسكندرية. لذلك يحاول أن يُريهم كهنوت المسيح السمائي الروحي يقترن بالضرورة بشريعة روحية جديدة. "والحال أن الذي قيل فيه هذا الأمر" أي يسوع المسيح. والإشارة هي إلى النبوة القائلة أنت كاهن الخ "كان ينتمي" والفعل في اليونانية ينطوي على معنى أخذ المسيح الطبيعة البشرية اختياراً. فلم يقل أنه ولد في سبط، ولكنه ولد من تلقاء ذاته "إلى سبط آخر" هو يهوذا "لم يلازم أحد منه المذبح" إذ لم يقم أحد من ذلك السبط بخدمة المذبح في الزمن القديم "فأنه واضح أن سيدنا طلع" والفعل المترجم "طلع" يُشار به إلى شروق الشمس أو ظهور نجم. ومن الألقاب التي خُلعت على المسيا "شمس البر" (ملاخي ٤:٢) وقد يُشار بالفعل في اليونانية أيضاً إلى ظهور نبتة من بَزْرتها الكامنة. ومن الألقاب التي خُلعت على المسيا أيضاً "الغصن" (أرميا ٢٣:٥ وزكريا ٦:١٢) "من يهوذا" لأن كلا مريم ويوسف من ذلك السبط. وهذه الآية، ومثلها آية أخرى في سفر الرؤيا (٥:٥) حيث يدعى "الأسد الخارج من سبط يهوذا" هما الموضعان في العهد الجديد (ما خلا قصة الميلاد في بشارة متى ٢:٦) اللذان يقترن فيهما اسم ربنا وسيدنا بسبط يهوذا، وذلك لأنه أطلق عليه في كل مرة "إبن داود" (وهو اللقب الرسمي للمسيا الملك الذي عزاه إلى المسيح كثيرون ممن رأوه)- والواقع أن شخصيته أنست الناس التفكير في أسرته أو سلالته، وحصروا أفكارهم في غرابة شخصه. ولقبه المختار "إبن الإنسان" أليق الألقاب به لأنه لقب جامع شامل. ولكن كاتبنا، ليزيد الأمر وضوحاً لقرائه، يذكّرهم أن المسيح ولد في سبط يهوذا "وهو سبط لم يشر موسى في كلامه عنه إلى الكهنوت" كما يظهر من مراجعة العهد القديم. فيسوع إذاً لم يكن ولم يكن أن يكون كاهناً من رتبة هرون. ففصل رتبة الكهنوت من نيل هرون إذاً أحدث بالفعل تغييراً في الشريعة كما أسلفنا. على أن مغزى النبوة لم ينته بعد "ومما يزيد الأمر وضوحاً" والأمر الذي يراد إيضاحه هو الصفة المؤقتة للكهنوت اللاوي ولشريعة الذبائح المقترنة به. وكان هذا تدبيراً مؤقتاً احتياطياً لتدريب شعب الله إلى أن يُعطى لهم شيء آخر أكثر كمالاً "للغاية إن كاهناً آخر يقوم على شعبه ملكي صادق" كما رأينا. والأمر المهم في الآية هو قوله أن هذا الكاهن "لم يقم بمقتضى شريعة وصية جسدية" كالكاهن اللاوي الذي كانت كفاءته قائمة بنسبه الجسدي وخلوه من العيوب الجسدية "بل بمقتضى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قوة حياة لا تفنى" وفي هذه المقابلة أمران حريان بالاعتبار (الأول) أن كفاءة هذا الكاهن الحقيقي كانت شخصية حقيقية في قوته وحياته. حالة أن الكهنوت القديم كان قائماً على الشريعة الخارجية (والثاني) أن الكهنوت الجديد هو روحي لا يفنى ولا يتغير. وأما الكهنوت القديم فجسدي زمني قابل للفناء. وهذا أيضاً واضح من خلال آية المزمور المئة والعاشر "لأنه" أي الكتاب "يشهد" في مزمور ١١٠ "أن أنت كاهن إلى الأبد" والأمر المهم هنا أبدية الكهنوت "على رتبة ملكي صادق" فشريعة المسيح ختامية أبدية.

وقد لخص الكاتب بعد ذلك الثلاثة الأوجه التي تقوم بها أفضلية كهنوت المسيح فقال "فمن الجهة الواحدة يقع الإلغاء في الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها" أي أن كل وصية سابقة تكون بمثابة تمهيد للوصية اللاحقة ولكنها لا تفيد كثيراً إذا اعتبرناها نهائية. فالوصية التي أشار إليها الكاتب كانت حسنة باعتبار الرمز ولكنها ضعيفة باعتبار المرموز إليه. ولذلك كان لا بد من إلغائها. كان هذا كلاماً صريحاً. ومن الهين علينا أن نقر وجهة النظر هذه ونسلم بها. ولكن هذا القول كان في نظر أولئك المسيحيين الذين نشأوا تحت الشريعة القديمة بمثابة ثورة فكرية. ويجب ألاَّ يفوتنا طبعاً أن المبادئ الأدبية العظمة التي قامة عليها الشريعة القديمة بقية ثابتة. ولم يُشر هنا إلى الوصايا مثل "لا تقتل، لا تسرق" فأن المسيح نفسه قال أنه جاء ليكمل وصايا الشريعة الأدبية هذه، وأضاف كثيراً إلى عمق معناها. أما الشريعة المشار إليها هنا فهي المتعلقة بالذبائح والتقدمات التي لم تعد ضرورية بعد أن تمَّت الذبيحة الأزلية الكاملة. "لأن الشريعة لم تكمل شيئاً" شأن كل شيء تمهيدي "ومن الجهة الأخرى" يقع "إيجاد رجاء أفضل" في المسيح المخلص التام.

٧: ٢١ ـ ٢٨	
٢١لأَنَّ أُولَئِكَ بِدُونِ قَسَمٍ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً، وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمٍ مِنَ الْقَائِلِ لَهُ: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إِلَى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ». ٢٢عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ قَدْ صَارَ يَسُوعُ ضَامِناً لِعَهْدٍ أَفْضَلَ. ٢٣وَأُولَئِكَ قَدْ صَارُوا كَهَنَةً كَثِيرِينَ مِنْ أَجْلِ مَنْعَهُمْ بِالْمَوْتِ عَنِ الْبَقَاءِ، ٢٤وَأَمَّا	لأن أولئك صاروا كهنة بدون قسم، وَأَمَّا هَذَا فَبِقَسَمٍ الذي قال لَهُ: «أَقْسَمَ الرَّبُّ وَلَنْ يَنْدَمَ، أَنْتَ كَاهِنٌ إلى الأَبَدِ عَلَى رُتْبَةِ مَلْكِي صَادِقَ» ثم إن أولئك قد صاروا كهنة عدة إذ كان الموت يحول دون بقائهم وأما هذا فلكونه يبقى "إلى الأبد" له كهنوت لا يحول فلذلك هو قادر أن يخلص للغاية الذين يقتربون به إلى الله

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هَذَا فَمِن أجلِ أَنَّهُ يَبْقَى إلى الأَبَدِ، لَهُ كَهَنُوتٌ لاَ يَزُولُ. ٢٥فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إلى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إلى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ. ٢٦لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هَذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ ٢٧الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ أَوَّلاً عَنْ خَطَايَا نَفْسِهِ ثُمَّ عَنْ خَطَايَا الشَّعْبِ، لأَنَّهُ فَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَاحِدَةً، إِذْ قَدَّمَ نَفْسَهُ. ٢٨فَإِنَّ النَّامُوسَ يُقِيمُ أُنَاساً بِهِمْ ضُعْفٌ رُؤَسَاءَ كَهَنَةٍ. وَأَمَّا كَلِمَةُ الْقَسَمِ الَّتِي بَعْدَ النَّامُوسِ فَتُقِيمُ ابْناً مُكَمَّلاً إلى الأَبَدِ	إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم هذا هو الكاهن الذي يلائمنا- قدوس. بريء. زكي. متنزه عن الخطأة. قد تعالى عن السماوات لا حاجة له أن يقرّب كل يوم مثل رؤساء الكهنة ذبائح عن خطاياه أولاً ثم عن خطايا الشعب لأنه تمم هذا مرة واحدة عندما قرب نفسه فإن الشريعة تقيم أناساً ذوي ضعف رؤساء كهنة. وأما كلمة القسم التي عقبت الشريعة فتتميم الابن مكملاً إلى الأبد.

لاحظ كيف يستخدم الكاتب من الآن فصاعداً في رسالته تعابير مثل "أفضل" فهو يأخذ من المسيحيين العبرانيين بعض الأشياء القديمة التي اعتزوا بها في طفولتهم، ولكنه لم يغفل إعطاءهم شيئاً "أفضل" عوضاً عنها مثل هذا الرجاء الذي "نقترب به إلى الله" وذلك غاية كل دين. ففي الشريعة القديمة كان رئيس الكهنة هو وحده الذي "يقترب" إلى الله. أما الآن فكل المؤمنين يدخلون وراء الحجاب "ثم بما أن ذلك" أي إيجاد الرجاء الأفضل "لم يحصل بدون قسم" بل كان بيمين عظيمة نطق بها الله تعالى "فعلى ذلك صار يسوع ضامناً لعهد أفضل" إذ لم يكن النظام القديم مقيداً بقيد كهذا والضامن هو الذي يتعهد بحدوث شيء. فالمسيح الصاعد إلى السماء يشهد بأن هذا لا بد أن يكون. والتأكيد ليس مقتصراً على المستقبل بل عن شيء حادث الآن، حاضر ولكن غير منظور "لأن أولئك" الكهنة اللاويين "صاروا كهنة بدون قسم وأما هذا" المشار إليه في النبوة "فبقسم ذلك الذي قال له" بفم نبيه

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في المزمور "أقسم الله ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق" وقد كرر في هذا الملخص الأمر المهم الذي زاد الأمر وضوحاً للغاية أي أبدية الكهنوت وكان الكهنوت اللاوي وظيفة مدى الحياة، ولكن الحياة تنتهي عند حدّ. انتقل الكهنوت من الآب إلى الابن، ولكن الأسر تنقرض. أما كهنوت المسيح وحده فكان "قوة حياة لا تزول" (أنظر آية ١٦)

فقال "ثم أن أولئك" أي بني لاوي "قد صاروا كهنة عدة" لتوارثهم الكهنوت جيلاً فجيلاً "إذ كان الموت يحول دون بقائهم" ويمنعهم من الامتياز بعضهم عن بعض ومن إتيان أمر خالد الأثر "وأما هذا" أي المسيح "فلكونه يبقى إلى الأبد" كما جاء في آية المزامير "له كهنوت لا يحول" والكلمة اليونانية المترجمة "لا يحول" كلمة خصيبة بالمعنى. وأحد معانيها "الذي لا يمكن غزوه". فالكهنوت الأرضي تغزوه هجمات الموت أو هجمات المرض أو هجمات العدو، كما فعل البابليون أو الرومان في تحطيم الهيكل وأسر الكهنة أو قتلهم. أما الكهنوت الخالد في السمائيات فهو بمأمن عن كل غزو أو تهجم مما يدل على أبدية شفاعة يسوع وأهمية وساطته وكونه وجيهاً في الدنيا والآخرة. ومما يجدر بالذكر هنا أن كون أولئك الكهنة عدة ليس دليلاً على القوة بل بالعكس يشير إلى قلة فائدتهم. وأما وحدة المسيح أو تفرده فقد كانت علة قوته ومعلولها كما يتضح من الآية التالية التي لخص بها الأوجه الثلاثة التي تقوم بها أفضلية كهنوت المسيح فقال "فلذلك" أي لكونه (أولاً) قد ألغى النظام القديم وجاء بالنظام الجديد (وثانياً) تعين بالقسم (وثالثاً) كهنوته أبدي "هو قادر" وله منتهى السلطة "أن يخلص" لأن نصرة ذلك القائد البطل قائمة بحفظه أنفس الغير من الهلاك لا بإهلاكها "للغاية" أي أن خلاصه كامل لا تشوبه نقيصة وهو يتناول جميع "الذين يقتربون به إلى الله" كما أن عجلات القاطرة الكهربائية لا تتحرك ما لم تقترب وتتصل بالمجرى الكهربائي "إذ هو حي في كل حين" أي أن حياته ليست فقط خالدة بل يستطيع أن يبلغها كل إنسان في كل زمان ومكان لأنه وعد قائلاً "ها أنا معكم كل الأيام" ولم يقل "حتى انقضاء العالم" (متى ٢٨:٢٠) فقط "ليشفع فينا" ليس بالكلام بل بالعمل باتخاذه الناسوت الكامل للنيابة عن البشر. فالذين يتبعونه بالإيمان ينالون كمال الناسوت. بهذه الكيفية يشفع المسيح فينا وعند ما كان يدخل رؤساء كهنة اليهود إلى قدس الأقداس، كانوا يحملون معهم أسماء أسباط أمتهم، كأنهم يمثلون الأمة كلها أمام الله، وقد جاء في سفر الخروج ص ٢٨ آية ٢٩: "يحمل هرون أسماء بني إسرائيل في صُدْرة القضاء على قلبه عند دخوله إلى القدس للتذكار أمام الرب دائماً". فكان يدخل عن أمته شفيعاً. وقد أخذ المسيح إلى القدس السمائي، لا اسباط إسرائيل الإثنى عشر، بل أخذ الإنسانية الكاملة، إنسانية مَن كان فعلاً "إبن الإنسان" وممثل الجنس البشري.

"هذا" أي من هذا النوع "هو الكاهن الذي يلائمنا" نحن البشر الخطاة الذين نحتاج إلى قوة خارجية لتنهضنا. فنحن نحتاج إلى فاد "قدوس" ليهبنا القداسة. والكلمة اليونانية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المترجمة هنا "قدوس" تنطوي على القداسة الناشئة، لا عن الانفصال عن الحياة الإنسانية، بل عن تكميل التقوى في الحياة الإنسانية، تكميل الأخلاق. فالكلمة إذن تصف رئيس كهنتنا نفسه. ثم هو "بريء" ليبررنا. والكلمة المترجمة "بريء" تصف سلوكه واستقامته ونزاهته في معاملاته مع الآخرين و "زكي" ليطهرنا، والكلمة اليونانية تنطوي على التنزه عن كل شائبة أو شية تضاد الطهارة. وكان على رئيس الكهنة أن يتخذ التحوطات الكافية ضد النجاسة والدنس (لاويين ٢١:١٠-١٥)، وأن يتجنب أي اختلاط مع البشر مدى سبعة أيام قبل الاحتفال بيوم الكفارة العظيم. ولكن رئيس كهنتنا بل عيب، بحيث إذا مسَّ أبرص، لا يتدنس بهذه اللمسة، ولكنه يطهر الأبرص ذاته. وهذه الطهارة المنقية المحرقة هي التي نفتقر إليها في نجاستنا. (متنزه عن الخطاة) "فهو قد تسامى فوق ظلال لياليا، ولن يقدر أن ينال منه الحسد والكراهية والألم والافتراء، ولا التعذيب". "قد تعالى عن السموات" ليجتذبنا إليه من الأرض ومن السفليات "لا حاجة له أن يقرب كل يوم مثل رؤساء الكهنة ذبائح" لأن الكثرة كثيراً ما تكون دليل الضعف كما رأينا "عن خطاياه أولاً" فأن المسيح كان بدون خطية "ثم عن خطايا الشعب" مرة في السنة "لأنه تمم هذا" أي تقريب الذبيحة العمومية "مرة واحدة" ووحدة تلك المرة دليل نفعها وقوتها "عند ما قرَّب نفسه" هذا هو السر وهو أن الذبيحة لم تكن عديمة القيمة كخروف الذبيحة مثلاً بل كانت ذات قيمة لا تثمن لأنها كانت نفس المسيح وقد شرح الرسول قيمتها فيما يلي. هذا هو الشفيع القادر أن يخلصنا "فأن الشريعة تقيم إنساناً ذوي ضعف رؤساء كهنة" فأي نفع يرجى من أولئك الضعفاء؟ "وأما كلمة القسم التي عقبت الشريعة" في النظام الجديد- نظام النعمة والحق "فتقيم الابن" المقتدر إذاً "مكملاً إلى الأبد" فلا يحتاج إلى من يقوم مقامه أو يخلفه. وفي هذه العبارة "الابن مكملاً إلى الأبد" تجتمع الحقيقتان البارزتان في طبيعته: أولاهما كرامة الابن الإلهية، ثم الترويض البشري في التجسد الذي انطوت عليه الكلمة (مكملاً). قارن ص ٥آية ٨ فهنا نرى النتائج السمائية للآلام في ص ٥آية ٨

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الميثاق الجديد

٨: ١ ـ ١٢	
١وَأَمَّا رَأْسُ الْكَلاَمِ فَهُوَ أَنَّ لَنَا رَئِيسَ كَهَنَةٍ مِثْلَ هَذَا، قَدْ جَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ الْعَظَمَةِ فِي السَّمَاوَاتِ ٢خَادِماً لِلأَقْدَاسِ وَالْمَسْكَنِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي نَصَبَهُ الرَّبُّ لاَ إِنْسَانٌ. ٣لأَنَّ كُلَّ رَئِيسِ كَهَنَةٍ يُقَامُ لِكَيْ يُقَدِّمَ قَرَابِينَ وَذَبَائِحَ. فَمِنْ ثَمَّ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا أَيْضاً شَيْءٌ يُقَدِّمُهُ. ٤فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عَلَى الأَرْضِ لَمَا كَانَ كَاهِناً، إِذْ يُوجَدُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يُقَدِّمُونَ قَرَابِينَ حَسَبَ النَّامُوسِ، ٥الَّذِينَ يَخْدِمُونَ شِبْهَ السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا، كَمَا أُوحِيَ إِلى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ يَصْنَعَ الْمَسْكَنَ. لأَنَّهُ قَالَ: «انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ». ٦وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمَةٍ أَفْضَلَ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ أَيْضاً لِعَهْدٍ أَعْظَمَ، قَدْ تَثَبَّتَ عَلَى مَوَاعِيدَ أَفْضَلَ. ٧فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الأَوَّلُ بِلاَ	وتتميم الكلام إن لنا رئيس كهنة كهذا قد جلس إلى يمين عرش العظمة في السموات. وهو خادم المقدس والمسكن الحقيقي الذي نصبه الرب لا الإنسان. لأن كل رئيس كهنة إنما يقام لكي يقدم قرابين وذبائح. فمن ثم لا بد أن يكون لهذا أيضاً شيء يقدمه فلو كان على الأرض، ما كان كاهناً على الإطلاق إذ هنالك من يقدمون القرابين بمقتضى الشريعة. ممن يخدمون ما هو شبه السَّمَاوِيَّاتِ وَظِلَّهَا كَمَا أُوحِيَ إِلى مُوسَى وَهُوَ مُزْمِعٌ أَنْ ينشئ الْمَسْكَنَ إذ قَالَ: «انْظُرْ أَنْ تَصْنَعَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ الْمِثَالِ الَّذِي أُظْهِرَ لَكَ فِي الْجَبَلِ». وأما الآنَ فقَدْ حَصَلَ عَلَى خِدْمٍ أجلّ بِمِقْدَارِ مَا هُوَ وَسِيطٌ لِعَهْدٍ أفضل قد شنّ على مواعيد أفضل. فإنه لو كان ذلك العهد الأول بلا عيب لم يلتمس موضع لثانٍ. لأنه يقول لهم عائباً إياهم: «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عَيْبٍ لَمَا طَلَبَ مَوْضِعٌ لِثَانٍ. ٨لأَنَّهُ يَقُولُ لَهُمْ لاَئِماً: «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ، حِينَ أُكَمِّلُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. ٩لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي عَمِلْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا فِي عَهْدِي، وَأَنَا أَهْمَلْتُهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. ١٠لأَنَّ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي أَذْهَانِهِمْ، وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلَهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً. ١١وَلاَ يُعَلِّمُونَ كُلُّ وَاحِدٍ قَرِيبَهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ قَائِلاً: اعْرِفِ الرَّبَّ، لأَنَّ الْجَمِيعَ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلى كَبِيرِهِمْ. ١٢لأَنِّي أَكُونُ صَفُوحاً عَنْ آثَامِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ». ١٣فَإِذْ قَالَ «جَدِيداً» عَتَّقَ الأَوَّلَ. وَأَمَّا مَا عَتَقَ وَشَاخَ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الاِضْمِحْلاَلِ	أنشئ مَعَ آل إِسْرَائِيلَ وَمَعَ آل يَهُوذَا عَهْداً "جَدِيداً". لاَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قطعته مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أخذت بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لأَنَّهُمْ لَمْ يَثْبُتُوا على عَهْدِي، فأَهْمَلْتُهُمْ أنا يَقُولُ الرَّبُّ. لأن هذا هو العهد الذي أعاهد به آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب إني أجعل شرائعي في أذهانهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي أمة. ولا يعلّم بعد كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً اعرف الرب. لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم. لأني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد". فبقوله "جديداً" جعل الأول عتيقاً. وإن ما كان عتيقاً وشائخاً فهو موشك على الفناء.

بعد أن أسهب الكاتب في وصف كهنوت المسيح وأثبت كونه أزلياً فائقاً لكهنوت هرون أنتقل إلى الكلام عن أمر آخر وهو خدمة ذلك الكاهن ووظيفته وبدأ برسم صورة لخدمة رئيس الكهنة العظيم فقال "وتتميم الكلام" وفي الأصل اليوناني "وتاج الكلام" وفي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ذلك إشارة إلى أن الكاتب أراد أن يضيف إلى أقواله السابقة قولاً آخر لا يكون بمثابة تكرار للأقوال السابقة بل تدرج إلى فكر جديد هو بيت القصيد في مقاله. وذلك الفكر هو "أن لنا رئيس كهنة كهذا قد جلس إلى يمين عرش العظمة في السموات" ومرة أخرى يستمد الكاتب فكره من مزمور ١١٠ الذي تأمله ملياً ونراه الآن يفكر في الآية الأولى من المزمور. فالمسيح لم يرتفع إلى يمين العظمى فقط بل "جلس" هنالك رمزاً إلى استوائه على عرش الملكوت. أما قوله "يمين العظمى" فليس المراد منه جهة من الجهات الست بل هو إشارة إلى كمال السلطة. وكثيراً ما تستعار الذراع اليمنى للدلالة على القوة. فالمسيح الممجد- كلمة الله الأزلي- هو قوة الله النافذة. هذا هو "تتميم الكلام" الذي أشار إليه الكاتب "وهو خادم المقدس" أي قدس الأقداس السموي. وهنا غذاء دسم للتفكير. فالذي يجلس على العرش يخدم! فالمسيح يخدم ولو أنه يملك، ويملك في الخدمة. وتمثل الكلمتان ناحيتي شخصه وعمله- جلاله الإلهي، ومحبته غير المحدودة. والكلمة المترجمة هنا "خادم" تنصرف في اليونانية إلى المعينين خصيصاً لنوع خاص من العمل، ومن ثمَّ انصرفت إلى الخدمة التي يقوم بها المفرزون لخدمة الآلهة في الهيكل الوثني، أو خدمة الله في الهيكل اليهودي أو الكنيسة المسيحية. ومن هذه الكلمة اليونانية المترجمة "خدمة" اشتقت الكلمة التي خلعتها الكنائس الشرقية على أعظم الخدمات الدينية المسيحية وهي "قداس leitourgia أو liturgy".

"والمسكن الحقيقي" ترى لِمَ يقارن الكاتب المقْدس السمائي بذلك المسكن المصنوع من الجلود، ذلك البناء المؤقت الذي كان أشبه بخيمة أقامها بنو إسرائيل في تيه البرية، ونقلوها إلى حيثما ارتحلوا؟ كان الأولى أن يقارنه بأمجاد هيكل أورشليم الثابت على صخرته، الذائع الصيت في العالم، المتلمع بالذهب الوهاج. ولتعليل هذا نرجح أن الكاتب أراد أن يفكر في دين الإسرائيليين في أطهر أوضاعه، حينما كانوا يتلقون الوحي السمائي من الجبل المقدس. وكان "مسكن" البرية في نظر الكاتب صورة للقدس السمائي أطهر من الهيكل العظيم في أورشليم "الذي نصبه الرب" منذ الأزل. لأن حضور الله يتخذ لنفسه مقدساً "لأن الإنسان" الذي بنى المسكن الزمني للإسرائيليين "لأن" وفي الكلام تعليل لنسبة الخدمة إلى المسيح الممجد "كل رئيس كهنة" كهذا "إنما يقام لكي يقدم قرابين وذبائح" إتماماً للخدمة التي هو منوط بها. وكان على رئيس كهنة اليهود أن يقدم فرباناً، ليمكنه بواسطة الدم الدخول إلى حضرة الله في يوم الكفارة العظيم "فمن ثم لا بد" بطبيعة الحال "أن يكون لهذا أيضاً" أي للمسيح "شيء يقدمه" وذلك الشيء هو ذاته الطاهرة كما سنرى بعد الفراغ من الكلام عن "المسكن الحقيقي" غير المصنوع بالأيدي وعن دخول المسيح ذلك المسكن

"فلو كان على الأرض" أي لو لم يرتفع إلى المقدس السموي "ما كان كاهناً على الإطلاق" أي أن ذلك الكاهن الأعظم ما كان يليق إذ ذاك للخدمة الأرضية! ولماذا؟ "إذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هنالك من يقدمون القرابين بمقتدى الشريعة" بحيث لا تكون حاجة إلى آخرين ولا يوجد مركز لخادم جديد "ممن يخدمون ما هو شبه السمويات" أي لا السمويات نفسها "وظلها" لا جوهرها. والإشارة هي إلى كهنة الهيكل اليهودي. وتبرز حقيقة إيمان الكاتب في كلمات كهذه. فهو لم يكن ممن يؤمنون، كما حاول أن يفهمنا بعض الفلاسفة إن كل الأشياء الأرضية أحلام وخداع. ولكنه يؤمن إيماناً قوياً عميقاً في حقيقة الله بحيث يرى النظام الحقيقي في العالم الأزلي وفي هذا العالم المستمد حقيقته من ذاك، وهو أقل حقيقة، بل هو في الواقع ظلٌّ لتلك الحقائق الناصعة. والظلّ يدل على وجود شيء أثبت منه بقاء، فلا وجود له بدون الشيء الذي يحدثه. ويفكر كثيرون من الناس أن الأشياء الأرضية حقائق ثابتة، وأشياء العالم السمائي ليست إلاَّ ظلالاً رقيقة. وهنا نرى أنه يجب أن نقلب طرائق تفكيرنا! وقد استشهد الكاتب بآية من الكتاب تدل على أن الأرضيات المقدسة إنما هي ظلال، أشباهها السمويات. فقال "كما أوحى إلي موسى وهو مزمع أن ينشئ المسكن" في البرية "إذ قال" له الله "أنظر أن تصنع كل شيء" من المقدس ومتعلقاته "حسب النموذج الذي أنت مُراه في الجبل" أنظر خروج ٢٥:٤٠ و٢٦:٣٠ و٢٧:٨ وأعمال ٧:٤٤. والذي رآه موسى في الجبل المقدس لم يكن إلا نموذجاً. وما نظن أن موسى شهد السمويات كما هي. ولكنه رآها بقدر ما يستطيع الإنسان البشري، المقيد بحدود وقيود الطبيعة البشرية، أن يرى. والأشياء السمائية التي سُمح لموسى أن يراها أعطته نموذجاً، تحت الإرشاد الإلهي، يمكن النسج على شاكلته في الأرض. وقد راق لليهود، كما راق للعرب، أن يفكروا بشوق في معاني الأسماء الشخصية. وراق في نظر فيلو الفيلسوف اليهودي السكندري أن يقول أن الرجل الذي صنع أثاث خيمة الاجتماع تحت إرشاد موسى على نسق ظلال السمويات، أطلق عليه لقب عبراني "بزالائيل" الذي معناه "في ظل الله".

فمهمة موسى إذ كانت ثانوية- أي مهمة ناسخ مقلد لا صانع أصلي. وبعد ذلك يعود الكاتب إلى عالم الحقيقة، العالم العلوي حيث دخل المسيح ليخدم إلى الأبد "وأما الآن فقد حصل" المسيح "على خدم أجل" من الخدم التي رسمها موسى "بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل" متسامياً فوق جميع العهود القديمة التي قطعت مع نوح (تكوين ٨:٢٠ و١٢و٩:٨- ١٧) ومع إبرهيم (تكوين ١٥:٩- ١١ و١٧ و٢٢) ومع موسى (خروج ٢٤:٥- ١٧) متسامياً فوق جميع هؤلاء وهو لم يسمُ عليه أحد. لأن العهد مع الله، كما فهم العبرانيون منه، كان نظاماً جليلاً لصلة دينية بدأت في حادث تاريخي بتقديم ذبيحة لله. فكان من الطبيعي إذاً أن يتكلم الكاتب عن يسوع كوسيط لعهد جديد، إذ قدم ذاته أساساً لهذا العهد، وبهذه الذبيحة مهد السبيل لإخوته بني البشر إلى صلة جديدة مع الله وحرية الدخول إلى لدنه وعهده الجديد "سن على مواعد أفضل" (وسيقدم لنا الكاتب بعد قليل نموذجاً منها) لأن كل عهد يتضمن مواعد. وأفضلية هذه المواعد تثبت أفضلية العهد الذي عقده المسيح، وأفضلية العهد تثبت أفضلية الخدم الكهنوتية التي تعهد بها يسوع.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يقدم كاتب الرسالة الآن موعداً من المواعد التي قام بها "العهد الجديد" ويختاره ليلقى نوراً على طبيعة ذلك العهد الجوهرية. تصوّر في خيالاتك مرة أخرى القراء الأولين لهذه الرسالة: هم عبرانيون نشأوا على التفاخر بأنهم الأمة الوحيدة التي قطع معها الله سبحانه وتعالى عهداً. وكان اليهود في نظر محمد نبي المسلمين، بعد هذا التاريخ بستة قرون، "أهل الكتاب" ولو سألتهم عن معنى هذا اللقب في نظرهم، لأجاوبك: "أجل، أهل كتاب العهد" (خروج٢٤:٧). فهل قُضى على أولئك المسيحيين العبرانيين أن يفقدوا، بإتباعهم المسيح، ما اعتزت به النفوس التقية، وما أحسَّت به في انتمائها إلى "شعب خاص" قطع الله معه عهداً عربوناً عن صلة لا نظير لها؟ أن كاتب الرسالة يبين لهم من كتبهم أن عهداً آخر، أعظم وأعمق وأكثر تغوراً إلى النفوس، سبق أن قطعه الله، والمسيح هو المرشد والدليل في هذا العهد الجديد الأفضل. فهم "أهل العهد" ما زالوا.

"فأنه لو كان ذلك العهد الأول" الذي توسط به موسى "بلا عيب" وبالتالي لائقاً أن يدوم إلى الأبد "لم يلتمس موضع لثانٍ" ولكن هل حصل ذلك الإلتماس؟ ولو حصل هل كان هنالك ما يسوغه؟ نعم أنه حصل في الكتاب نفسه بل أن الله نفسه هو الذي قام به "لأنه" أي الله "يقول لهم" أي للذين أعطوا العهد الأول "عائباً إياهم" لاحظ أن العيب لم يقع على العهد نفسه بل على أصحاب العهد. وإنما وجه إلى العهد نظراً لفشل أهله. والإشارة هنا إلى ارمياء ٣١:٣١- ٣٤

وكتب ارمياء النبي، الذي يقتبس عنه الكاتب الآن، في أزمنة الضيق الخانقة من تاريخ شعبه. فكان نصف أمته (إسرائيل) قد حُمل مسبياً إلى أرض وثنية غريبة، والنصف الآخر (يهوذا) على وشك أن يقفوا أثره إلى المنفى الذليل. وكان الفريقان قد تجاهلا عهد الله وحنثا به، العهد الذي قطعه لموسى. فأهمله الله (أنظر آية٩) ونشأ عن ذلك هذه النتائج المحزنة الأليمة. وفي فترة الدينونة الرهيبة يرسل الله نبيه ارمياء برسالة الرجاء في عهد جديد يخالف العهد الأول. "هوذا أيام تأتي" في مستقبل عصر ارمياء- حيث العهد الأول "يقول الرب" الكلام صادر عن كائن أعظم من أرميا "أنشىء مع آل إسرائيل وآل يهوذا عهداً جديداً" وجدة ذلك العهد هي الأمر المهم فأنه تنبأ عن عهد جديد "لا كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أخذت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر" الإشارة هي إلى العهد الأول القديم الذي قطعه الله مع بني إسرائيل على يد موسى. "لأنهم لم يثبتوا على عهدي" أن عدم ثباتهم على العهد هو الذي اقتضى أحداث تغيير في ذلك العهد "فأهملتهم أنا يقول الرب" وهم الآن في عصر ارمياء (حوالي ٨٠٠ سنة بعد موسى ونحو ٦٠٠ سنة قبل المسيح) تحزُّ في قلوبهم النتائج الأليمة الناجمة عن فشلهم في الاحتفاظ بعهد الله. ولكن حتى الآن أبّان ذلتهم وانكسارهم يعدُّ لهم الله عهداً أفضل وأعمق، تكون فيه النعمة- لا شريعة- أساس الصلة بالله، عهداً يقوم على دعائم جديدة كما سنرى في الآيات التالية: "لأن هذا هو العهد

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذي أعاهد به آل إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب أني أجعل شرائعي في أذهانهم (مستودع الأفكار وحياة العقل) "واكتبها على قلوبهم" (مستودع حياتهم الشخصية، حياة المحبة والإرادة والشعور) بخلاف العهد الأول فأن وصاياه كانت منقوشة نقشاً مادياً وكثيراً ما كان القلب يعجز عن أن يعيها "وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي أمة" وذلك نتيجة العهد الجديد وأفضليته على العهد القديم باعتبار روحانيته. فإذا رسخت مبادئه في قلوب المؤمنين أصبحوا في الحقيقة أمة لله. هكذا كان المنتظر لأن خلاصة العهد الجديد كانت إتمام العلاقات الداخلية بين النفس والله. وهذا يأتي بنا إلى الأمر الآخر وهو "ولا يعلّم بعد كل واحد قريبه وكل واحد أخاه قائلاً أعرف الرب" أي أن التعليم لا يكون خارجياً فلا يلقن المعلم تلاميذه "لأن الجميع سيعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم" فيكون التعليم منتشراً عاماً بين أولاد العهد الجديد الذين متى حصلوا عليه كانوا كأنهم قد ولدوا ثانية ودخلوا العهد من باب التوبة كما ترى مما يلي: "لأني أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد" وهذا أساس العهد الجديد فأن الله يغفر خطايا الخاطئ ويهديه ويعدُّه للطاعة فيكون خاضعاً للشريعة الجديدة- شريعة المحبة لله والإنسان. هذه هي الشريعة المشار إليها في كلام ارمياء وقد أنبئ صريحاً قبل إتمامها بستة قرون. وقد علق الكاتب عليها بقوله "فبقوله جديداً" أي بقوله "أنشئ مع آل إسرائيل... عهداً جديداً" "جعل الأول عتيقاً" كما هو المعقول منطقياً. فيكون العهد القديم إذاً قد زال "وأن ما كان عتيقاً وشائخاً فهو موشك على الفناء" ليس المعنى أنه يجب نقضه بل أن دوره قد تم. فالمسيح لم يأت لينقض الناموس بل ليتممه. كما أن الدودة عندما تصبح فراشة فالفراشة لا تنقض الدودة بل تكملها وتتمم الغاية التي وجدت من أجلها. فالمسيح بإتمامه عهد المحبة والنعمة الجديدة نبذ قشر الناموس الموسوي. هذا هو الدرس الذي كان العبرانيون لا يزالون يحتاجون إليه. فهم ارتاعوا لزوال الشريعة وطقوس الهيكل والكهنوت والتقدمات والصلوات وغيرها من الشعائر فكان لا بد من تطمين عقولهم.

سل القديسين الذين حاولوا أن يعيشوا في أي دين: "ما الهَدف في الدين الحق!" يجيبوك: "هو الاعتراف بالله والأنس معه المقرونان بمعرفته، مما لا يتهيأ إلاَّ للذين ثبتوا في إرادته ورضوا بها. ولن يكون هذا إلاَّ بإظهار رحمته في الغفران التام". هذا نتيجة العهد الذي قام يسوع وسيطاً له.

رأينا من شرح الفصول السابقة (١) أن هنالك كاهناً وشفيعاً أزلياً و (٢) أن العهد المعقود بين الله والإنسان بواسطة الشفيع هو عهد أزلي. ونأتي الآن إلى أمر ثالث وهو وظيفة ذلك الكاهن فيما يختص بالتقدمات.

ويبدأ وصفه بتذكير قارئيه بشكل المقْدس ونوع الخدمات التي استمتعها شعب إسرائيل تحت العهد الأول في أبهى عصوره المبكرة. لأن هذه الأشياء، على حد قوله،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كانت ظلالاً ونماذج لحقائق العالم السمائي. ولذلك نرى الكاتب يفكّر ملياً في ذخائر الماضي المقدسة الثمينة: ولم تكن تلك عديمة القيمة، فإنها ختمت بخاتم الله، ولا يجوز إغفالها إلاَّ بإحلال حقيقة أكثر منها مجداً وأكثر امتلاء بالله. فتقول الرسالة أن في شعائر العبادة الموسوية الشيء الكثير من الجلال والروعة والجاذبية، وهذا ما أحسَّ به العبرانيون المسيحيون إحساساً صادقاً مرهفاً، والمسيحيون في كل البلدان والعصور لا بد يشاركونهم في هذا الإحساس، فأنهم كلما ازدادوا إدراكاً لجمال تلك النماذج والعهود وما انطوت عليه من معان، ازداد حبهم وفهمهم لجمال الإنجيل ومعانيه، الذي يكملها.

٩: ١ ـ ١٠	
١ثُمَّ الْعَهْدُ الأَوَّلُ كَانَ لَهُ أَيْضاً فَرَائِضُ خِدْمَةٍ وَالْقُدْسُ الْعَالَمِيُّ، ٢لأَنَّهُ نُصِبَ الْمَسْكَنُ الأَوَّلُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «الْقُدْسُ» الَّذِي كَانَ فِيهِ الْمَنَارَةُ، وَالْمَائِدَةُ، وَخُبْزُ التَّقْدِمَةِ. ٣وَوَرَاءَ الْحِجَابِ الثَّانِي الْمَسْكَنُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ «قُدْسُ الأَقْدَاسِ» ٤فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ الْعَهْدِ مُغَشًّى مِنْ كُلِّ جِهَةٍ بِالذَّهَبِ، الَّذِي فِيهِ قِسْطٌ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ الْمَنُّ، وَعَصَا هَارُونَ الَّتِي أَفْرَخَتْ، وَلَوْحَا الْعَهْدِ. ٥وَفَوْقَهُ كَرُوبَا الْمَجْدِ مُظَلِّلَيْنِ الْغِطَاءَ. أَشْيَاءُ لَيْسَ لَنَا الآنَ أَنْ نَتَكَلَّمَ عَنْهَا بِالتَّفْصِيلِ. ٦ثُمَّ إِذْ صَارَتْ هَذِهِ مُهَيَّأَةً هَكَذَا، يَدْخُلُ الْكَهَنَةُ إِلَى الْمَسْكَنِ الأَوَّلِ كُلَّ حِينٍ، صَانِعِينَ الْخِدْمَةَ.	ثم أنه حتى العهد الأول كانت له فرائض عبادة ومقدس هو ديني. لأنه نصب المسكن الأول الذي يُقال له القدس وفيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة: ووراء الحجاب الثاني المسكن الذي يقال له قدس الأقداس. له مبخرة من ذهب وتابوت العهد يغشيه الذهب من كل جهة وفيه قسط من ذهب فيه المن وعصا هرون التي أفرخت ولوحا العهد. ومن فوقه كروبا المجد يظللان الغطاء. الأمور التي لا يمكن تفصيل الكلام عنها الآن. وإذ كان ذلك على هذا الترتيب فالمسكن الأول كان يدخله الكهنة في كل حين لإتمام شعائر العبادة. وأما الثاني فرئيس الكهنة فقط وذلك مرة في السنة. ولا يدخل إلا بالدم الذي يقربه عن نفسه وعن جَهَالاَتِ الشَّعْبِ.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

٧وَأَمَّا إِلَى الثَّانِي فَرَئِيسُ الْكَهَنَةِ فَقَطْ مَرَّةً فِي السَّنَةِ، لَيْسَ بِلاَ دَمٍ يُقَدِّمُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ جَهَالاَتِ الشَّعْبِ، ٨مُعْلِناً الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَذَا أَنَّ طَرِيقَ الأَقْدَاسِ لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ، مَا دَامَ الْمَسْكَنُ الأَوَّلُ لَهُ إِقَامَةٌ، ٩الَّذِي هُوَ رَمْزٌ لِلْوَقْتِ الْحَاضِرِ، الَّذِي فِيهِ تُقَدَّمُ قَرَابِينُ وَذَبَائِحُ لاَ يُمْكِنُ مِنْ جِهَةِ الضَّمِيرِ أَنْ تُكَمِّلَ الَّذِي يَخْدِمُ، ١٠وَهِيَ قَائِمَةٌ بِأَطْعِمَةٍ وَأَشْرِبَةٍ وَغَسَلاَتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَفَرَائِضَ جَسَدِيَّةٍ فَقَطْ، مَوْضُوعَةٍ إِلَى وَقْتِ الإِصْلاَحِ	وبذلك يشير الروح القدس إلى أن طريق الأقداس لم يُعلن بعد ما دام المسكن الأول قائماً. الذي هو مثال للوقت الحاضر إذ يقرب فيه تقادم وذبائح غير قادرة على تكميل العابد من جهة الضمير وإنما هي قائمة بمأكولات ومشروبات وأنواع غسل وفرائض جسدية سنت حتى زمان الإصلاح.

"ثم" إذا تركنا مسألة العهدين القديم والجديد والتفتنا إلى وظيفة المسيح الكهنوتية نجد "أنه حتى العهد الأول كانت له فرائض عبادة متنوعة" ولها فوائد "ومقدس هو دنيوي" أي من العالم المنظور فهو وقتيّ زائل، مع أن المسيح يخدم في عالمي الملكوت والجبروت غير المنظورين.

وقبل أن نأتي على الوصف التفصيلي الذي أدلى به الكاتب عن المَقْدس القديم وما كان فيه، نرجو أن يدرس القارئ الكريم الرسم التالي:

فالحرف (أ) يشير إلى الحوش والرقم (١) يدل على موضع المذبح والرقم (٢) يدل على الغطاء والحرف (ب) يشير إلى القدس. والرقم (٣- ٣) يدل على الحجاب. والرقم (٤) على المنارة الذهبية. والرقم (٥) على المائدة وخبز الوجوه. والرقم (٦) على المذبح الذهبي. والرقم (٧- ٧) على الحجاب الثاني. والحرف (ج) يشير إلى قدس الأقداس. والرقم (٨) يدل على تابوت العهد وعليه الكروبان.

"لأنه نصب المسكن الأول" وكان هذا المسكن مؤلفاً من خيمتين أقيمتا في الفناء الخارجي حيث كانت تقدم الذبائح، ومنه كان يدخل الكاهن من مدخل مسجوف "الذي يقال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

له القدس" المسكن الأول. "وفيه" أي في القدس "المنارة والمائدة وخبز التقدمة" أنظر خروج ٢٥:٢٣- ٣١

وهذه الأشياء الثلاثة دلَّت على الشكر والصلاة، على مجد النار المطهرة الممثَّلة لتسبيح عناصر الطبيعة، والخبز اليومي الذي هو تقدمة عرق الإنسان وجهاده في عمله اليومي وشكره على الخبز اليومي، ومذبح البخور الذي مثَّل دخانه المعطر بالرائحة صلوات شعب الله الصاعدة إلى السماء والممتزجة بعبادة الأجناد السمائية "ووراء الحجاب الثاني" الذي كان يفصل بين الردهتين أو المقصورتين بحيث كانت الأولى بمثابة منفذ من الحوش إلى الخيمة "المسكن الذي يقال له قدس الأقداس" لأنه كان رمزاً إلى حضور الله "له مبخرة من ذهب" ولم يقل "فيه" مبخرة من ذهب لأن المبخرة كانت في المسكن الأول. وفي الخيمة الخارجية تحدّث كل شيء عن عبادة الإنسان وتسبيحه وسائر المخلوقات الأخرى وهنا دلَّ كل شيء على الحضور الإلهي كما رأينا. وقد قيل أنها من متعلقات قدس الأقداس، لأن العبادة الروحية الممثلة بالبخور (كما رأينا) كانت متجهة على حضرة الله المقدسة. وكانت المبخرة على شكل صندوق من الخشب مطعم بالذهب. كان يُحرق فيها البخور كمذبح. فلم تكن هذه إذاً داخل قدس الأقداس بل من متعلقاته فقط، والأشياء المذكورة هي التي كانت بداخله: "وتابوت العهد يغشيه الذهب من كل جهة" وكان هذا صندوقاً ذهبياً حوى الذخائر التي ذكّرت الشعب بوحي الله وإعلان صلاحه وعنايته بهم، كما أن كلاً منها أقترن بقصة عن عصيان الشعب وفشله "وفيه قسط من ذهب" كان قد وضع "فيه المنّ" كذكرى لعناية الله الأبوية المقيتة (أنظر خروج ص ١٦) وكذلك أيضاً كان في التابوت "عصا هرون" ذكرى لاقتراب الشعب لله بواسطة نظام الكهنوت في نسل هرون (أنظر سفر العدد ص ١٦و١٧ "ولوحا العهد" القديم ذكرى لإعلان الله فوق جبل سيناء وإعطاء شعبه شريعة وعهداً لإرشاد حياته وجعله شعباً مختاراً له (أنظر خروج ٢٥:١٦ و٢١ وتثنية ٩:٩ و١٠:١) "ومن فوقه كروبا المجد يظللان الغطاء" وهما أقرب رمز إلى الله. راجع ما جاء في جواهر القرآن للغزالي صفحة ١٣ وهو قوله:

"والملائكة السموية وأعلاهم الكروبيون وهم العاكفون في حظيرة القدس، لا التفات لهم إلى الآدميين، بل لا التفات لهم إلى غير الله تعالى لاستغراقهم بجمال الحظرة الربوبية وجلالها فهم قبل الله إشارة إلى مرموزات معينة".

وكانت السحابة تستقر عادة "بين الكروبيم" وهي التي كانت تدل على حضور الله وسط شعبه في مقدسه (أنظر خروج ٢٥:٢٢ وعدد ٧:٨٩ واشعياء ٣٧:١٦ ومزامير ٨٠:١ و٩٠:١ الخ). ودعي غطاء التابوت المظلل بأجنحة الكاروبيم "كرسي الرحمة"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومما نلاحظ في هذا الوصف المثلث تكرار كلمة "ذهب" للدلالة على بهاء تلك العبادة القديمة وروعتها. وكان رئيس الكهنة يقوم بكل الواجبات المفروضة عليه يوم عيد الكفارة العظيم، وهو متشح بملابسه الذهبية.

واستأنف الكاتب كلامه فقال أن الأشياء التي أشار إليها هي من "الأمور التي لا يمكن تفصيل الكلام عنها الآن" مما يدل على أن لكل منها مغزى روحياً.

وصمت كاتب الرسالة عن الإشارة إلى معنى هذه الأشياء كلها التي أثارها في عقول قرائه، إنما يرجع إلى شديد رغبته واهتمامه في شرح مغزى الحجاب الثاني وقدس الأقداس "وإذا كان ذلك على هذا الترتيب" المرسوم من قبل الله إشارة إلى مرموزات معينة "فالمسكن الأول" أي القدس "كان يدخله الكهنة" جميعاً "في كل حين" أي يومياً "لإتمام شعائر العبادة" ولا سيما تقديم الصلوات اليومية عن الشعب بهيئة بخور يقدم على المذبح الذهبي. أنظر لوقا ١:٨ وما بعده "وأما الثاني فرئيس الكهنة فقط" إذ لم يكن يسمح لغيره أن يدخل إلى ما وراء الحجاب "وذلك مرة في السنة" في يوم الكفارة الذي كان رأس السنة اليهودية "ولا يدخل إلا بالدم".

والذي كان مصرحاً له بالدخول دون سواه، لم يكن ليسمح له ذلك بدون حمل الدم من الذبيحة المقدمة في الفناء الخارجي "الذي يقرب عن نفسه وعن جهالات الشعب" أنظر لاويين ١٦:١١- ١٧ وكان رئيس الكهنة يأخذ من دم الثور الذي كان يعد ذبيحة عن خطايا نفسه، ويحمله إلى ما وراء الحجاب ثم يرشه سبع مرات أمام كرسي الرحمة. وبعد ذلك يأخذ من دم العنزة التي كانت ذبيحة عن خطايا الشعب. ويحمله إلى ما وراء الحجاب ويرشه كما فعل بدم الثور "وبذلك" أي بهذه القيود التي ذكرناها وهي قيود الحجاب والكهنوت وقصر الدخول على رئيس الكهنة فقط دون سواه وما صحب هذا الدخول من الرسوم والطقوس التي أسلفنا "يشير الروح القدس" الذي يوحي ويعلن "إلى أن طريق الأقداس لم يعلن بعد" حتى يسلك جميع المؤمنين ويدخلوا إلى حيث الحضرة الإلهية.

وكان بنو إسرائيل الذين نصبوا خيامهم في البرية حول خيمة الله، يذكرون دائماً حضرة الله في وسطهم. ومع ذلك فأنهم حين كانوا يدخلون الخيمة ويرون أمامهم الحجاب قائماً فلا يجوز لأحد الدخول إلى ما ورائه، كانوا يذكرون أن الحضرة الإلهية الداخلية لم تكن مباحة للكل. ولم يكن بدٌّ من هذا "ما دام المسكن الأول قائما" لأن ذلك المسكن الأول كان مقراً لطقوس الذبائح الخارجية التي لم تكن إلاَّ نماذج للذبائح الحقيقية. ولم يكن الحاجز الذي حال دون دخول الإنسان إلى الحضرة الإلهية من الله، بل من الإنسان نفسه بسبب خطيته. كما يقول المتصوفة بحق أن الحجب التي لا يمكن إزالتها هي في قلب الإنسان ذاته. لذلك لم يكن ممكناً لنظام الذبائح الخارجية أن تفتح الطريق إلى حضرة الله الداخلية،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بل كان ذلك المسكن الخارجي بطقوسه بمثابة حاجز يمنع الدخول إلى قدس الأقداس، كما أن من الممالك الصغيرة ما يقف حاجزاً أو سداً منيعاً بين مملكتين عظيمتين متجاورتين. فالمسكن الأول وأن كان لا يزال يومئذ قائماً بالمعنى المادي فأن المسيح كان قد هدمه بالمعنى الروحي وذلك في اليوم الذي هجره (أنظر متى ٣٨:٢٣) وانشق الحجاب الداخلي (متى ٥١:٢٧) وهكذا تم خراب ذلك المسكن "الذي هو مثال للوقت الحاضر" "والوقت الحاضر" في عرف الكاتب يُقارن "بالدهر الآتي" (ص ٦ آية ٥). فالوقت الحاضر يمثل هذا العصر، العالم المنظور المحيط بنا، والحياة على هذه البسيطة حيث نرى الأشياء السماوية كمثال فقط. وأما الدهر الآتي فيمثل عالم الحقيقة السمائية التي نبدأ بالدخول إليها الآن، بوساطة المسيح، والتي نفوز في نهايتها بالحياة الكاملة في تماس مع الحقيقة ذاتها، لا الأمثال والرموز.

٩: ١١ ـ ٢٠	
١١وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هَذِهِ الْخَلِيقَةِ. ١٢وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُولٍ، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيّاً. ١٣لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، ١٤فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لِلَّهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ! ١٥وَلأَجْلِ هَذَا هُوَ وَسِيطُ	وأما المسيح الذي جاء رئيس كهنة للخيرات المستقبلة فإنه دخل بالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بالأيدي أي الذي ليس من هذه الخليقة. وليس بدم ثيوس وعجول، بل بدم نفسه دخل الأقداس مرة واحدة فوجد فداء أبدياً. لأنه إن كان بدم تيوس وثيران ورماد عجلة يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد. فكم بالأحرى دم المسيح الذي بالروح الأزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من الأعمال الميتة لتخدموا الله الحي. ولذلك هو وسيط عهد جديد حتى أنه بعد وقوع الموت للفداء من المعاصي التي جرت تحت العهد الأول، ينال المدعوون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عَهْدٍ جَدِيدٍ، لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ - إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ - يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ. ١٦لأَنَّهُ حَيْثُ تُوجَدُ وَصِيَّةٌ يَلْزَمُ بَيَانُ مَوْتِ الْمُوصِي. ١٧لأَنَّ الْوَصِيَّةَ ثَابِتَةٌ عَلَى الْمَوْتَى، إِذْ لاَ قُوَّةَ لَهَا الْبَتَّةَ مَا دَامَ الْمُوصِي حَيّاً. ١٨فَمِنْ ثَمَّ الأَوَّلُ أَيْضاً لَمْ يُكَرَّسْ بِلاَ دَمٍ، ١٩لأَنَّ مُوسَى بَعْدَ مَا كَلَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ بِحَسَبِ النَّامُوسِ، أَخَذَ دَمَ الْعُجُولِ وَالتُّيُوسِ، مَعَ مَاءٍ وَصُوفاً قِرْمِزِيّاً وَزُوفَا، وَرَشَّ الْكِتَابَ نَفْسَهُ وَجَمِيعَ الشَّعْبِ، ٢٠قَائِلاً: «هَذَا هُوَ دَمُ الْعَهْدِ الَّذِي أَوْصَاكُمُ اللهُ بِهِ».	موعد الميراث الأبدي لأنه حيث تكون وصية- والوصية عهد- غلا بد هناك من موت الموصي. لأن الوصية إنما هي نافذة على الموتى وإلا فلا عمل لها البتة ما دام الموصي حياً. فمن ثم لم يدشن حتى العهد الأول بلا دم. لأن موسى بعد أن تلا على جميع الشعب كل فرائض الشريعة أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوف قرمزي وزوفا ورش على الكتاب عينه وعلى جميع الشعب قائلاً هذا هو دم العهد الذي فرضه الله عليكم.

وإلى هذا "الوقت الحاضر" ينتسب النظام الموسوي كله في الاقتراب لله عن طريق التقدمات الخارجية "إذ يقرب فيه تقادم وذبائح غير قادرة على تكميل العابد من جهة الضمير" إذ لا تستطيع أن تمنح الضمير راحة ولا أن تجعل صاحب ذلك الضمير مكملاً. والمقصود من التكميل هنا تكميل غرض التقدمة. لأنها كلها متعلقة بحياة الحواس الخارجية، الأشياء التي تُلمس وتذاق وترى.

وقد اكتفى الكاتب بما قاله عنها هنا وأردفه بقوله "وإنما هي قائمة بمأكولات ومشروبات وأنواع غسل" وجميعها أمور ظاهرة محسوسة "وفرائض جسدية" لا تأثير لها في الضمير. وكانت قد "سنت حتى زمن الإصلاح" تمهيداً له ورمزاً إليه كما قال بولس الرسول في غلاطية ٣:٢٤ "قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وهاك الآن أوجه الفرق:

"وأما المسيح الذي جاء رئيس كهنة للخيرات المستقبلة" قوله "المستقبلة" هو بالنسبة إلى تلك الأزمنة التمهيدية وعبارة "الخيرات المستقبلة" يمكن أن تُقارن "بقوى الدهر الآتي" (أنظر فصل ٦ آية ٥) فتلك "القوى" يمكن أن تذاق هنا الآن، كذلك "الخيرات المستقبلة" ولو أنه لا يمكن الاستمتاع بها استمتاعاً كاملاً إلاَّ في العالم الأبدي، الذي هو موطن المسيح. "فأنه دخل بالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بالأيدي" والإشارة هنا إما إلى عالم الملكوت المقابل للقدس (بحيث يكون قدس الأقداس مقابلاً لعالم الجبروت الذي تتمثل فيه الحضرة الإلهية) أو إلى أن المسكن في حد ذاته يشير إلى الحضرة الإلهية "أي الذي ليس من هذه الخليقة" بمعنى أنه ليس من الخليقة الدنيوية أو غير مخلوق البتة "وليس بدم تيوس وعجول" كما كان يفعل رئيس الكهنة في يوم الكفارة "بل بدم نفسه" الذي أهرقه حباً بالجنس البشري فكان أثمن كفارة "دخل قدس الأقداس" السموية "مرة واحدة" بدون اضطرار لتجديد الفريضة دائماً كما يفعل رؤساء الكهنة "فوجد فداء أبدياً" لأن العمل تم بفعل عناصر أبدية فكانت النتيجة أبدية. فالمسيح الكاهن، والتقدمة، معاً دخل بدمه إلى قدس الأقداس ومكث هناك وسيظل ماكثاً إلى الأبد لأن كفارته أبدية. فأنظر الفرق بين الكفارتين "لأنه إن كان دم تيوس وثيران ورماد وعجلة يرش على المنجسين فيقدسهم لتطهير الجسد" أنظر لاويين ١٦ وعدد ١٩. وكان الإسرائيلي إذا لمس جسداً ميتاً يتنجس فيفرز عن الجماعة ولا يشترك معهم في فروضهم الدينية، ولا يتطهر إلا بطرق معينة إذا عمل بموجبها سمح له بالعودة إلى مصاحبة شعب الله. قال كاتب الرسالة إذا كانت تلك الطرق أو الوسائل تستطيع أن تطهر الإنسان "فكم بالأحرى دم المسيح" الذي لا يقدر بثمن (١) لأنه دم الإنسان الكامل والابن المتجسد و (٢) لأن اهراقه كان دليلاً على طاعته حتى الموت ومحبته التي لا تثمن. فأنه لم يقدم نفسه اعتباطاً بل هو "الذي بالروح الأزلي قدم نفسه لله بلا عيب" عن شعور كامل وإدراك تام بقوة روحه الأزلي غير القابل للفناء. فتقدمته كان لها أسمى قيمة وقربانه "يطهر ضمائركم" أيها العبرانيون وليس أجسادكم فقط. كانت الذبائح القديمة خارجية، أما هذا فذبيحة داخلية، ذبيحة نفسه واهراق الدم الخارجي أيضاً. وهذا في مكنته أن يتغور إلى ما هو أبعد من أجسادكم، إلى حياتكم الداخلية ويطهركم "من الأعمال الميتة" أي الخطايا التي تدنس النفس كما كان لمس الأجساد الميتة تدنس الإسرائيليين قديماً. فموت المسيح كفارة يذهب بذلك الدنس ويطهر الضمائر "لتخدموا الله الحي" بقلوب حية. لأن الإله الحي لا يتعبده إلا ذوو القلوب والضمائر الحية.

"ولذلك" أي لأن عمل المسيح يطهر الضمير ويصلح العلاقة بين الله والإنسان "هو وسيط عهد جديد" بل هو الخاتمة التي تسد ما كان في العهد الأول من نقص وقصور، وتعوض عنه بعهد كامل مستديم كما يتضح من الآية التالية. ويعود المؤلف بفكره إلى ذلك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الموعد النبوي في عهد جديد، فيه تُكتب شرائع الله المقدسة على قلوب شعبه، ويكون للجميع حق الوصول إليه "ويعرفونه... من صغيرهم إلى كبيرهم" (أنظر فصل ٨ آية ٨-١٢). وهو يبين الآن كيف كان موت المسيح المطهر، الوسيلة الوحيدة التي هيأت السبيل لتحقيق العهد الموعود به في ارتباط القلوب بالله. وذلك لأن كل العهود التي عرفها العبرانيون تقدمها، كما رأينا، ذبائح انطوت على الموت "حتى أنه بعد وقوع الموت" أي موت أي شيء ذي أهمية حقيقية "للفداء من المعاصي التي جرت في العهد الأول" فأن ذلك الفداء كان يسري على الماضي وهي خاصة مهمة من خواصه، لأنه إذا كان دم الحيوانات لا يستطيع أن يطهر روحياً في أيام العبرانيين، فمن الطبيعي أنه كان على مثل ذلك العجز في الأيام التي قبلها "ينال المدعوون" في ذلك الزمن وأبداً "موعد الميراث الأبدي" أي الراحة الدائمة كما جاء في الفصول السالفة- تلك الراحة المقرونة بالمغفرة والسلام والنصرة. وقد ذكر كاتب الرسالة في موضع آخر أن نفس قديسي العهد القديم ظلوا غير مكملين حتى تمام عمل المسيح (عبرانيين ١١:٤٠) والعهد الجديد أيضاً يشير إلى هذه الحقيقة بطرق متنوعة.

والآية التالية هي في الحقيقة جملة معترضة وهي تبين حالة أخرى من حالات "بعد وقوع الموت" قال "لأنه حيث تكون وصية- والوصية عهد-" أن للفظتي وصية وعهد في الأصل اليوناني لفظة واحدة تقارب معنى "عهد".

٩: ٢١- ٢٨	
٢١وَالْمَسْكَنَ أَيْضاً وَجَمِيعَ آنِيَةِ الْخِدْمَةِ رَشَّهَا كَذَلِكَ بِالدَّمِ. ٢٢وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيباً يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ! ٢٣فَكَانَ يَلْزَمُ أَنَّ أَمْثِلَةَ الأَشْيَاءِ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تُطَهَّرُ بِهَذِهِ، وَأَمَّا السَّمَاوِيَّاتُ عَيْنُهَا فَبِذَبَائِحَ أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ. ٢٤لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ،	بل المسكن أيضاً وجميع أدوات الخدمة رش عليها من الدم. ويكاد كل شيء يتطهر بالدم حسب الشريعة وبدون سفك دم لا مغفرة. فكان ينبغي أن أمثلة الأشياء التي في السموات تطهر بهذه، وأما السمويات عينها فبذبائح أفضل من هذه. لأنه ليس إلى أقداس مصنوعة بالأيدي رموزاً للحقيقة دخل المسيح، بل إلى السماء بعينها ليتراءى الآن أمام وجه الله من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بَلْ إِلى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا. ٢٥وَلاَ لِيُقَدِّمَ نَفْسَهُ مِرَاراً كَثِيرَةً، كَمَا يَدْخُلُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ إِلى الأَقْدَاسِ كُلَّ سَنَةٍ بِدَمٍ آخَرَ. ٢٦فَإِذْ ذَاكَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَتَأَلَّمَ مِرَاراً كَثِيرَةً مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، وَلَكِنَّهُ الآنَ قَدْ أُظْهِرَ مَرَّةً عِنْدَ انْقِضَاءِ الدُّهُورِ لِيُبْطِلَ الْخَطِيَّةَ بِذَبِيحَةِ نَفْسِهِ. ٢٧وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ، ٢٨هَكَذَا الْمَسِيحُ أَيْضاً، بَعْدَ مَا قُدِّمَ مَرَّةً لِكَيْ يَحْمِلَ خَطَايَا كَثِيرِينَ، سَيَظْهَرُ ثَانِيَةً بِلاَ خَطِيَّةٍ لِلْخَلاَصِ لِلَّذِينَ يَنْتَظِرُونَهُ	أجلنا. ولا ليقرب نفسه مراراً كما يدخل رئيس الكهنة كل سنة إلى الأقداس بدم غيره. وإلا كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم. ولكنه الآن عند انقضاء الدهور قد أظهر مرة واحدة لإبطال الخطية بذبيحة نفسه. وكما حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة ثم بعد ذلك الدينونة. هكذا المسيح أيضاً بعد ما قرب مرة واحدة لرفع خطايا الكثيرين سيظهر ثانية للخلاص منفصلاً عن الخطية للذين يتوقعونه.

وقد حاول الكاتب أن يبين أن ما يصدق على العهد يصدق أيضاً على "الوصية" بعد الموت فأنه "لا بد هناك من موت الموصي" أي أنه لا بد من وقوع الموت لكي يكون هنالك وصية "لأن الوصية إنما هي نافذة" بحرفيتها "على الموتى. وإلا فلا عمل لها البتة ما دام الموصي حياً" فبهذا الاعتبار أيضاً نجد أنه قد كان لا بد للسيد المسيح من الموت. لأنه ترك لنا وصية هي ميراث ثمين إذ قال "وصية جديدة أنا أعطيكم. أن تحبوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً". فهذا العهد هو وصية أكثر منه أمراً وقد كان لا بد للسيد من الموت حتى يبين لنا جلياً معنى قوله "كما أحببتكم أنا" فموت يسوع المسيح كان ضرورة أدبية روحية مهما تكن الاعتبارات التي ينظر إليه بها. وقد انتقل كاتب الرسالة من الكلام عن الوصية إلى الكلام عن وجوب الموت لإنشاء العهد فقال "ومن ثم" أي مما رأينا فيما سبق من العلاقة بين الموت وبين مزايا الوصية أو العهد، ننتقل إلى الأمر الواقع في العهد الأول- أي العهد الموسوي- الذي "لم يدشن حتى العهد الأول بدون دم" فأن ذلك العهد على رغم ضعفه يجب تدشينه وأن يكن فقط رمزاً إلى حقيقة مستقبلة "لأن موسى

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بعد أن تلا على الشعب كل فرائض الشريعة" راجع ما جاء في خروج ص ٢٠-٢٣ "أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوف قرمزي وزوفا ورش على الكتب" أي سفر العهد الذي كتبه موسى. أنظر خروج ٢٤:٤ "ورش على الكتاب عينه وعلى جميع الشعب" راجع خروج ٢٤:٨ "قائلاً هذا هو دم العهد الذي فرضه الله عليكم" خروج ٢٤:٨ وقد أشار المخلص إلى هذه الآية في العشاء الأخير في ليلة موته إذ أخذ الكأس المملوَّة من عصير العنب وقال "لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا" (متى ٢٦:٢٨) وقد أشار بهذه الآية إلى دمه الذي كان موشكاً أن يهدر وقد رمز إليه بعصير العنب الأحمر. وكان ذلك اليوم لتدشين العهد الجديد. فما أبلغ هذا التوافق بين آيات الكتاب. ثم أن الدم لم يرش على الكتاب فقط "بل المسكن أيضاً" ولم يُذكر في التوراة أن المسكن نفسه رُشَّ بالدم. ولكن يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر لكاتب الرسالة يقول أن هذه كانت العادة المتبعة (أنظر تاريخ اليهود .Antiquities of the Jews 8.6. TTT) ونرى هنا نقطة أو نقطتين من المسائل التفصيلية يذكرهما الكاتب دون أن يكون لهما سند في التوراة. ويجب ألا يفوتنا أنه قد توافر للكاتب- كما توافر للمؤرخ يوسيفوس- شيء كثير من الأحداث اليهودية وكتابات الحكماء والمؤرخين علاوة على أسفار الكتاب المقدس "وجميع أدوات الخدمة رش عليها بالدم. ويكاد كل شيء يتطهر بالدم حسب الشريعة" كما يظهر من أهمية الدم في أسفار الخروج واللاويين والعدد "وبدون سفك الدم لا مغفرة" لخص الكاتب الحقيقة بهذه الآية مبيناً أن الدم هو قوام الحياة فسفك الدم يعني بذل النفس. ولا يخفى أن أجرة الخطية هي الموت. والخلاص من هذه النتيجة لا يتم إلى إذا بذل البار نفسه في سبيل ذلك. وهذه التضحية الدالة على منتهى الحب هي للجميع بشرط أن يقبلوها بالإيمان. والإيمان يغير النفس وينصرها على الخطية وليس فقط يجنبها عن نتائجها الوخيمة.

كان رئيس الكهنة في زمن العهد القديم ينقل دم الذبيحة من المذبح إلى قدس الأقداس. وقد كان هذا الطقس رمزياً تم في المسيح الذي سفك دمه ونقل إلى قدس الأقداس الروحي أي إلى السماء. قال الكاتب "فكان ينبغي أن أمثلة الأشياء التي في السموات" والإشارة بقوله "أمثلة" هي إلى خيمة الاجتماع والأثاثات أو الأشياء الأخرى المستعملة في العبادة والتي ذكرت في بداية هذا الفصل. ولكن كيف تحتاج هذه الأشياء الجامدة غير الحية إلى التطهير بالدم (وهو الذي يرمز دائماً إلى الحياة المبذولة)؟ كانت كل هذه بلا خطية، ولا يمكن أن تخطئ. أجل هذا حق. ولكنها كانت ترمز إلى اقتراب الإنسان لله في عبادته، وتقدماته من قوى الخليقة، ونور النار، وكفاحه في الحياة، وغذائه، وإلهامه الروحي. ولأن هذه كلها اقترنت بالإنسان الساقط وعبادته، لا بد أن تطهر هي أيضاً. قارن هذا بما جاء في سفر التكوين ٣:١٧ واشعياء ٢٤:٥ ورومية ٨:٢٠ و٢١ وكأن عدوى الخطية السارية في عالمنا كله قد استوجبت أن يشمل تطهير الكاهن، لا العابدين فقط، بل المقدس الأرضي بكل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مشتملاته التي "تطهر بهذه" الذبائح الحيوانية "وأما السمويات عينها فبذبائح أفضل منها" قوله "ذبائح" بصيغة الجمع هو للتعميم لا للكثرة. والمقصود منه ذبيحة المسيح.

والسمويات معناها مقدس العبادة الروحية المرفوعة لله في العلاء، طريق الاقتراب الروحي إلى قدس الأقداس الذي هو الحضرة الإلهية. وهذا يجب تطهيره لأن الروح التي تعبد، وخدمتها الروحية، وعبادتها- هذه يجب أن تطهر أولاً قبل أن تفتح الطريق إلى قدس الأقداس الذي هو إعلان الله لذاته. وهذه الفكرة، فكرة تطهير العبادة الروحية التي يجوز بها الإنسان إلى العالم الأزلي غير المنظور، العبادة التي هي جزء من السمويات ولو أنها تقدم هنا محوطة بالظروف الأرضية- ذائعة جداً في طقوس العبادة المسيحية الأولى التي اشتملت دائماً على طلبات وأدعية لأجل ذلك التطهير. والحق أن جميع الذين سعوا وراء الله قد أحسوا بحاجتهم إلى هذا التطهير في حركات حياتهم الروحية المقدسة، ما قال ربيعة العدوية: "أني ألتمس من الله غفراناً لعدم إخلاصي حين أتقدم إليه لالتماس الغفران".

"لأنه" تفسير لما قبله "ليس إلى أقداس مصنوعة بالأيدي" كالأقداس التي صنعها موسى "رموزاً للحقيقة دخل المسيح بل إلى السماء بعينها" بل إلى قدس الأقداس الذي هو مظهر إعلان الله وتقدمة ذاته، على مقدس الإنس والتوحيد "ليتراءى الآن" وكل أوان "أمام وجه الله" وهذا لم يفعله من قبل أحد سواه لا نبي ولا كاهن. وكان رئيس الكهنة الهاروني، عند ما يدخل إلى المقدس الداخلي القاتم مرة واحدة في السنة، لا يجد مظهر الله الصريح، بل السحابة القائمة فوق عرش الرحمة. قارن هذا بقصة موسى الذي طلب أن يرى مجد الله (خروج ٣٣:١٨)

"من أجلنا" نحن الذين نؤمن بإسمه ومن أجل العالم أجمع لكي تنتشر كلمة البشارة. "ولا ليقرب نفسه مراراً كما يدخل الكاهن كل سنة إلى الأقداس بدم غيره" أن اعتماد الكاهن على دم غيره وتكرار الدخول إلى الأقداس مما يدل على عجز ذبيحته وأفضلية ذبيحة المسيح "وإلا فأنه كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم" لأن المنفعة المعزوة آنفاً إلى موت المسيح لم يكن يمكن حصولها بناء على هذا الفرض ولا كان يمكن حصول ذلك في المستقبل. فأما أن خطايا الملايين من السنين كانت تظل غير مغفورة أو أن الفادي كان يجب أن يموت كل سنة بعد السقوط!! "ولكن الآن" والحالة هذه "عند انقضاء الدهور قد أظهر" لأن مجيء المسيح الأول كان ختام عهد قديم وبدء عصر أزلي نحن الآن عائشون فيه منتظرين أن توضع أعداؤه تحت موطئ قدميه. وكلمة "أظهر" تدل على وجوده سابقاً "مرة واحدة" وليس مراراً "لإبطال الخطية" أي لمحوها والشفاء من أدوائها "بذبيحة نفسه" لا بذبيحة شاة بل بتضحيته نفسه وحياته الثمينة. وبذل النفس أعظم ضحية يستطيع أن يقوم بها الإنسان وقد أعطانا المسيح قدوة حسنة ببذله نفسه الكريمة عنا. فما أثمن تلك التضحية!

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأن في إتمام عمل رئيس الكهنة الهاروني فكرة أخرى. فأنه بعد إتمام عمل الكفارة يعود رئيس الكهنة مرة أخرى بين الشعب. هكذا أيضاً سيعود المسيح. وسيعقب موته وبذل نفسه، إظهار بره في دينونة الله. وكما أن كل بشر حي يذوق الموت ويجوز إلى الدينونة، فأن من شارك البشر في الدم واللحم واختبار الموت مع الخلائق البشرية الذين لم يخجل أن يدعوهم إخوة (أنظر فصل ٢ آية ١١ و١٤) ينبغي أن "يشبه إخوته" أيضاً في معاناة الدينونة الإلهية، التي سوف لا تكون بالنسبة له إلاّ تزكية وعنواناً لطهارته الفائقة ومجده العظيم أمام الخليقة كلها (أنظر رؤية ١:٧) ثم يظهر منفصلاً عن كل ظل للخطية قائماً في قوة للخلاص.

ثم انتقل الكاتب إلى العصر الحاضر. ترى هل يختم ذلك العصر؟ قال "وكما حتم على الناس أن يموتوا مرة واحدة" هذه الآية تدل على بطلان مذهب التناسخ "ثم بعد ذلك الدينونة" أي أن بعد الموت حادثة واحدة وهي تقرير نهاية الإنسان الأبدية "هكذا المسيح أيضاً بعدما قرب مرة واحدة" بموته كخاطئ مع أن موته كان "لرفع خطايا الكثيرين" أو كما تعني الكلمة في الأصل "يحمل خطايا الكثيرين". لأن هذا هو العبء الذي حمله إلى الصليب من كان هو نفسه بلا خطية. والعبارة، كما فهمها القراء العبرانيون، صدى لكلمات أحد أنبيائهم (أنظر أشعياء ٥٣:١٢) وهو إذ قد مات مثل زملائه بني الإنسان ينتظر الحادثة العظمة المقبلة إلا وهي أنه "سيظهر أيضاً للخلاص" وذلك نصر ختامي وإنما يختلف ذلك الظهور عن ظهوره في المرة الأولى إذ يكون "منفصلاً عن الخطية" ففي ظهوره الأول كان عرضة لا شنع ما قد تفعله الخطية ومات "حاملاً خطايا كثيرين" أما في ظهوره الثاني فسوف لا تكون أية علاقة بين شخصه المقدس وبين الخطية التي رفعها سوى رغبته أن يبيدها في الهاوية لئلا يصارعها ويخضع لشوكتها كما فعل في المرة الأولى. لأن ذلك تم وانقضى ولا محل لتكراره بل أنه متى ظهر في مجيئه فسيأتي لدينونة أولئك الذين يفضلون الخطية وسيبادون معها. نعم أن تهوره سيكون لأجل الخلاص للذين قد ماتت فيهم الخطية بسبب إيمانهم بالمسيح وبعمله التام. وبعبارة أخرى أنه سيظهر "للذين يتوقعونه" بمحبة وثقة ورجاء وطمأنينة. قال المسيح "الحق الحق أقول لكم أن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلي فله حياة أبدية ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحيوة".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٠: ١- ١٠	
١لأَنَّ النَّامُوسَ، إِذْ لَهُ ظِلُّ الْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ لاَ نَفْسُ صُورَةِ الأَشْيَاءِ، لاَ يَقْدِرُ أَبَداً بِنَفْسِ الذَّبَائِحِ كُلَّ سَنَةٍ، الَّتِي يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يُكَمِّلَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ. ٢وَإِلاَّ، أَفَمَا زَالَتْ تُقَدَّمُ؟ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْخَادِمِينَ، وَهُمْ مُطَهَّرُونَ مَرَّةً، لاَ يَكُونُ لَهُمْ أَيْضاً ضَمِيرُ خَطَايَا. ٣لَكِنْ فِيهَا كُلَّ سَنَةٍ ذِكْرُ خَطَايَا. ٤لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا. ٥لِذَلِكَ عِنْدَ دُخُولِهِ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً لَمْ تُرِدْ، وَلَكِنْ هَيَّأْتَ لِي جَسَداً. ٦بِمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُسَرَّ. ٧ثُمَّ قُلْتُ: هَئَنَذَا أَجِيءُ. فِي دَرْجِ الْكِتَابِ مَكْتُوبٌ عَنِّي، لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ». ٨إِذْ يَقُولُ آنِفاً: «إِنَّكَ ذَبِيحَةً وَقُرْبَاناً وَمُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ لِلْخَطِيَّةِ لَمْ تُرِدْ وَلاَ سُرِرْتَ بِهَا». الَّتِي تُقَدَّمُ حَسَبَ النَّامُوسِ. ٩ثُمَّ قَالَ: «هَئَنَذَا أَجِيءُ لأَفْعَلَ مَشِيئَتَكَ يَا أَللهُ». يَنْزِعُ الأَوَّلَ لِكَيْ يُثَبِّتَ الثَّانِيَ. ١٠فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً.	لأن الشريعة إذ لها ظل الخيرات المستقبلة لا صورة الأشياء بعينها لا تقدر بنفس الذبائح التي يقربونها كل سنة على الدوام أن تكمل الذين يبغون الاقتراب. وإلا أفما كان تقريب الذبائح يبطل لكون العابدين وهم تطهروا مرة واحدة لم يعد لهم شعور بالخطايا. والحالة أن فيها تذكيراً كل سنة بالخطايا. والحالة أن فيها تذكيراً كل سنة بالخطايا. لأنه لا يمكن أن دم الثيران والتيوس يرفع الخطايا. لذلك قال عند دخوله إلى العالم "ذبيحة وقرباناً لم تشأ ولكنك هيأت لي جسداً. ولم ترض بالمحرقات ولا بذبائح الخطية. حينئذ قلت: هأنذا آت (فقد كتب عني في درج الكتاب) أن أعمل بمشيئتك يا الله". فبقوله آنفاً أنك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح خطيئة لم تشأ ولا رضيت بها (وهي التي تقرب حسب الشريعة) قال أيضاً هأنذا آت لأعمل بمشيئتك يا الله. فقد نزع الأول ليثبت الثاني. فبهذه المشيئة قد قدّسنا بتقدمة جسد يسوع المسيح مرة واحدة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أشار الكاتب فيما سلف إلى إتمام عمل المسيح الكهنوتي الخالد الذي أتاه مرة واحدة، مقارناً إياه بالخدمة الرائعة السنوية التي عرفها أولئك المسيحيون العبرانيون الذين يكتب لهم- الخدمة الدينية التي كانت تجرى كل سنة في يوم الكفارة. وأبان أن المسيح قدم نفسه مرة واحدة عن خطايا البشر. وسيعلن في الوقت المناسب، عن مجيئه من الحضرة الإلهية، ختام عمله العظيم وبلوغه ذروة الكمال. والآن تمتد الفكرة من الذبيحة الرمزية العظمى إلى النظام الكفاري كله في الشريعة الموسوية، لأن تلك الشريعة وتلك الذبائح شهدت إلى شيء لم يكن مدمجاً فيها، وقد أذاعت رسالتها المرة تلو المرة وهي ترمز أبداً دائماً إلى شيء آخر غيرها أوفر حقاً وأكثر عمقاً.

"لأن الشريعة" الموسوية إجمالاً لا تفصيلاً فقط "إذ لها ظل الخيرات المستقبلة" وهي إذ ذاك متصفة بالضعف الذي يتصف به كل ما هو ظل "لا صورة" والكلمة المترجمة "صورة" تعني الشكل الجامد الثابت الذي يلقي الظلّ المشار إليه آنفاً "لأشياء بعينها" كالكفارة والمصالحة والتطهير والاقتراب والتقديس والتوحيد والأنس وهلم جراً "لا تقدر بنفس الذبائح التي يقربونها كل سنة على الدوام" أي بنظام مستمر "أن تكمل الذين يبغون الاقتراب" ليس الكلام هنا إشارة إلى الكمال الأدبي مبدئياً بل المقصود منه إبلاغ الإنسان حالة مرضية قدام الله فأن هذا هو غرض التقدمة. ومتى تم لا بد أن يليه الكمال الأدبي في حينه. على أن الأمر المهم هنا هو الخطوة الأولى وقد دلنا عليها في النص بقولنا "يبغون الاقتراب" وذلك أتم من قولنا المقتربين والمتقربين أو المقدمين، لأن الأصل اليوناني يقصد به عمل لم يتم. فهم مقتربون ولكنهم لم يقتربوا بعد وما زالوا يبغون الاقتراب "وإلا" أي لو كانت تلك الذبائح الشرعية قد أكملت العابدين وأبلغتهم الحالة المشار إليها آنفاً "أفما كان تقريب الذبائح يبطل" أي يُوقف "لكون العابدين وهم قد تطهروا مرة واحدة لم يعد لهم شعور بالخطايا" لأن تقرير الحالة المشار إليها يتم دفعة واحدة ولا حاجة فيه إلى التكرار. كما أن الذي يلتمس جنسية أجنبية لا يحتاج إلى تكرار التجنس كل سنة مثلاً. فإذا علمت ذلك اتضح لك معنى قوله "شعور بالخطايا" وليس المعنى أن الذي يدخل في العهد الجديد لا يعود يخطئ ولا أن الذي يخطئ لا يشعر بخطيئته، بل أنه يعلم ويدرك أن خطاياه الماضية قد غفرت ومحيت فلا حاجة به أن يقلق لما يترتب (١) عليها (وهذا معنى قوله الشعور بالخطايا) بل يتقدم إلى حالة أحسن وأكثر اطمئناناً "والحالة" تختلف كل الاختلاف إذ "أن فيها" أي في الذبائح الموسوية "تذكيراً كل سنة في الخطايا" أي أن تكرار تلك الذبائح سنة بعد أخرى دليل مثلث على أن الخطية لم تمح بعد وأن الحالة غير مرضية. وليس ذلك فقط بل أن الثقة في فائدة كل ذبيحة سابقة تتزعزع "لأنه لا يمكن" مبدئياً "أن دم الثران والتيوس يرفع الخطايا" لكونه في الحقيقة عديم القيمة. وقد أنفذ الكاتب هنا أحد مهم من جعبته فأظهر أن تلك الذبائح لم يكن لها حتى فائدة سنوية بل لم يكن لها فائدة على الإطلاق. وإن كان لها نفع ما فهو اكتسابي لا أصلي كشعاع القمر الضئيل المكتسب من نور الشمس المقبلة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ينتقل الكاتب الآن ليبين الفارق بين الذبيحة الناشئة عن موت الحيوان الذي لا يفهم ما صُنع به، والذبيحة التي هي موت يسوع التي انطوت على قبول كلَّ ما فرضه الله للتكفير عن الخطية البشرية "لذلك" أي سبب تقصير تلك الذبائح "قال" بلسان الحال "عند دخوله العالم" بمجيئه وسيرته بعد مجيئه "ذبيحة وقرباناً لم تشأ" الآية مقتبسة من مزمور ٤٠ ومن الترجمة اليونانية للمزمور شأن كل الاقتباسات المأخوذة من العهد القديم في هذه الرسالة. واليونانية تختلف هنا قليلاً عن العبرانية ولكن المعنى العام واحد في اللغتين والإشارة هي إلى ذبائح معينة وليس إلى الذبيحة من حيث هي "ولكنك هيأت لي جسداً" لكي يكون وسيلة خاصة للذبيحة الكاملة "ولم ترض بالمحرقات ولا بذبائح الخطية" أي أن تلك المحرقات والذبائح لم تقع لديك موقع القبول لعدم وفائها بالغاية "حينئذ قلت" الضمير عائد على كلمه الله المتجسدة "هانذا آت" لأن الجميع عجزوا "فقد كتب عني في درج الكتاب" أن مجيئي ليس فقط اختيارياً بل قد كتب عنه في سفر الله. لذلك أنا آت "أن عمل مشيئتك يا الله" "أي لأتمم ما يريده الله بخصوص هذه الذبيحة بعد أن ظهر عجز الذبائح السابقة- هذه هي النبوة العجيبة في سفر المزامير وقد اقتبسها كاتب الرسالة لما لها من الأهمية "فبقوله آنفاً" في الآية المقتبسة "انك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح لم تشأ ولا رضيت بها" وقد علق عليها الكاتب بقوله "وهي التي تقرب حسب الشريعة" ومع ذلك صرح الله بأنها لم تقع عنده موقع الرضى والقبول! "قال أيضاً" المسيح بعد ذلك النفي الصريح "هانذا آت لأعمل بمشيئتك يا الله" أي لأكتب ذلك الرضى وتلك النعمة لكونهما من امتيازات الذبيحة الكاملة "فقد نزع" الله بهذه الكلمة الأمر "الأول" السابق ذكره أي الذبائح الموسوية "لكي يثبت الثاني" أي ذبيحة ذلك الذي قال أنه آت "فبهذه المشيئة" والرضى المكتسبين بواسطة الذبيحة، لأن المسيح لم يجئ إلى العالم ليكون رجلاً صالحاً. فليس لهذا قد أعدَّ له الجسد. بل جاء ليكون كاهناً أعظم، وقد أعدَّ له الجسد حتى يستطيع، بتقدمته طائعاً مختاراً، أن يضع الخطاة في علاقة دينية كاملة مع الله. ومن ثمَّ يقول الكاتب عن اختباره واختبار قرائه "قد قدسنا" أي أصبحت حالتنا مرضية "بتقدمة جسد المسيح" الذي هيئ له "مرة واحدة" لأن الذبيحة الكاملة لا حاجة إلى تكرارها بسبب كمالها. وبفكرة الأثر القوي الكامل في ذبيحة المسيح كما اختبرها الكاتب وقراؤه، يرفع الكاتب قلبه إلى ملكه وكاهنه في السماويات، ويضيف تعليقاً منه على كلمات اقتبسها في بداية رسالته (أنظر فصل ١ آية ٣و١٣) ولم يكن قد شرح تفصيلاً عن المسيح الذي "جلس" أو "استوى" على عرش المجد "وبينما كل كاهن يقف كل يوم خادماً ومقرباً مراراً نفس الذبائح التي لا تستطيع أبداً أن تنزع الخطايا" وبالنتيجة هي عديمة النفع "فأن هذا بعد أن قرب ذبيحة واحدة عن الخطايا" وهي ذبيحة نفسه الثمينة لا ذبيحة غيره التافهة "على الدوام جلس" بخلاف الكهنة الأقدمين الذين كانوا "يقفون" كل يوم ويعيدون طقوسهم "عن يمين الله" أي في مركز الجبروت الإلهي. وجلوسه هذا دليل على السلطان الملكي، لأنه لا يجلس على

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العرش إلاَّ الملك أما الآخرون فيقفون أمامه، وعلى تمام العمل واستراحة الله "منتظراً بعد ذلك حتى تجعل أعداؤه موطئاً لقدميه" أي منتظراً نتيجة لا ساعياً إليها بتكرار الكفارة.

والاقتباس، كما رأينا في الفصل الأول، مأخوذ عن مزمور ١١٠ وقد شرح بولس آية المزمور هذه (أنظر ١كور ١٥:٢٥ و٢٦) وهناك يصف جلوس المسيح جلوس ملك يحكم ناشطاً ويعمل دائباً لهزيمة أعدائه "وآخر عدو يبطل هو الموت". وتتجه الفكرة هنا بالأكثر إلى إتمام عمله الكهنوتي في تقديس شعبه "لأنه بتقدمة واحدة جعل المقدسين كاملين إلى الأبد" فيما يختص بالحالة والحظوة لدى الله.

١٠: ١١- ٢٠	
١١وَكُلُّ كَاهِنٍ يَقُومُ كُلَّ يَوْمٍ يَخْدِمُ وَيُقَدِّمُ مِرَاراً كَثِيرَةً تِلْكَ الذَّبَائِحَ عَيْنَهَا، الَّتِي لاَ تَسْتَطِيعُ الْبَتَّةَ أَنْ تَنْزِعَ الْخَطِيَّةَ. ١٢وَأَمَّا هَذَا فَبَعْدَ مَا قَدَّمَ عَنِ الْخَطَايَا ذَبِيحَةً وَاحِدَةً، جَلَسَ إِلَى الأَبَدِ عَنْ يَمِينِ اللهِ، ١٣مُنْتَظِراً بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى تُوضَعَ أَعْدَاؤُهُ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْهِ. ١٤لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ. ١٥وَيَشْهَدُ لَنَا الرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضاً. لأَنَّهُ بَعْدَ مَا قَالَ سَابِقاً: ١٦«هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَعْهَدُهُ مَعَهُمْ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَجْعَلُ نَوَامِيسِي فِي قُلُوبِهِمْ وَأَكْتُبُهَا فِي أَذْهَانِهِمْ» ١٧وَ: «لَنْ أَذْكُرَ خَطَايَاهُمْ وَتَعَدِّيَاتِهِمْ فِي مَا بَعْدُ». ١٨وَإِنَّمَا حَيْثُ تَكُونُ مَغْفِرَةٌ	وبينما كل كاهن يقف كل يوم خادماً ومقرباً مراراً نفس الذبائح التي لا تستطيع أبداً أن تنزع الخطايا. فإن هذا بعد أن قرب ذبيحة واحدة عن الخطايا على الدوام جلس عن يمين الله. منتظراً بعد ذلك حتى تجعل أعداؤه موطئاً لقدميه. لأنه بتقدمة واحدة جعل المقدسين كاملين إلى الأبد. والروح القدس أيضاً شاهد لنا. لأنه بعدما قيل سابقاً هذا هو العهد الذي أعاهدهم به، بعد تلك الأيام يقول الرب: "أجعل شرائعي في قلوبهم وأكتبها في أذهانهم. ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد". وإنه متى حصلت مغفرة لهذه، فلا تقدمة بعد عن الخطيئة. إذن أيها الإخوة إذ لنا ثقة بمدخل الأقداس بدم يسوع. (المدخل)

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لِهَذِهِ لاَ يَكُونُ بَعْدُ قُرْبَانٌ عَنِ الْخَطِيَّةِ. ١٩فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى «الأَقْدَاسِ» بِدَمِ يَسُوعَ، ٢٠طَرِيقاً كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثاً حَيّاً، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ	الذي دشنه لنا طريقاً حياً جديداً في وسط الحجاب أي جسده.

واختتم الكاتب هذا الفصل من كلامه بتبيانه أهمية كلام اقتبسه سابقاً من ارمياء ص ٣١ وهو قوله: "والروح القدس أيضاً شاهد لنا. لأنه بعد ما قيل سابقاً هذا هو العهد الذي أعاهدهم به، بعد تلك الأيام يقول الرب "أجعل شرائعي في قلوبهم واكتبها في أذهانهم ولن أذكر خطاياهم وتعدياتهم في ما بعد" قوله "في ما بعد" مهم جداً لأن عدم ذكر الله لخطاياهم وتعدياتهم هو نسيانه إياها وذلك رجوع إلى الحالة الأولى قبل الخطية وهي حالة البر. فوالحالة هذه لا معنى لتكرار أي ذبيحة بعد "وأنه متى حصلت مغفرة" تامة بهذار المقدار "فلا تقدمة بعد عن الخطية" قد أبان الكاتب أن بواسطة المسيح يجوز شعبه إلى الحضرة الإلهية، وهو الآن يحمل هذه الرسالة إلى حياة الذين يكتب إليهم رسالته. فليس الأمر عنده حقيقة نظرية، بل حقيقة أختبارية في حياته وحياة قرائه.

"إذن" أي بناء على ما ورد في هذه الرسالة كلها "أيها الإخوة" الخطاب يدل على رقة متناهية وملخص الكلام مبني على عبارتين وهما "إذ لنا ثقة بمدخل الأقداس" أي الاقتراب من الله نفسه. وكأنه يقول: أيها العبرانيون المسيحيون: أتخشون أن تفقدوا مزايا الطقوس اليهودية القديمة؟ أنظروا هوذا لكل واحد منكم الحق لأن يكون رئيس كهنة، ويجوز إلى المكان الذي لن يقدر على الدخول إليه إلاَّ رئيس الكهنة. وكما كان رئيس الكهنة يدخل إلى المقدس بدم غيره، كذلك أنتم تدخلون "بدم المسيح" الذي يمحو كل خطية تحول دون وصول الإنسان إلى الله "المدخل الذي دشنه لنا طريقاً" مفعول ثان لدشَّن أو بيان للمدخل لكي يكون لنا سبيل دائم نسير فيه إلى الله "حياً" لا صناعياً معرضاً للفناء والزوال "جديداً" وجدّته قائماً بكونه أزلياً "في وسط الحجاب أي جسده" أن الطريق يتصل بالحجاب وذلك الحجاب هو جسده. وقد قلنا سابقاً أن بين قدس الأقداس والشعب في العهد القديم حجاباً. ولكن الحجاب انشق في الدقيقة التي مات فيها المسيح على الصليب. راجع متى ٢٧:٥٠ و٥١ ويوحنا ١٩:٣٤ فتجد أن الحجاب الذي كان يفصل الإنسان عن الله أزيل وأن موت المسيح فتح الباب لكي يدخل المؤمن إلى الله. فما دام للمسيح حياً بالجسد غير الممجد فأن عمله لم يكن تاماً سواء باعتبار حالته أو حالة البشر عموماً. فكان لا بد له من الموت ليفتح لنفسه (بصفة كونه بشراً) طريقاً ليصل منها إلى يمين العظمة. ومتى فتح ذلك الطريق

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

لنفسه فقد فتحه لغيره. وهذا لا ينفي أن يكون له أو لنا جسد ممجد أو أن يكون جسده الممجد قد تحول إلى تلك الحال عن جسد غير ممجد. فأن شرط ذلك كان أن يحول جسده عن حالته الأولى بواسطة الموت. فالجسد الأول كان حجاباً حقيقياً يرمز إلى الحاجز الفاصل بين الله والإنسان. وكذلك جسدنا الحالي هو أيضاً حجاب يجب أن نخترقه بالموت حتى نستطيع رؤية الله. أما فيما يختص بالاقتراب الروحي فأن الطريق مفتوحة "ولنا كاهن عظيم على بيت الله" وهو وسيط قدير يشفع بجميع المؤمنين. أنظر ص ٦:٣ "فلنتقدم" والفعل هو بذاته المستعمل في فصل ٦ آية ١٦ والآن بعد كل ما جرى تصلنا الدعوة بقوة أعظم، وهي بالحق الدعوة النهائية. فأن غرض المسيح كله كان أن يقربنا من الله بعد أن كنا بعيدين عنه. فلنتقدم إليه تعالى "بقلب صادق" خال من الرياء "في ملء الإيمان" بعيد عن الشكوك التي تفضي إلى الرياء "وقد طهر الرش" كما كان يطهر الشعب قديماً برش دم الذبيحة، وليس الرش الآن خارجياً بل رش روحي أي رش دم المسيح الذي يطهرنا حالما نؤمن بصليب المسيح، ويغسل "قلوبنا" لأن إجراء ذلك يكون روحياً لا مادياً. على أنه يتم بشعائر وعلامات محسوسة مرتبة من قبل الكنيسة "وغسل الماء النقي أجسادنا" إشارة إلى فريضة العماد التي تخولنا التمتع بثمرة أعمال المسيح. أما الواو في قوله "وقد" فهي حالية ومعناها بما أن هذه الأمور قد تمت فلماذا نتأخر؟ وليس المعنى أنه يجب أن نتمم تلك الأمور ثم نتقدم، بل لنتقدم لأنها قد تمت.

١٠: ٢١-٣٠	
٢١وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ اللهِ، ٢٢لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ. ٢٣لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخاً، لأَنَّ الَّذِي وَعَدَ هُوَ أَمِينٌ. ٢٤وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ، ٢٥غَيْرَ تَارِكِينَ اجْتِمَاعَنَا كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ، بَلْ وَاعِظِينَ بَعْضُنَا بَعْضاً، وَبِالأَكْثَرِ	ولنا كاهن عظيم على بيت الله. فلنتقدم بقلب صادق في ملء الإيمان وقد طهر الرش قلوبنا من ضمير شرير وغسل الماء النقي أجسادنا. ولنتمسك باعتراف الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير مهملين اجتماعنا كعادة البعض بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقترب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عَلَى قَدْرِ مَا تَرَوْنَ الْيَوْمَ يَقْرُبُ، ٢٦فَإِنَّهُ إِنْ أَخْطَأْنَا بِاخْتِيَارِنَا بَعْدَ مَا أَخَذْنَا مَعْرِفَةَ الْحَقِّ، لاَ تَبْقَى بَعْدُ ذَبِيحَةٌ عَنِ الْخَطَايَا، ٢٧بَلْ قُبُولُ دَيْنُونَةٍ مُخِيفٌ، وَغَيْرَةُ نَارٍ عَتِيدَةٍ أَنْ تَأْكُلَ الْمُضَادِّينَ. ٢٨مَنْ خَالَفَ نَامُوسَ مُوسَى فَعَلَى شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةِ شُهُودٍ يَمُوتُ بِدُونِ رَأْفَةٍ. ٢٩فَكَمْ عِقَاباً أَشَرَّ تَظُنُّونَ أَنَّهُ يُحْسَبُ مُسْتَحِقّاً مَنْ دَاسَ ابْنَ اللهِ، وَحَسِبَ دَمَ الْعَهْدِ الَّذِي قُدِّسَ بِهِ دَنِساً، وَازْدَرَى بِرُوحِ النِّعْمَةِ؟ ٣٠فَإِنَّنَا نَعْرِفُ الَّذِي قَالَ: «لِيَ الاِنْتِقَامُ، أَنَا أُجَازِي، يَقُولُ الرَّبُّ». وَأَيْضاً: «الرَّبُّ يَدِينُ شَعْبَهُ».	(هنا تنتهي، بكل أسف، الترجمة التي قام بها المرحوم الكانن جردنر بالاشتراك مع الأستاذ سليم عبد الأحد، وكان لها فضل كبير في إخصاب فهمنا للأشياء، فإن المنية عاجلت الكانن جردنر قبل أن يتمها، وكان قد كتب خلال مرضه الأخير معبراً عن أمله للاستمرار فيها حتى النهاية. وليس لنا الآن إلا أن نتم شرح الرسالة مستندين إلى الترجمة القيمة المعروفة، المتداولة بين أيدينا، التي هي من مآثر مطبعة بيروت الأمريكية).

"ولنتمسك باعتراف الرجاء راسخاً" تكلم الكاتب عن مياه المعمودية، التي دخل بها أصدقائه العبرانيون المسيحيون أمة المسيح والآن يذكرهم باعترافهم الذي قطعوه عند المعمودية. فإن كان بعضهم يحنُّ بشغف إلى الامتيازات اليهودية، أو يحار لأن المسيح لم يجيء من السماء سريعاً، فأن معلمهم يبين لهم في رسالته علة هذا ليدركوا أن اعترافهم بالمسيح كان اعتراف رجاء، بل يقول عنه "اعتراف الرجاء" أليس هو اعترافاً لأكبر رجاء وعدنا به كاهننا الأعظم في الأمجاد السمائية؟ ولكن الرجاء قد يكون أسرع العواطف زوالاً، فهو قوي متى أحسسنا بالغبطة، ضعيف هزيل متى شعرنا بالعناء والتعب، ما لم يُروض بفعل التدريب الروحي. لذلك نراه يستعمل فعلاً قوى المعنى. فلا يكتفي بالقول "لنختزن رجائنا هذا كإحساس داخلي" بل "لنتمسك" به كاعتراف خارجي نقوم به نحن المؤمنين جماعة واحدة، وكعمل مشترك تأتيه الكنيسة، نردده في كل مرة نتلو فيها قانون

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الإيمان أو أي قول خطير آخر من أقوال الإيمان. وهذا الاعتراف المشترك هو الذي يجعل رجائنا راسخاً. ولنا ما يبرر هذا التمسك "لأن الذي هو وعد أمين" وهو الله الذي أعد طريقاً لخلاص الإنسان منذ البدء "ولنلاحظ بعضنا البعض" ملاحظة حبية "للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة" لأنه إذا تأخر أحدنا ولاحظ غيره فيستطيع أن يحرضه بطريقة حبية على الأعمال الحسنة. وقد كان العبرانيون متأخرين بهذا الاعتبار إذ لم يكونوا يحرضون بعضهم بعضاً. ولعل سبب ذلك قلة اجتماعاتهم معاً كما يؤخذ من الآية التالية وهي قوله "غير مهملين اجتماعنا كعادة البعض" في المحافل الدينية والاجتماعية وربما أخذ بعض العبرانيون يخجلون من إيمانهم الجديد لأنه كان غير مرغوب فيه. وربما أحسَّ بعضهم أنه أرقى تهذيباً من بعض إخوانهم الذين اشتركوا معهم في العبادة ولذا لم يهتموا كثيراً أن يحضروا تلك الاجتماعات القليلة العدد. أو ربما يكونون قد ملوا احتمال التضحيات والأتعاب والمخاطر التي عانوها بسبب انتمائهم للمسيح. لذلك يقول الكاتب: "لا تفعلوا بعضكم ببعض ما لن يرضى أن يفعله الله بكم" لأنه يذكرهم في فصل ٨ آية ٥ بكلمة قالها الله "لا أهملك" إذاً فلا نكونَّ مهملين "بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقترب" وترى أي يوم هذا؟ ظاهر جلياً أنه يوم من أيام دينونة الله. وقد ظنَّ أن يوم الرب العظيم لخراب أورشليم الذي كان يقترب. وفي هذه الحالة تكون الرسالة كتبت بعد أن دخلت الجيوش الرومانية الأرض المقدسة لقمع الثورة اليهودية. ويظن آخرون أن هذا اليوم المشار إليه هو اليوم العظيم الذي سيظهر فيه أبن الله في كل مجده (فصل٩ آية ٢٨) وهو يوم فرح للذين عرفوه، ويوم دينونة رهيبة للذين صمّوا آذانهم عن استماع ندائه.

وذكر "اليوم" يوجّه أنظارنا إلى الشدة المحزنة التي انطوى عليها التحذير التالي. فأن الكاتب يبين كيف كان إيمانه الديني عميقاً خاشعاً ملتزماً جانب الأخلاق، وكيف يفزع ويرتجف من مجرد الارتكان على رحمة الله وشفقته وعفوه. والإنسان المتساهل المتهاون الذي لا يأخذ الامور جدياً يظن الله متساهلاً متهاوناً، فلا يعبأ كثيراً بواجباته الدينية ويزعم أن الله لا يعيرها التفاتاً جدّياً، ولكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يقول أننا نعرف أفضل من هذا "فأنه إن أخطأنا" والكلمة اليونانية لا تعني عملاً خاطئاً واحداً، بل الإنغماس الغارق في الخطية "باختيارنا" أي عامدين مدركين تماماً ما نفعله.

وتوافر هذين الشرطين (أي الاختيار العامد والاستمرار في الخطية) منطو على الردّة عن المسيح إذا أصررنا على انتهاج هذا المسلك الرهيب "بعد ما أخذنا معرفة الحق" أي الحق المعلن في يسوع. وهنا نرانا أمام إحدى العبارات التي اصطلح عليها المسيحيون الأولون للدلالة على "الدخول في المسيحية" (قارن١ تيموثاوس ٣:٤ وكولوسي ٦:١ وبطرس ٢١:٢ الخ). ولقد جرت العصور والبلدان المختلفة على استعمال مصطلحات متباينة للدلالة على هذا "الدخول"- منها "التجديد" أو "الانضمام إلى الكنيسة" أو "الانضواء

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تحت لواء قبيلة الله" كما هو الحال في إفريقيا في الرقاع التي ما فتئت القبيلة فيها وحدة الجماعة. وهذه العبارة المألوفة في العصر الأول "معرفة الحق" أو "قبول معرفة الحق" كأن يُنطق بها عادة عند ما كان ذكر اسم الرب خطراً على الناطقين به. والكاتب باستعماله صيغة المتكلم يدمج نفسه مع قارئيه في تحذيره الرهيب، فيقول أنه إذا تهكم الناس على ذبيحة المسيح بعد ما عرفوها واختبروها "لا تبقى بعد ذبيحة الخطايا بل" يكون عوضاً عن الذبيحة المفتدية المخلّصة "قبول دينونة مخيف" ذلك لأنهم أهملوا الذبيحة الوحيدة التي تخلص البشر من الدينونة. والكلمة اليهودية الدالة على دينونة الله للخطية هي "نار" النار المخيفة الآكلة لكل هو ما شر، كما تأكل النيران الفضلات المهملة في المدينة. ومن ثمَّ نرى كاتبنا يردد بعبارته هذه صدى أقوال أنبياء اليهود (أنظر اشعياء ٢٦:١١ وصفنيا ١:١٨) ويقول أن أولئك المرتدين يصيبون إذ يخشون دينونة الله الرهيبة.

"وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين" ولم يكن في هذه فكرة جديدة لدى العبرانيين المسيحيين، لأنهم عرفوا خطورة الخطية العامدة ضد الناموس القديم وعرفوا جيداً أن "من خالف ناموس موسى" أي الشريعة الموسوية "فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة" وهو يشير إلى القانون الوارد في سفر التثنية ١٣:٩ و١٧:٧ وقبل كتابة هذه الرسالة بسنوات نفذ هذا القانون في استفانوس الشهيد الأول (أنظر سفر الأعمال ٧:٥٧). فإذا كان هذا شأن من يتهكم على شريعة موسى، فكيف يكون حال من يتهكم على محبة الكاهن الملك السماوي وذبيحته؟ "فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً" وهنا يلجأ إلى حكم أصدقائه الذين يقرأون الرسالة على الانسان الذي يصفه بقوله "من داس ابن الله" وهذا أول مظهر من مظاهر ثلاث لهذه الخطية العامدة المصرّة. والفعل اليوناني المترجم "داس" كان يستعمل في حالة الحنث باليمين، وكأن الحانث يدوس الحق تحت موطىء قدميه. فإذا استعملت عن شخص، كان معناها الاحتقار المزري. ومن التجارب التي تعرض لها المسيحيون في العصر الأول على أيدي الحكّام غير المسيحيين إن كانوا يخيرون بين الموت الأليم أو الدوس بالقدم على صليب من خشب، الذي هو شعار محبة مخلصهم. ولقد أثر كثيرون الموت على الاستسلام لهذه التجربة. أما الدوس المشار إليه في هذه الآية فيختلف كل الاختلاف عن الدوس على صليب خشبي. "ودوس الابن" هنا يشير إلى إظهار الاحتقار الخارجي المنبعث عن احتقار داخلي، كما يتبين من الوصف التالي في قوله "حسب دم العهد الذي قدس به دنساً" فهو قد تطهر وأجيز له الدخول إلى حضرة الله، لا بواسطة رئيس كهنة رشه بدم عنزة، بل بواسطة من سفك دمه مسوقاً إلى ذلك بقوة محبته للأنفس التي يريد تقريبها إلى الله. ومع ذلك يزدرى هذه الذبيحة، والدم الذي سفك لأجله كل شيء في نظره، والموت الذي ماته لأجله لا يحسبه إلا موتاً عادياً كأنه لا يعنيه من أمره شيئاً، لذلك يحسب هذا القديس دنساً. وهذا الجحود الداخلي للمحبة المهيأة عصيان روح الانسان، ليس ضد شريعة خارجية منظورة كشريعة موسى، بل ضد روح الحبة،

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

روح الله كما يقول "وازدرى بروح النعمة". وكما دعي "عرش الله" في هذه الرسالة (عرش النعمة) (١٦:٤) كذلك دعي "روح الله" في غير هذه المكان من العهد الجديد "روح الحق" و "روح المجد" (١ بطرس ١٤:٤) و "الروح القدس" (يوحنا ١٤: ١٧ وأفسس ٣٠:) وأسماء أخرى غير هذه، وهنا يطلق عليه "روح النعمة". والعبارة معناها "الروح الذي به تستعلن نعمة الله". ويؤخذ من منطوق الكلام أن كاتب الرسالة الذي تشبع عقله بأسفار العهد القديم يفكّر هنا في سفر زكريا ص١٢ حيث وردت "روح النعمة" في آية ١٠ وهو الوضع الوحيد الذي جاءت فيه كل أسفار الكتاب المقدس. وبعد ذلك يعود ليذكّر قارئيه بمثائل تعلموها عن ذات الله وصفاته من الأسفار اليهودية، فيقتبس آيتين من سفر التثنية ٣٥:٣٢ و٣٦ ويقول:

"فأننا نعرف الذي قال لي الانتقام أنا أجازي يقول الرب، وأيضاً الرب يدين شعبه" وهو يقتبس الآيتين ليبين لقرائه أن الله الذي فعل كثيراً لشعبه حباً لهم، هو بعينه الإله الذي يدينهم. وستكون الدينونة وفقاً لما صنعوا. وتبدو هذه الفكرة عينها في بشارة لوقا ٤٧:١٢ و٤٨ ثم يختتم هذا التحذير الخطير بعبارة تحسب من أشد آيات الكتاب المقدس روعاً ورهبة "مخيف هو الوقوع في يدي الله الحي" وليست تنطوي العبارة على إنكار الحقيقة أننا دائماً في قبضته، فأن العبارة "وقع في يديه" تعني الوقوع بين يديه العتاب كما يقع المحكوم عليه في يدي سجانه أو المنفذ فيه عقوبة الموت.

وينتقل الكتاب من التحذير الخطير إلى التشجيع المستند إلى ما يعرفه عن تاريخ الجماعة التي يكتب إليها. وكأنه يقول: "لماذا تحيدون عن ريق ماضيكم المجيد؟ لم يبق أمامكم طويل وقت في هذه المثابرة الصابرة، فاثبتوا قليلاً". وهو يذكرهم باختبارين جديرين بالثناء فيقول "ولكن تذكروا الأيام السالفة التي فيها بعد ما أنرتم" أي بعد ما أنرتم بنور المسيح كما يشير إلى ذلك في فصل ٦ آية ٤ والترجمة السريانية "بعد ما اعتمدتم" "صبرتم على مجاهدة" والكلمة المترجمة هنا مأخوذة في أصلها اليوناني عن تعبير متعلق بالمصارعات الرياضية، وتحمل إلى ذهن القارئين المصارعات التي يجوزها اللاعبون، بعد التدريب الطويل الشاق، في الألعاب العامة مثل الركض أو حمل الأثقال، أو المصارعة. والمجاهدة عند أولئك العبرانيين المسيحيين لم تكن في مصارعة بل في "آلام كثيرة" عانوها لأجل المسيح. وكانت تلك المجاهدات على نوعين: "من جهة مشهورين" والكلمة اليونانية معناها "استعرضتم في المسرح" مثل ذلكم القوم الذين كانوا يُحضرون عراة لتهجم عليهم الحيوانات الضارية، أو يتقاتلون معاً بالسيوف أما جماهير النظارة في مسرح روماني. ومن ثمَّ كان أولئك المسيحيون "مشهورين" أمام كل العالم "بتغييرات وضيقات" والواقع أنه لم يبلغ الحال بأولئك المسيحيين العبرانيين إلى سفك دمائهم كما يستدل من فصل ١٢ آية٤ ولكنهم عانوا "تغييرات" قاسية تجعل الإنسان يشعر بالخزي

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والخجل. وتهكماً وسخرية وتهماً باطلة في ارتكاب الجرائم والرذائل تسوّد الاسم والأخلاق أمام الملأ. و "ضيقات" بسبب ما ينالهم من أذى مثل مصادرة بضائعهم وسلب أموالهم (أنظر آية ٢٤) وبلا شك الدسائس والمكائد العادية لحرمانهم من الوظائف أو حقهم في الترقيات استناداً إلى أسباب وتهم باطلة، مما يقترن عادة بالاضطهاد في كل بلد.

وأما الأمر الجليل الثاني الذي أراد الكاتب أن يذكره أولئك العبرانيون من ماضيهم فهو شجاعتهم في العطف على الآخرين المضطهدين مثلهم "ومن جهة صائرين شركاء الذين تُصرّف فيهم هكذا" فهم لم يتنحوا عن زملائهم المسيحيين، بل قد اتحدوا معهم ببسالة. ويذكر الكاتب على سبيل التمثيل نموذجاً من شجاعتهم هذه في زيارة المسيحيين المسجونين (وكان الأصدقاء في ذلك الزمن يفتقدون أصدقاءهم المسجونين ويقدمون لهم الطعام) والحدب عليهم "لأنكم رثيتم لقيودي أيضاً" ولم تذكر كلمة "قيودي" في أغلب النسخ الخطّية، ولعله من الصواب أن تقرأ "قيود المسجونين". وحينما حاقت بهم الخسائر بسبب إيمانهم أبدي أولئك المسيحيون العبرانيون أكثر من مجرد الصبر، فأنهم أظهروا الفرح "وقبلتم سلب أموالكم بفرح"- أنظر أعمال ٥:٤١- وقد بهر هذا الفرح أعين العالم القديم وكان له أثر بالغ في اكتساب المؤمنين وإدخالهم إلى المسيحية، كما هو حادث في هذا العصر في بلاد الصين وغيرها من البلدان. وبعد ذلك يذكر الكاتب علّة هذا الفرح الغريب فيقول "عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السموات وباقياً" انظر عن هذه الكلمة الأخيرة ما جاء في بشارة متى ٦:٢٠- ومن ثمَّ نرى الكاتب يذكّر المسيحيين بعظات الماضي المجيد لكي يجاهدوا صابرين في المستقبل، وهو واثق من أنهم سيثابرون في احتمال العناء.

في الفصل الثالث (٣:٦) ناشد الكاتب قراءه أن يعتصموا بالثقة والشجاعة اللاحقة التي أظهروها. وهنا يكتب كأنه يرى خطراً حقيقياً يهدد هذه الثقة، لا عن طريق انحلالها فقط، بل عن طريق طرحها كلية. لذلك يتوسل إليهم قائلاً "فلا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة" هذه الثقة التي ملأتكم غبطة حتى في أشق المتاعب وأضناها، يجب أن تصير قوة في الاحتمال الصابر على الرغم من استطالة الزمن الذي بقي فيه المسيحيون غير محبوبين عرضة للعسف والظلم "لأنكم" أيها الإخوة المسيحيون العبرانيون المدعوون إلى معاناة هذه المتاعب يوماً فيوماً "تحتاجون إلى الصبر" وحذار أن تفكروا في الصبر كخلّة الضيف العاجز أو كفضيلة سلبية. فأنكم تحتاجون للصبر، لا لتحتملوا فقط ما يفعله الآخرون بكم، بل لتصنعوا أنتم أنفسكم مشيئة الله ببسالة "حتى إذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد" موعد الحياة الخالدة في حضرة المسيح، في معرفة الله. وبعد ذلك ينتقل الكاتب إلى اقتباس بعض ألفاظ من نبوة قديمة، لينفذ درسه إلى قلوب قارئيه، فأنه في العصر القديم كان واجباً على المؤمنين أن ينتظروا إعلان خلاص الله، هكذا أيضاً مع المسيحيين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العبرانيين، وإن كان الزمن لا يطول "لأنه بعد قليل جداً"- والعبارة مأخوذة من الترجمة اليونانية لسفر اشعياء ص ٢٦:٢٠- "سيأتي الآتي ولا يبطئ" وهذه مأخوذة من الترجمة اليونانية لسفر حبقوق النبي ص ٢:٣ وكان الآتي المرتقب عند كتابة هذه النبوة إله إسرائيل الذي كان عتيداً أن يظهر لا هلاك الكلدانيين. وقد نفذ الحكم وتمَّ الموعد، ولكن ليس بالطريقة التي ارتجاها الناس. وههنا أمثولة رائعة للعبرانيين المسيحيين، فالله يُشعر الناس بمجيئه، ولكن وأنتم تترقبون هذا، تفتقرون إلى ما هو أكثر من الصبر أو الاحتمال، تفتقرون إلى ضوء سماوي، إلى الإيمان الذي ينتج فضائل الصبر والاحتمال في هذا العالم، لأنه مثبت في الأشياء العلوية. لذلك يقتبس الكاتب بعد هذا الآية التالية من سفر حبقوق، التي شغف بها بولس الرسول كثيراً "أما البار فبالإيمان يحيا" ثم يردد بعدها صدى آخر لهذا النبي في إلماعه إلى الكارثة التي تنشأ عن الفشل "وأن ارتد لا تسر به نفسي" ولكنه ينتقل من هذه الأفكار، وبرنا الأقدام والفوز يعلن ثقته في أصدقائه المسيحيين العبرانيين، الذين يجعل نفسه واحداً معهم تشجيعاً لهم فيقول "وأما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك، بل من الإيمان لاقتناء النفس" وسيعود الكاتب مرة أخرى فيما بعد إلى نصح إخوانه المسيحيين العبرانيين، ولكنه يقف الآن هنيهة ليسيطر بقلمه أروع المثائل التي خطرت بعقله عن الكلمة "إيمان".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الشعر النثري عن الإيمان

وإذ يذكر الكاتب كلمة "الإيمان" يقف هنيهة ثم يقطع على نفسه حديثه (الذي يعود إليه مرة أخرى في الفصل الثاني عشر) لأنه يرى نفسه أمام كلمة أساسية جوهرية في كل دين، كلمة لا مناص من أن يتأمل قراؤه معناها في إمعان وروية في وقت تتحدى فيه الصعاب المربكة إيمانهم هذا (كما رأينا في مقدمة هذا التفسير). وربما مالت نفوسهم إلى القول، كما قال كل ذي تفكير رخيص في كل العصور، (ونحن منهم): لِمَ كل هذا النضال مع العقبات الشائكة؟ ولِمَ لم يجعل الله الأمر هيناً على الكل ليؤمنوا به؟ يقول المؤمنون أن آياته مبيّنة، فلِمَ لا تبدو واضحة صافية، في شكل لا يدع مجالاً للشك أو الضلال فيؤمن الكل به؟ وبهذا كان من المستطاع اجتناب المصارعات النفسية وحوادث الدمار الروحية، وكان البشر يسلكون الطريق السوي".

هذا ما يقوله البعض في عصرنا هذا، وأنّا لنوجه إليهم سؤالاً عن الأبطال الذين يعجبون بهم. والذي نراه أن كل إنسان جدير بلقب البطولة كان عليه أن يناضل ضد ظروف معاكسة، وأن تنطوي نفسه على عقيدة راسخة على الرغم من تلك الظروف. فأبطال العالم قد تألموا وهم يرون أمامهم أشياء غير منظورة. فصحابة محمد الأولين آمنوا برسالته قبل أن يروا جماعات الإسلام الكبرى الفائزة المنتصرة، وكان إيمانهم الباسل أفعل أثراً وأجدى خيراً على العالم الإسلامي، مما كان لتلك الشعوب التي دانت للإسلام بعد الفتح والغزو. وقد اشتهر أثناسيوس المصري العظيم في عالم الغرب بذلك الوصف اللاتيني المأثور عنه "أثناسيوس المعارض Athanasius contramundum" لأنه تجارى بأن يقف "ضد العالم" مؤمناً الإيمان كله بانتصار الحق. وكانت جان دارك، وغار يبالدي، وسعد زغلول، وغيرهم، أبطالاً لأنهم آمنوا رغم العقبات والصعاب بالاستقلال القومي قبل أن يروه. وقد لازمت هذه الصفة جميع المكتشفين في العالم الطبيعي أو التفكيري أو الروحي: فكولمبوس، ولفنجيتون، وإبرهيم بن أدهم، ومنصور الحلاج، والغزالي، وغاليليو، وباستور، وبسكال، وجوزفين بتلر- جميع هؤلاء ومن على شاكلتهم من ذوي النفوس الباسلة العظيمة قد جاهدوا جهاد الإيمان، وأملوا اكتشاف شيء كان مستوراً عن عيونهم. والإيمان متى كانت كل الأشياء بادية للنواظر، لا يعتبر إيماناً، بل تسليماً لا ينطوي على شيء من البطولة، أو كما يقول الشاعر الإنكليزي "الإيمان يضيع في العيان". وينبئنا الوحي المسيحي، في كل غرابته وجماله، أن الله يرغب في الناس لا الطاعة العمياء، طاعة العبيد الأذلاء أو التماثيل الإنسانية الصماء، بل عمل الإيمان الذي هو نتيجة الاختيار الحّر- هذا الإيمان الذي يقوم على البطولة والبسالة ويجعل الناس موضع الإعجاب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

والتكريم، ولكن لن يحيا مثل هذا الإيمان إلاَّ في التربة الوعرة القاسية، فتتخلف عنه صفات الصبر المثابر المستبسل، والاحتمال الصابر الجسور.

لذلك نرى كاتبنا، حين يبلغ كلمة "الإيمان" في حديثه مع جماعة العبرانيين المسيحيين في نضالهم العنيف، يقطع سير حديثه ليذكرهم أن كثيرين قبل يومهم، من "الآباء" (فصل ١ آية ١ الذين كلمهم الله قديماً) قد جازوا هذا النضال بعينه، وأن من مقتضيات الإيمان في كل العصور أن يناضل ويجالد صابراً محتملاً وهو يرى الإله غير المنظور. وتغدو عبارته قطعة خالدة من أدب الدين، وشعراً نثرياً في مدح أبطال الإيمان.

١١: ١-١٠
١وَأَمَّا الإِيمَانُ فَهُوَ الثِّقَةُ بِمَا يُرْجَى وَالإِيقَانُ بِأُمُورٍ لاَ تُرَى. ٢فَإِنَّهُ فِي هَذَا شُهِدَ لِلْقُدَمَاءِ. ٣بِالإِيمَانِ نَفْهَمُ أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتْقِنَتْ بِكَلِمَةِ اللهِ، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرَى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ. ٤بِالإِيمَانِ قَدَّمَ هَابِيلُ لِلَّهِ ذَبِيحَةً أَفْضَلَ مِنْ قَايِينَ، فَبِهِ شُهِدَ لَهُ أَنَّهُ بَارٌّ، إِذْ شَهِدَ اللهُ لِقَرَابِينِهِ. وَبِهِ، وَإِنْ مَاتَ، يَتَكَلَّمْ بَعْدُ! ٥بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ - إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ. ٦وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ. ٧بِالإِيمَانِ نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكاً لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثاً لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ. ٨بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ عَتِيداً أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثاً، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلى أَيْنَ يَأْتِي. ٩بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِناً فِي خِيَامٍ مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهَذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ. ١٠لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"وأما الإيمان فهو الثقة بما يجرى"

هذه العبارة هي الشرط الأول من شذرة مأثورة في وصف الإيمان، جديرة بالبحث الدقيق. والكلمة التي تسترعي أكثر الإنتباه هي المترجمة عنها لفظة "الثقة". فالكلمة اليونانية في الأصل من الألفاظ المشهورة في الفلسفة واللاهوت، ولها كسائر الألفاظ التي من هذا القبيل ظلال كثيرة من المعاني، وقد يكون لها- كما لغيرها من الكلمات التي على شاكلتها- معنى معين في الحديث العادي، ومعنى آخر في اللاهوت. فمثلاً عند ما نقرأ في "علم الكلام" عن "أوصاف الذات" نجد للكلمة "ذات" معنى غير معناها في الحديث السائر حين نقول "تضحية الذات" أو "ذات المحل". كذلك نرى الكلمة اليونانية في هذه العبارة hypostasis تترجم "الثقة" وقد وردت في الرسالة عينها مرتين قبل هذه، مرة في فصل١ آية ٣ حيث ترجمت "جوهر" في قول الكاتب "وصورة جوهره" وأخرى في فصل ٣آية ١٤حيث ترجمت "الثقة" كما في هذه العبارة أيضاً. وقبل أن نحكم على المترجم، لا معدى عن البحث في تاريخ هذه الكلمة وظلال معناها:

أن المعنى الحرفي للكلمة "hypostasis" هو: ما يقف تحت الشيء. ولأول مرة نراها في اليونانية القديمة (حوالي القرن الخامس قبل الميلاد) وتستعمل للدلالة على الرواسب تحت السائل مثل "قُفْل" القهوة.

وبعد هذا التاريخ حين ترجم العهد القديم إلى اليونانية في مدينة الإسكندرية استعمل المترجمون هذه الكلمة للدلالة على "مسند الشيء" أي دعامته أو أساس.

ثم تجوز الكلمة إلى ميدان الفلسفة، وكغيرها من الألفاظ سواء في اليونانية أو العربية أو أية لغة أخرى، تحمل معنى في الحديث الفلسفي غير معناها في الحديث العادي المألوف. وقد جرى معناها في الفلسفة "ما يهيئ للشيء كيانه ووجوده" وبمعنى آخر "جوهره". ومن ثمَّ نراها تترجم في مستهل رسالتنا. "صورة جوهره" حاملة هذا المعنى الفلسفي. وقد حظيت الكلمة في معناها الفلسفي هذا بتاريخ حافل (ذات ظلال عدة من المعاني) في بحوث الفلاسفة وعلماء اللاهوت من المسيحيين. ولما كانت هذه البحوث قد جرت في تاريخ متأخر عن رسالتنا، فلا حاجة بنا إلى التبسط فيها الآن.

والقارئ الذي يكلف نفسه مئونة درس البيان المتقدم يرى لهذه الكلمة معنيين في الرسالة إلى العبرانيين (١:٣ و٣:١٤) ولكنه لن يرى في أي موضع آخر الآية التي نحن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بصددها الآن (١١:١) ذلك لأن جمرة الشرّاح قد عزوا إلى الكلمة في هذه الآية ثلاثة من المعاني المتقدمة. وفي كل معنى نكتشف شيئاً من الحق. وها نحن أولاء نذكرها للقارئ:

١- ذهبت طائفة كبيرة من أولئك الشراح وبينهم كثيرون من كتاب اليونان قديماً أن الكلمة "hypostasis" تعني هنا "الذي يهيئ للشيء كيانه ووجوده" ولذلك يترجمونها "أما الإيمان فهو جوهر ما يُجرى" قائلين بالإيمان تكون الأشياء الموجودة والمأمول فيها حاضرة الآن في روح المؤمن. فالمستقبل وغير المنظور يصيران حقيقة للناس بالإيمان. ويبين سياق الكلام في الرسالة كلها أن الكاتب لم يقصد القول أن غير المنظور يصير حقيقة بالإيمان، أو أن هذا هو فعل الإيمان. فأن العالم الروحي في نظره أوكد الحقائق وأوثقها، ولكنه حقيقة لا يدركها الناس أجمعون. وصارت كذلك بالإيمان في حياة المسيحيين الذين كتبت لهم الرسالة.

٢- وذهبت طائفة أخرى من الشراح أن الكلمة "hypostasis" في هذه الآية تعني الثقة الكاملة المكينة، واليقين الثابت المركّز، والاعتقاد الواثق الذي لا يتزعزع. وبهذا المعنى يصح ترجمة الآية "أما الإيمان فهو اليقين بما لا يُرى".

٣- ومنذ اكتشاف بعض الرسائل والبيانات والشذرات التي يرجع عهدها إلى العصر المسيحي الأول- في أوراق البردي التي عُثر عليها المنقبون في صحارى مصر- ألفت المفسرون أنظارنا إلى أن كاتب الرسالة، في استعماله هذه اللفظة، ربما كان مفكراً في قرائه العبرانيين وهم الذين ألفوا التجارة والكسب في عالم العمل، فأراد أن يذكّرهم بالمعنى العملي المقصود من اللفظة، وهو معنى يتكرر كثيراً في قصاصات البردي التي عُثر عليها. أما هذا المعنى فهو العقود. فالإنسان مستطيع أن يثبت ملكيته لضيعة في مكان بعيد لم يره ولا ذهب إليه من قبل، متى كانت معه عقود الملكية. والإيمان أشبه بهذه العقود التي تؤكد للإنسان أنه مالك لضيعة لم يرَها من قبل.

"والإيقان بأمور لا ترى" كما يتبين في هذا الفصل من آية ٣٠-٤٠، وهو بمثابة عرض صور لأشخاص سيقوا بوازع داخلي ليعملوا كمن يؤمنون أن العالم غير المنظور والإله غير المنظور أكثر حقيقة من مشاهد الحياة العادية وأصواتها ومشاغلها. وقد دعي أولئك المسيحيون العبرانيون إلى حياة كهذه يحيونها في صلة وثيقة بحقيقة لا يراها أغلب الناس ولا يدركونها. ولكن الكاتب يذكرهم أنهم ليسوا أول من سلك هذه الحياة الغريبة.

"فأنه في هذا" أي قي طريق حياة الإيمان التي تنظر إلى غير المنظور وإلى المستقبل "شُهد للقدماء" أي الآباء (في فصل ١١آية ١) والحق أن قصة العهد القديم كله تشهد أن أكبر مزية في الآباء العبرانيين وأبطال القديم كانت إيمانهم في الله غير المنظور. ولذلك يعود الكاتب إلى ذكر أولئك الأبطال. ويفكر في بداية سفر التكوين وقصة خلق العالم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المنظور من غير المنظور، ثم يدرك أن الإيمان الجوهري الساذج في قوة الله المبدعة نموذج للإيمان الذي كان يتحدث عنه، لأن أحداً لم يرَ بعينه الجسديتين تلك الخليقة، لذلك يكتب "بالإيمان نفهم أن العالمين أتقنت" والكلمة في اليونانية تعني الكثرة واتحاد كل الخليقة التي أبدعت "بكلمة الله" الإلهية القائلة "كن". وقبل هذا الأمر الإلهي الذي أوجد الأشياء كانت كلها كائنة في "فكر" المتكلم الإلهي، وكان لها كيان غير منظور سابقاً لكيانها المنظور. لذلك يقول "حتى لم يتكوّن ما يُرى مما هو ظاهر".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إختبارات الإيمان كنماذج للدين الحق

ثم يشرح الكاتب في إيراد أمثلة ثلاثة للإيمان من العالم القديم قبل الطوفان. مبيناً أن هذا الإيمان هو الذي خلع ثوب الأهمية على تلك القصص المختصرة، التي لولا ذلك لبدت مدوّنات جافة قاتمة من وقائع التاريخ القديم. وهو يعالج هنا قصص هابيل وأخنوح ونوح. فهابيل عرف الالتزامات الطبيعية المفروضة على الإنسان نحو الله وأكملها حتى الموت، والتي بها يحيا الآن لأنه "بالإيمان قدَّم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين" أنظر سفر التكوين فصل٤ آية ١-٨ وكان اليهود يميزون التقدمة المرضية وغير المرضية من نوع الطعام المقدم. ولكن الكاتب يرى هنا أن المسألة كانت روحية (كما تشهد بذلك أيضاً قصة سورة المائدة في القرآن ٥:٣٠) وأن هابيل نال قبولاً بالإيمان. ولعله قد عبّر عن إيمانه بكرم تقدمته إذ قيل أنه قدّم من الباكورات، أي من الثمار الأولى ومن المسمنات أيضاً.

"فبه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقربانه" ولا يبين لنا سفر التكوين كيف شهد الله لموقف هابيل الصائب في تقدمته وقبوله إياها ورضائه عنها. ولقد ورث إخواننا المسلمون حديثاً قديماً يقول أن النار نزلت وأكلت المحرقة، كما حدث في قصة إيلياء فوق جبل الكرمل. على أن شيئاً واحداً يبدو لنا واضحاً في قصة السفر المقدس، إلا وهو أن ثمة علاقة شخصية قوامها الإيمان أحكمت بين هابيل وربّه قبل أن توجد العهود والمواثيق والشرائع والنواميس.

"وربه وأن مات يتكلم بعد" والكلمة المترجمة (يتكلم) لم تستعمل قد في صدد الكلام مع الله، ولذا لا بد أن يكون معناها كلام هابيل لنا نحن البشر، شهادة ناطقة حية لكل العصور والأجيال عن حقيقة صلته بالله.

كذلك رأى كاتبنا في قصة أخنوخ أن الشيء الجوهري فيها أن أخنوخ هذا عاش وهو مدرك للأشياء غير المنظورة، أي عاش بالإيمان، حتى توّجت صلته الأرضية بصلة خالدة. ولذا يقول "بالإيمان نقل أخنوخ لكي لا يرى الموت، ولم يوجد لأن الله نقله. إذ قبل نقله شُهد له بأنه قد أرضى الله"- أنظر سفر التوين فصل ٥ آية ٢٤- والفعل المترجم "أرضى" يستعمل في اليونانية للدلالة على إرضاء العبيد لمواليهم.

"ولكن بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذي يأتي إلى الله يؤمن بأنه موجود" وهذه عبارة ذات أهمية إذ وجد بين جماعة العبرانيين المسيحيين (وهو الأرجح) نفر ممن كانوا من الأمم في الأصل، لأن الأمم في ذلك العصر ارتابوا في وجود إله حي عامل متسامٍ فوق الكل.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"وأنه يجازي الذين يطلبونه" وهذه أيضاً عبارة ذات أهمية للمسيحيين العبرانيين لأن الرسالة تبين لنا أنهم كانوا متراخين متهاملين في عمل الخير، ذلك لأن الإضطادات كانت حادة، وكانت المجازاة غير منظورة.

أما المثال الثالث في الإيمان فهو نوح الذي أظهر إيمانه في إطاعة أوامر الله ولو أنها قد ساقته إلى معاناة الألم "بالإيمان نوح لما أوحي عليه عن أمور لم تُرَ بعد" وأعني بذلك الدينونة المتوقعة للعالم في عصره بواسطة الطوفان (أنظر تكوين ٦:١٣ و١٤) وكانت تلك الدينونة عند ما بنى نوح الفلك غير منظورة، ومسألة إيمان، مثلها مثل دينونة الأبرار النهائية في نظر العبرانيين المسيحيين أو في نظرنا نحن. ومع ذلك فأن نوح "خاف" والكلمة اليونانية في الأصل لا تنطوي على الخوف المرعب المرجف، بل الحرص والمثابرة بوقار على إتمام أمر إلهي "فبنى فلكاً لخلاص بيته" وقد كانت تقدمة هابيل وفلك نوح، كلاهما مظهراً منظوراً لإيمانهما ولقد ألمح كتّاب الدين منذ أقدم العصور إلى أن القوم العالميين الذين لم يعبأوا شيئاً بأوامر الله (أنظر متى ٢٤:٣٨ و٣٩) لا بدّ سخروا من نوح الذي ابتنى سفينة وهو بعيد عن شاطئ البحر. وأنه لحقٌّ أن يقال عن نوح أمام هذا الهزء أن "به دان العالم" أي أن الله حكم على سخريتهم حكماً قاسياً، وحسب انغماسهم في العالمية إثماً فظيعاً. وصار نوح بسبب هذا البناء- كما قيل عنه في ٢ بطرس فصل ٢ آية ٥- "كارزاً للبرّ" وجاز لكاتب رسالتنا أن يقول عنه بسبب مسلكه هذه أنه "صار وارثاً للبرّ الذي حسب الإيمان" وقد لاحظ كاتبنا في هذا المقام أن نوح كان أول من أعطي له لقب "بار" في العهد القديم (تكوين فصل ٦ آية ٩) فبأي معنى يستطيع الإنسان أن يرث البرّ؟ أن الميراث هو من حقوق الابناء، وقد وقف نوح من الآب السماوي هذا الموقف، موقف الابن بالإيمان والمحبة والطاعة ولو كانت هذه كلها باهظة الكلفة.

ومن ثمَّ يعطينا نوح مثال الإيمان في الطاعة، ويعطينا هابيل مثال الإيمان في الذبيحة والتضحية، والآن يجيء بنا الكاتب إلى قصة إبرهيم الخصيبة المليئة حيث ترى المثالين مجتمعين فيه.

وفي هذه الرسالة يبدو لنا إيمان الطاعة الصابرة في حياة إبرهيم أولاً في استسلامه لدعوة الله إياه ليهجر حضارة أور الكلدانيين- وقد أثبت المنقبون مؤخراً أنها كانت حضارة رفيعة خصيبة- إلى وطن مجهول لا يعرف من أمره شيئاً:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١١: ١١- ٢٠
١١بِالإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضاً أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْلٍ، وَبَعْدَ وَقْتِ السِّنِّ وَلَدَتْ، إِذْ حَسِبَتِ الَّذِي وَعَدَ صَادِقاً. ١٢لِذَلِكَ وُلِدَ أَيْضاً مِنْ وَاحِدٍ، وَذَلِكَ مِنْ مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ. ١٣فِي الإِيمَانِ مَاتَ هَؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ. ١٤فَإِنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ مِثْلَ هَذَا يُظْهِرُونَ أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ وَطَناً. ١٥فَلَوْ ذَكَرُوا ذَلِكَ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ، لَكَانَ لَهُمْ فُرْصَةٌ لِلرُّجُوعِ. ١٦وَلَكِنِ الآنَ يَبْتَغُونَ وَطَناً أَفْضَلَ، أَيْ سَمَاوِيّاً. لِذَلِكَ لاَ يَسْتَحِي بِهِمِ اللهُ أَنْ يُدْعَى إِلَهَهُمْ، لأَنَّهُ أَعَدَّ لَهُمْ مَدِينَةً. ١٧بِالإِيمَانِ قَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ وَهُوَ مُجَرَّبٌ - قَدَّمَ الَّذِي قَبِلَ الْمَوَاعِيدَ، وَحِيدَهُ ١٨الَّذِي قِيلَ لَهُ: «إِنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ». ١٩إِذْ حَسِبَ أَنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَى الإِقَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ أَيْضاً، الَّذِينَ مِنْهُمْ أَخَذَهُ أَيْضاً فِي مِثَالٍ. ٢٠بِالإِيمَانِ إِسْحَاقُ بَارَكَ يَعْقُوبَ وَعِيسُو مِنْ جِهَةِ أُمُورٍ عَتِيدَةٍ

"بالإيمان إبراهيم لما دُعي أطاع" وتدل العبارة في اليونانية عل أن الطاعة كانت فوراً وبلا توقف، وكأني به قد أطاع الدعوة وهي ما برحت ترنُّ في أذنيه (أنظر سفر التكوين ص ١٢) وكانت تجربة إيمانه أشد وقوى لأنه لم يستطع أن يقدم لجيرانه وأصحابه تعليلاً معقولاً لهذا الهجران ولم يقدر أن يعين الموطن الذي يسعى إليه (وهنا كان إبرهيم موضع السخرية من الناس كما كان نوح)، وذلك لأن دعوته كانت "أن يخرج إلى المكان الذي كان عتيداً أن يأخذه ميراثاً فخرج وهو لا يعلم إلى أين يأتي" لأن هذه الرؤيا لم تظهر له إلاّ عقب مغادرته حاران (تكوين فصل ١٢ آية ٧ وأنظر أيضاً أعمال فصل٧ آية ٢) وكان عليه أن يبقى طويلاً في حالة الإستسلام والإتكال على الله، جاهلاً الغرض من دعوة الله.

وأما المظهر الثاني للإيمان في الطاعة الصابرة فكان عند بلوغه الأرض الموعود بها واضطراره إلى الجواب في مرتفعاتها ومنخفضاتها كغريب لا مستقر له "بالإيمان تغرب فيه أرض الموعد كأنها غريبة ساكناً في خيام" وقد كان هذا بلا شك تجربة لإيمانه، وهو الذي هجر حياة الحضر المتحضرة ليعيش حياة البادية ويرى ولده بل أحفاده لأجيال

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثلاثة يستوطنون الخيام، وتلك الأجيال الثلاثة قد صابرت وانتظرت. فأن الرواية تقول أنه سكن الخيام "مع اسحق ويعقوب الوارثين معه لهذا الموعد عينه" والذي أعان إبرهيم على احتمال شظف الحياة الجديدة بعيداً عن أسباب الراحة والملذات التي ألفها في المدينة الأرضية، إنما إيمانه المتجه إلى مدينة أخرى، فأن ترويضه في حياة الاغتراب والاتكال على إرشاد الله وهدايته قد أنجب فيه قوى ورغبات لا تشبعها إلاّ مدينة الله الحي دون أية مدينة أرضية أخرى "لأنه كان ينتظر" والكلمة اليونانية تعني الانتظار اليقظ برأس منتصبة "المدينة التي لها الأساسات" لأن الشيء الذي يعوز "بيت الشعر" هو الأساسات، ولذلك كانت المدينة ذات الأساسات الحلم الذي يستمرئه الإنسان الضارب في خيام وبيوت من الشعر. ولكن الكاتب يقول بعد ذلك أن المدينة التي صبا إليها قلب إبرهيم كانت أمتن أساساً من صهيون ذاتها التي قيل عنها: "أساسها في الجبال المقدسة" (مزمور ٨٧:١) لأن المدينة السماوية قائمة على أساس البرّ الخالد ومحبة الله، وأضع أساساتها "التي صانعها وبارئها الله".

وكان وعد الله لإبرهيم منطوياً على ملكيتين، إحداهما أرضية والأخرى سماوية. لذلك يجوز الآن أبو المؤمنين محنة أخرى لاختبار إيمانه ولتحقيق ما وُعد به. ولم يكن الابن الذي وُعدت به البركة قد ولد في الموعد الطبيعي الذي ينتظر فيه الإنسان نسلاً حسب التقدير البشري (أنظر تكوين ١٧:١٥-٢١) وهنا لم يكن إيمان إبرهيم كافياً وحده، لذلك يشير الكاتب إلى سارة فيقول "بالإيمان سارة نفسها أيضاً" على الرغم من إحساسها بحالتها الجسمانية "أخذت قدرة على إنشاء نسل وبعد وقت السن ولدت" وكما حدث مع نوح رأت سارة تحقيق الوعد في حياتها الأرضية، بينما لم يتحقق الوعد عند أغلب أبطال الإيمان هؤلاء إلاَّ في مدينة الله هذه. وهنا نستذكر كلمات إليصابات إلى مريم (حينما وثقت كلتاهما في صدق مواعد الله عن ولادة خارجية عن نطاق المألوف في الحياة البشرية الجسمانية "طوبى للتي آمنت أن يتمَّ ما قيل لها من قبل الرب" (لوقا فصل ١ آية ٤٥) ومثل هذه البركة يعزوها كاتب الرسالة إلى سارة حينما يقول أن ميلاد اسحق العجيب تمّ "إذ حسبت الذي وعد صادقاً" وكان الأمر قائماً على إيمان الاثنين معاً، إيمان الأبوين إيماناً تعاونياً، لأن إبرهيم كان أيضاً شيخاً في الأيام "لذلك" أي بإيمان الاثنين اللذين كانا "جسداً واحداً" "ولد أيضاً من واحد وذلك من ممات مثل نجوم السماء في الكثرة وكالرمل على شاطئ البحر الذي لا يُعد".

وصف الكاتب إيمان إبرهيم في الطاعة الصابرة، وقبل أن ينتقل إلى إيمانه في التضحية، يقول بعض الشيء عن حياة الإيمان التي عاشها الآباء الأولون بصفة عامة، وكان أساس تلك الحياة الانتظار، يعضده الثقة في غير المنظور.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"في الإيمان مات هؤلاء أجمعون" إي في الإيمان (آية ١) الذي هو الثقة بما يُجرى، لأنهم لم يروا تحقيق الوعد في امتلاك أرض كنعان التي استوطنها بنو إبرهيم، وماتوا "وهم لم ينالوا المواعيد" ولم يحفظوا إلاَّ برؤيا من بعيد عن موعد مرتقب، ولكن تلك الرؤيا قد ولَّدت فيهم عقيدة فرحة، لذلك لم تثقل نفوسهم لأنهم لم يروا اكتمال الوعد في حياتهم على الأرض "بل من بعيد نظروها وصدّقوها وحيّوها" والكلمة الأخيرة تعني أنهم حيوا هذا الأمل المرتقب فارحين، كما كان يفعل الحجاج في العصور القديمة عند ما تسحُّ عيونهم بالدموع وترتفع أصواتهم بالنشيد حين تلوح لأعينهم أول بادرة من أورشليم وهم مقبلون إليها "وأقروا بأنهم غرباء" والفعل في اليونانية منطو على الأعتراف بشيء فيه شعور بالخجل، لأن في عرف القدماء كان من العار ألاَّ يستوطن الإنسان مدينته التي نبت فيها. ولقد اعترف أولئك الآباء الأولون أنهم غرباء "ونزلاء على الأرض" لأن الأشياء المنظورة لم تكن موطنهم الحقيقي، وهم نازلون فيها إلى حين. ومثل هذا الاعتراف من خواص الإيمان الحق، في كل جيل، وفي كثيرين ممن انتقلوا منذ عصر الآباء الأولين. والكلمة اليونانية المترجمة "نزلاء" وجدت مكتوبة على بعض أوراق البردي المكتشفة في مصر في العصور المتأخرة، ومعناها هنا الغرباء الذين استوطنوا مدينة مثل الإسكندرية.

وفي هذا الاعتراف دلالة على أن أولئك الغرباء والحجاج ليسوا قانعين بالبقاء هنا، بل هم جادون في المسير لبلوغ قصد آخر "فأن الذين يقولون مثل هذا يظهرون أنهم يطلبون وطناً" والوطن الذي يطلبونه، لا ينالونه بحق الغزو والفتح، بل بحق المولد، لأنه وطن الآباء والأجداد- ليسو الآباء الأرضيين الذين نزحوا من أرض الجزيرة المتحضرة بين دجلة والفرات، لأن الطريق إلى ذلك الموطن الأرضي القديم كانت مفتوحة دائماً أمامهم "فلو ذكروا ذلك الذي خرجوا منه، لكن لهم فرصة للرجوع، ولكن الآن يبتغون وطناً أفضل أي سموياً" لاحظ اللفظة "أفضل" التي تمتاز بها هذه الرسالة (أنظر ١٩:٧ و٢٢:٧ و٦:٨ و٢٣:٩ و٣٤:١٠) ونرى في هذا الفصل معاني ثلاثة تخطر ببال الكاتب وهو يفكّر في حقيقة العالم غير المنظور وقيمته. والآن يصورهم لنا أنهم لا يتطلعون من بعيد إلى قباب وأبراج مدينة تبدوا لهم سراباً في الأفق الممتد في الصحراء، ولكن الله نفسه يعدُّ لهم مدينة. أجل، لم يخجل ذلكم القوم أن يعترفوا في سبيل الله أنهم "بلا وطن" لذلك (وفقاً لما قال سيدنا وربنا في بشارة متى فصل ١٠ آية ٣٢) "لا يستحي بهم الله أن يدعى إليهم" كما عرف عنه حتى اليوم "إله إبرهيم واسحق ويعقوب" "لأنه أعدَّ لهم مدينة" وكونه دُعي إليهم، كما يشير إلى ذلك سيدنا وربنا، ضمن لهم الحياة في التمتع بالجزاء الخالد الذي ينعم به أهل الإيمان "لأن الله ليس إله الأموات بل الأحياء".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

إيمان التضحية

"بالإيمان قدّم إبرهيم اسحق" أقرأ القصة في سفر التكوين فصل ٢٢ "وهو مجرب" فيمَ كانت تجربة إبرهيم؟ يتضح أن صوت الله، كما سمعه هو، دعاه أن يحب ربه فوق كل شيء أرضي، وأن يقدم ابنه أحب الناس إليه، دليلاً على هذا الحب. وكانت تقدمة الابناء من الذبائح التي فرضتها أحياناً الأديان في العالم لا سيما في فينيقية، وكان الذين يقومون بها موضع التجلة والإكبار. ويرى الناظر في متحف قرطاجنة (إحدى المدن التي استوطنها الفينيقيون قديماً) أوعية صغيرة عديدة تتضمن بقايا الأطفال الصغار الذين قدمهم ذووهم قرابين للآلهة. أما تجربة إبرهيم فلم تكن فقط في مبلغ استعداده لأن يقدم لله شيء لديه، بل كانت أقصى من ذلك وأشد. لأن إبرهيم كان قد تلقى وعداً من الله أن في اسحق هذا الذي ولد بطريقة عجيبة سيكمل له الموعد. فكيف يطلب الله الآن اسحق قرباناً له؟ وكانت تجربة إبرهيم عندئذ أن يتذرع بثقة كاملة في أن الله سيحقق له الوعد بطريقة ما. وهذا الأمر المعين بالذات لا يمكن أن يطاع إلا بطريق واحد أما الموعد فيمكن تحقيقه بطرق كثيرة لأنه صادر من الله، لذلك وهو واثق كل الثقة في حق الله قام بفعلة الإيمان الجريئة إذ "قدّم الذي قَبِل المواعيد وحيده" والكلمة المترجمة "قَبِل" لا تعني فقط أنه تلقى وعد الله، بل رحّب به وحياه. وفي صدد هذا الموعد كان اسحق هو الابن الوحيد من سارة الزوجة الحقيقية "الذي قيل له أنه بإسحق يدعى لك نسل" أنظر سفر التكوين فصل ٢١ آية ١٢- استند استسلام إبرهيم وخضوعه إلى هذا "الإيمان" الذي قيل أنه "الثقة بما لا يرى". وفي هذه الحالة يكون قد استند إلى قوة الله المحيية التي وثق فيها ثقة كاملة جعلته يقدم وحيده اسحق دون أن يفقد إيمانه في تحقيق الموعد الإلهي "إذ حسب أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً" انظر كلمات البسالة في سفر دانيال ص٣ آية ١٧- "الذين منهم" أي الأموات "أخذه أيضاً في مثال" لأن رجوع اسحق إلى الحياة كان في نظر أبيه، الذي أسلمه إلى الموت، أشبه بالقيامة.

ومن هذا الإيمان الفائز المنتصر الذي رأيناه في إبرهيم، ينتقل بنا الكاتب إلى سلسلة من حوادث الإيمان تتوالى تباعاً من جيل إلى آخر "بالإيمان اسحق بارك يعقوب وعيسو" أنظر سفر التكوين ٢٧:٢٨و٢٩و٣٩و٤٠- وكان الإثنان أخوين، عيسو هو الأكبر، وإليه تنتقل الولاية، وكان محبوب أبيه. ويبدو هنا إيمان اسحق في قبوله اختيار الله، لا اختياره هو. وقد تبارك الولدان. ولكن اقتضت مشيئة الله أن ينقلب النظام البشري. وتنقلب مشيئة الوالد. لذلك تعطى الأفضلية للأصغر، ويصير وارثاً للموعد. ومن ثمَّ يذكر الكاتب اسم يعقوب "الأصغر" قبل اسم أخيه الأكبر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١١: ٢١- ٣٠
٢١بِالإِيمَانِ يَعْقُوبُ عِنْدَ مَوْتِهِ بَارَكَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنِ ابْنَيْ يُوسُفَ، وَسَجَدَ عَلَى رَأْسِ عَصَاهُ. ٢٢بِالإِيمَانِ يُوسُفُ عِنْدَ مَوْتِهِ ذَكَرَ خُرُوجَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَوْصَى مِنْ جِهَةِ عِظَامِهِ. ٢٣بِالإِيمَانِ مُوسَى، بَعْدَ مَا وُلِدَ، أَخْفَاهُ أَبَوَاهُ ثَلاَثَةَ أَشْهُرٍ، لأَنَّهُمَا رَأَيَا الصَّبِيَّ جَمِيلاً، وَلَمْ يَخْشَيَا أَمْرَ الْمَلِكِ. ٢٤بِالإِيمَانِ مُوسَى لَمَّا كَبِرَ أَبَى أَنْ يُدْعَى ابْنَ ابْنَةِ فِرْعَوْنَ، ٢٥مُفَضِّلاً بِالأَحْرَى أَنْ يُذَلَّ مَعَ شَعْبِ اللهِ عَلَى أَنْ يَكُونَ لَهُ تَمَتُّعٌ وَقْتِيٌّ بِالْخَطِيَّةِ، ٢٦حَاسِباً عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ. ٢٧بِالإِيمَانِ تَرَكَ مِصْرَ غَيْرَ خَائِفٍ مِنْ غَضَبِ الْمَلِكِ، لأَنَّهُ تَشَدَّدَ، كَأَنَّهُ يَرَى مَنْ لاَ يُرَى. ٢٨بِالإِيمَانِ صَنَعَ الْفِصْحَ وَرَشَّ الدَّمَ لِئَلاَّ يَمَسَّهُمُ الَّذِي أَهْلَكَ الأَبْكَارَ. ٢٩بِالإِيمَانِ اجْتَازُوا فِي الْبَحْرِ الأَحْمَرِ كَمَا فِي الْيَابِسَةِ، الأَمْرُ الَّذِي لَمَّا شَرَعَ فِيهِ الْمِصْرِيُّونَ غَرِقُوا. ٣٠بِالإِيمَانِ سَقَطَتْ أَسْوَارُ أَرِيحَا بَعْدَ مَا طِيفَ حَوْلَهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ

"من جهة أمور عتيدة" أي موعد البركة لجميع الأمم في نسل إبرهيم. وقد امتدت بركة اسحق إلى ما وراء المستقبل القريب الذي استطاع أبناؤه أن يشدوه في حياتهم. ومن ثمَّ عاش الكل في الإيمان الذي هو "اليقين بما يُجرى". وقد انتقلت حياة الإيمان إلى الجيل الآخر التالي ف "بالإيمان يعقوب عند موته بارك كل واحد من أبني يوسف" وهنا ينتقل المشهد إلى مصر (أنظر تكوين ٩:٤٨) ومرة أخرى يُختار شخص، دون أخيه الأكبر، ليحمل إلى العالم بركة الله، ويعترف هذا بدوره أن الله رأى مرة أخرى أن يكون الاختيار حسب مشيئته المقدسة، لا بحكم تاريخ الميلاد ونظام الأسبقية في السن. فأن بين أولاد يعقوب الأثني عشر، كان رأوبين الأكبر، ولكن لم تعطَ البركة الخاصة للبكر، بل إلى أصغر الكل. وفي مباركة ولدي يوسف (وهما من أم مصرية تدعى أسنات إبنة كاهن منف) قد أعطى يعقوب ليوسف البركة المضاعفة للوالد البكر. ومن ثمَّ تستعلن دينونة الله العادلة ويقبل الله إيمان يوسف الذي جرّب في البوتقة. وهنا نرى أمامنا مواهب مصر يُعترف بها وتأخذ نصيبها في توارث البركة. ونرى الأخ الأصغر يُعطى المكانة الأولى، مع أن الأثنين قد غمرتهما بركة عظيمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

في هذا التعاقب، جيلاً فجيلاً، تتنقل أسرة إبرهيم في حياة الثقة واليقين في بركات الله غير المنظورة العتيدة، كما يبدو لنا في الإشارة الختامية إلى يعقوب حينما قيل "سجد على رأس عصاه" وهذا الاقتباس مأخوذ من اليونانية لسفر التكوين فصل ٤٧ آية ٣١ حيث أشكل على المترجمين اليونانيين فهم كلمتين عبرانيتين ذات وضع واحد تقريباً، فكتبوا "عصا" بدلاً عن "فراش". على أن المعنى الجوهري واحد في الكلمتين، فأن يعقوب قد أدار شئون أسرته في مخافة الله وعبادته، الإله الذي أعانه في اضطرابات حياته، والذي آمن في صدق موعده.

وكما كان في الأجيال السابقة، كذلك أيضاً في الأجيال اللاحقة، فأنه "بالإيمان يوسف عند موته ذكر خروج بني إسرائيل" من مصر. فأنه على الرغم من نجاح يوسف ورفعة شانه، قد نظر من بعيد إلى تحقيق الموعد المنطوي على الخروج من الأرض التي صادف فيها توفيقاً ورفعة. وكما فعل الآباء الغرباء الأولون الذين عاشوا في الخيام (آية ٩) كذلك نرى الآن يوسف، الذي يعيش في قصر مصري، لا يأنف في أن يعترف بأنه غريب نزيل (آية ١٣) قائلاً للذين دعاهم هو بنفسه إلى أرض مصر، أن هذه البلاد ليست موطنهم. وقد حسب كل إخوته وكلاءً لتنفيذ مشيئة الله نحو الأسرة كلها "وأوصى من جهة عظامه" وهو لم يرد أن تستقر عظامه في أحد قبور الملوك والنبلاء، مثل تلك القبور التي يكشف عنها المنقبون في هذا العصر، بل أراد أن تستقر عظامه في أرض الموعد، كشعار يدل على أن الذي خدم الله في البلدان الأخرى سينال نصيبه في موعد ميراث أرض كنعان. وقد نفذ بنو إسرائيل هذه الوصية فعلاً (أنظر خروج ١٩:٨ ويشوع ٣٢:٢).

ويجيء الكاتب الآن إلى قصة موسى، زعيم الشعب العبري وبطله. ولكن قبل أن يذكر مغامرات إيمانه بالذات، يرى أمامه ماثلاً إيمان شخصين عاديين، هما أبو موسى (أنظر خروج ١:٨-٢:١٠ حيث سطرت القصة كلها) ونحن نعرف اسميهما من آيات أخرى (مثل خروج ٢٠:٦) ولكنهما لم يذكرا بالاسم، لا في الفصل الثاني من سفر الخروج، ولا في رسالتنا هذه، ولكن ذكر "كأوائل الذين أغفلت أسماؤهم في سجل أبطال الإيمان".

"بالإيمان موسى بعد ما ولد أخفاه أبواه ثلاثة أشهر لأنهما رأيا الصبي جميلاً" والعبارة الأخيرة مأخوذة عن الترجمة اليونانية لسفر الخروج، وليس من الأصل العبراني "ولم يخشيا أمر الملك" لأنهما نظرا إلى الله كحمى لهما، وحمى للطفل العاجز الذي لم يقدرا على إخفائه لما كبر.

وبعد ذلك يبين الكاتب حياة الإيمان في موسى نفسه. وكما كان الحال مع إبرهيم، كذلك مع موسى، استتبع هذا الإيمان أن يهجر كلَّ ما كان مرغوباً فيه من الوجهة البشرية

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

"بالإيمان موسى لما كبر أبى أن يدعى ابن ابنة فرعون" والكاتب يلخص هنا القصة التي وردت تفصيلاً في سفر الخروج (ص ٢:١١) والكلمة اليونانية المترجمة "أبى" تشير إلى أزمة في حياة موسى حين اتخذ القرار الفصل في هذا الشأن "مفضلاً بالأحرى أن يُذلَّ مع شعب الله" لأن دعوته كانت لأن يدمج نفسه في شعبه ويصير واحداً معهم، وزعيماً لهم، قارناً مصيره بمصيرهم، وقد آثر كل هذا "على أن يكون له تمتع وقتي بالخطية" وليس معنى هذه الآية أن الحياة في البلاط الملكي المصري كانت بالضرورة شريرة آثمة، ولكن لذاذات حياة البلاط الملكي حسبها لذات الخطية- خطية رفض الدعوة، وهو قد دُعي (وعرف من دعاه) ليفرز نفسه لشعبه المتألم. وهنا فوز الإيمان الذي نظر (كما فعل الآباء الأولون) إلى وراء الأشياء المرئية، إلى الإله غير المنظور الذي دعاه، فاختار حياة العناء وآثرها على حياة الرخاء "حاسباً عار المسيح غنى أعظم من خزائن مصر" وهذه عبارة مأثورة للكاتب لن تنسى، لا بد أنها مسّت قلوب المسيحيين العبرانيين الذين كتبت لهم أولاً (كما مسّت قلوب كثيرين غيرهم إلى هذا العصر) لأن الذين قرأوا هذه الرسالة، كما رأينا في فصل ١٠:٣٣ قد احتملوا هم أنفسهم عار المسيح. ولكن بأي معنى اختار موسى عار المسيح وقد جاء قبله بأجيال طويلة؟ بنزوله من أمجاد القصر الباذخ واندماجه بين شعبه كأخ لقوم مضطهدين في أمة مستعبدة، ثم بعد ذلك بإنكار هذا الفضل عليه، ومواجهته بالتمرد والجحود من جانب الذين بذل لأجلهم نفسه (أنظر خروج ٢:١٤ وغيرها من الآيات التالية) فموسى قد عرّض نفسه للعار الذي عاناه المسيح فيما بعد في أوسع مدى وأقصى مظهر، وهو الذي قد "جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله". تحمل موسى هذا، إذ رأى ما وراء الحاضر، إلى عالم الروح، حيث تدّخر له مجازاة أفضل مما عهده على الأرض، وفعل هذا كله كما يقول الكاتب "لأنه كان ينتظر إلى المجازاة". كذلك يقول الكاتب عينه فيما بعد أن المسيح احتمل الصليب "لأجل الفرح الموضوع أمامه" (أنظر فصل ١٢:٢) وهذه كلمات عميقة المعنى سنعلق عليها في موضوعها.

"بالإيمان ترك مصر غير خائف من غضب الملك" نستخلص من قصة سفر الخروج (ص٢:١١-٢٢) أن موسى خاف حين أحسَّ أن شعبه غير متحمس له، ويخشى عليه أن يغدروا به. ولعله لم يخشَ غضب الملك، قدر خشيته بني قومه لئلا يحبطوا سعيه ويفسدوا عليه مهمته بجحودهم وعدم إيمانهم. لأن القصة تبين لنا فيما بعد أنه كان باسلاً جريئاً أمام فرعون، ويقول كاتب الرسالة بصريح العبارة أنه لم يخف غضب الملك. وقد يبدو لنا لأول وهلة أن في تركه مصر معنى من معاني الهرب، ولكن كاتب الرسالة إلى العبرانيين يذكر هذا الترك دليلاً على الإيمان، فكيف يمكن تعليل هذا؟ ترك ما حسبه مسرح عمله لله، وذهب إلى حيث السكون والجمود، ولكن كانت تلك خلوة الإيمان حين رأى الله في العليقة المشتعلة (خروج ص ٣) ولعلَّنا ندرك سرّ الأمر فيما يقول الأستاذ بيك: "أن الشجاعة في ترك العمل الذي أشرب به القلب. وقبول حياة السكون بغبطة كإرادة الله، من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأعمال النادرة السامية حقاً، ولن يقدر عليها إلاَّ كلُّ من صفت رؤياه الروحية". ويقول كاتبنا أن موسى قد سما إلى تلك الرؤيا، ولذلك لم يخف أبان هربه وانتظاره، في سكون، تكميل دعوة الله إياه "لأنه تشدد كأنه يرى من لا يُرى".

والآن ينتقل بنا الكاتب إلى قصص في معرض الإيمان، وإلا أعمال ألهمها موسى، ولم تكن من عمله شخصياً. ونرى هنا أمة قد آمنت في الله، على الرغم من كل أخطائها، وسارت وراء زعيمها وملهمها في طريق مجهول. وكما أن إيمان إبرهيم اقترن بإيمان سارة ونسلها، كذلك اقترن إيمان موسى بإيمان بني إسرائيل.

"بالإيمان صنع الفصح" أنظر الأوامر الإلهية في سفر الخروج ١٢-٤٨ والفعل في اليونانية يفيد، لا صنع الفصح للمرة الأولى فقط، بل حفظه كفريضة وعيد سنوي يتوالى عاماً بعد عام كأثر من آثار الإيمان. فكل أسرة ذبحت خروفها ورشت دمه أنما شهدت لإيمانهم بأوامر الله المعطاة على يد موسى، ولقوته وإرادته في حفظ شعبه. لذلك كان حقاً أن يقال "ورشَّ الدم لئلا يمسهم الذي أهلك الإبكار" أنظر خروج ١٢:١٢.

كذلك كان العمل الثاني أثراً من آثار الإيمان. وجاء الفعل هنا في صيغة الجمع دلالة على أناّ نرقب هنا إيمان أمة بأسرها إذ يقول "بالإيمان اجتازوا في البحر الأحمر كما في اليابسة" أنظر خروج ١٤:١٦، والعبارة "كما في اليابسة" مأخوذة عن سفر الخروج ١٤:٢٩ وها نحن نى أمة من العبيد تنهض بناء على أمر الله على لسان موسى، وتهجر مواطنها القديمة مؤمنة أن الله يقودها، وبالإيمان عبرت طريق البحر اليابس. وهناك أشياء معينة لا يأتيها البشر إلاَّ بالإيمان، ومنها هذا العبور بعد انحسار ماء البحر بقوة الخالق (ربما باستخدام ريحاً جارفة) "الأمر الذي لما شرع فيه المصريون غرقوا".

وشاهدان آخران عن الإيمان من تاريخ شعب إسرائيل، الأول عن الإيمان الذي ساقهم إلى حيازة أرض الموعد، والثاني يبين أن الإيمان لن يمكن قصره على حدود كنيسة أو أمة مهما توافرت لديها من المزايا، ذلك لأن هذا الشاهد الأخير يشهد بذكر إمرأة وثنية من جنس آخر:

"بالإيمان سقطت أسوار أريحا" أنظر يشوع ٦:١-٢٠ "بعد ما طيف حولها سبعة أيام" لم تحاصر أريحا أولى مدائن أرض الموعد، فأن شعب إسرائيل طوعاً لأمر الله طافوا حولها مدة أسبوع- وهذا أثر من آثار الإيمان في الزعيم والكهنة والشعب. وبوسائل غير معروفة لدينا تهدمت أسوار المدينة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١١: ٣١ ـ ٤٠
٣١بِالإِيمَانِ رَاحَابُ الزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ الْعُصَاةِ، إِذْ قَبِلَتِ الْجَاسُوسَيْنِ بِسَلاَمٍ. ٣٢وَمَاذَا أَقُولُ أَيْضاً؟ لأَنَّهُ يُعْوِزُنِي الْوَقْتُ إِنْ أَخْبَرْتُ عَنْ جِدْعُونَ، وَبَارَاقَ، وَشَمْشُونَ، وَيَفْتَاحَ، وَدَاوُدَ، وَصَمُوئِيلَ، وَالأَنْبِيَاءِ، ٣٣الَّذِينَ بِالإِيمَانِ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرّاً، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، ٣٤أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوُّوا مِنْ ضُعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ، ٣٥أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ. وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ. ٣٦وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضاً وَحَبْسٍ. ٣٧رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلاً بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، ٣٨وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقّاً لَهُمْ. تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ. ٣٩فَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ، مَشْهُوداً لَهُمْ بِالإِيمَانِ، لَمْ يَنَالُوا الْمَوْعِدَ، ٤٠إِذْ سَبَقَ اللهُ فَنَظَرَ لَنَا شَيْئاً أَفْضَلَ، لِكَيْ لاَ يُكْمَلُوا بِدُونِنَا

وينتهي سجل الأسماء التي كرّمها الإيمان باسم هذه المرأة الأجنبية المنبوذة غير المتزوجة، وما أعظم المفارقة بين هذه وبين سارة زوجة إبراهيم (أنظر آية ١١)وقد رويت القصة في سفر يشوع ٢:١-٢١و٦:٢٥ ولسنا ندري ما الذي دفع راحاب دفعة واحدة لتؤمن أن الغلبة إلى جانب إله إسرائيل، ولكن إيمانهم كان إيماناً عملياً لأنه ساقها لأن تغامر بحياتها وتنقذ حياة الجاسوسين الإسرائيليين، ولذا تقول الرسالة "بالإيمان راحاب الزانية لم تهلك مع العصاة إذ قبلت الجاسوسين بسلام" والحق أن جزاء راحاب كان أعظم من مجرد الإفلات من الموت، لأنها قبلت في زمرة شعب الله المختار وشاطرتها الإيمان في الله. وعلى الرغم من عار حياتها الأولى ارتفع اسمها في الأحاديث المتأخرة حتى تفاخر الكهنة في تسلسل نسبهم إليها (أنظر متى ١:٥) ومن هذا نتعلَّم إلاَّ نحصر بركات الله الروحية في قيود وحدود معينة، إذ هو متأهب أبداً لأن يضفيها على بنيه بغض النظر عن الأمة أو الجنس أو ماضي التاريخ في الدين أو الآداب والأخلاق.

ولضيق الوقت والمقام، يجمع الكاتب قصص الإيمان هذه في مجموعة واحدة وصعيد واحد- وهي مجموعة تثلج صدور القراء العبرانيين وتملؤها فخاراً وبشراً إذ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يفكّرون في أعمال البسالة في تاريخ أمتهم. وبعبارة موجزة نستطيع القول أن الآيتين ٣٣و٣٤ تصفان ما قام به الأقدمون بالإيمان، وأما الآيات من ٣٥-٣٨ فتصف ما فعلوه لأجل الإيمان.

وقد جاءت الآية ٣٢ على ذكر ستة من الأسماء، لا بحسب ترتيبها التاريخي، بل بحسب تزاحمها في فكره وقلبه وهو يفكر في مآثر الإيمان القديمة:

"وماذا أقول أيضاً لأنه يعوزني الوقت أن أخبرت عن جدعون" وقد جاءت قصته وترويضه في الإيمان بسفر القصاة (ص٦-٨) فأن قصة نصرته الحاسمة على المديانيين (وهي نصرة الإيمان) قد تردد صداها في تاريخ أمته المتأخر (أنظر الشواهد في اشعياء ٤:٩ و٢٦:١٠ ومزامير ١١:٨٣) "وباراق" وهو منقذ آخر لشعبه وحليف دبورة (أنظر سفر القضاة ٤و٥) وهو الذي هزم الكنعانيين "وشمشون" (أنظر قضاة ١٦) وقد قامت مآثره العظيمة وفعاله أعداء شعبه من الفلسطينيين على اعتصامه بالإيمان في الله الذي دعاه من البطن ليكون نذيره فيعيش له "ويفتاح" أنظر قضاة ١١و١٢ وهو منقذ شعبه من الأمويين. ويذكر الكاتب هؤلاء الأربعة كنماذج بارزة في تاريخ إسرائيل المدون في سفر القضاة. وقد حارب كل منهم بقوة أضعف من قوى أعدائه، ولكنه أعتصم بالإيمان في الله فكان له خير الجزاء.

وإذ ينتقل الكاتب من سفر القضاة، يذكر أحد مشاهير ملوك إسرائيل، وأحد ساستهم الأنبياء كنماذج لهاتين الفئتين فيقول "وداود" الملك الذي بدأ حياته العامة بذلك القول المأثور المشبع بإلهام الإيمان، لغريمه الجبار الهائل: "أنا آتي إليك باسم ربّ الجنود" (١ صموئيل ٤٥:١٧) "وصموئيل والأنبياء" الذين كان صموئيل زعيمهم، وهو وليد إيمان أمه وصلاتها، وهو الذي بدأ حياته بالإيمان حين تمتمت شفتاه في عهد صبوته بهذه الكلمات: "تكلم يا رب لأن عبدك سامع" (١ صموئيل ١٠:٣)

وبعد ذكر الأسماء الستة، يسرد الكاتب مجموعة من المآثر أجريت بالإيمان "الذين بالإيمان قهروا ممالك" وهذا وصف يصدق على الأبطال الستة حين حاربوا وهزموا المديانيين والكنعانيين والأموريين والموآبين والفلسطينيين. وفي غزوهم وفوزهم "صنعوا براً" لأنهم جعلوا من هذا النصر وسيلة لاستتباب الحق والعدل والحكومة الأدبية الصالحة. وكان هذا عملاً ذا صبغة عامة، ولكن العبارة التالية تصف علاقة شخصية فردية كأثر من آثار الإيمان في الله حين يقول "نالوا مواعيد" وكأنه، بفضل هذا الإيمان، قد تحققت لهم مواعيد الله في اختباراتهم.

ثم يعود الكاتب بعد هذا إلى ذكر بعض مآثر الإيمان التي لا تقتصر على هؤلاء الستة فقط، فيقول أن أبطال الإيمان "سدّوا أفواه اسود" أنظر دانيال ٦ وسفر المكابيين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الأول ٢:٦٠ ولعلّه يفكر هنا أيضاً في شمشون (قضاة ١٤:٦) أو داود (١ صموئيل ١٧:٣٤)

وأبطال آخرون قد قهروا قوى الطبيعة بالإيمان "أطفأوا قوة النار" أنظر دانيال ٣ وسفر المكابيين الأول ٢:٥٩ وغيرهم "نجوا من حدّ السيف" والكلمة اليونانية المترجمة "نجوا" لا تعني النجاة مرة واحدة فقط، بل النجاة المتكررة من القتل كما حدث لإيلياء (ملوك الأول ١٩) واليشع (ملوك الثاني ٦). ولم يكن كل هؤلاء أقوياء البدن بطبيعتهم ولكن بعضهم "تقووا من ضعف" وليست الإشارة هنا إلى بطل معين، ولو أن العبارة تصدق على كثيرين. ولعلَّ الكاتب يفكّر هنا قبل كل شيء في الصراع الباسل الذي قام به شعبه في عهد المكابيين، حين نهضت جماعة مستضعفة من الإخوان، وتقووا من ضعف مسوقين بقوة الإيمان الجسورة الغالبة حتى "صاروا أشداء في الحرب هزموا، جيوش غرباء" أنظر سفر المكابيين الأول ٢و٣ الخ.

وفي هذه الآيات يتّجه الفكر إلى الرجال والنساء الذين تأملوا بسبب إيمانهم، وهؤلاء لم يفوزوا بالانتصار الخارجي على الأعداء، بل فازوا بانتصار داخلي في الاحتمال الباسل الصبور.

"أخذت نساء أمواتهم بقيامة" كان هذا أسمى غلبة للإيمان، وهنا نرى الإيمان في مظهرين: إيمان النبي الذي أجريت به المعجزة، والإيمان السلبي الصامت الصابر، الصادر عن مخارج القلب المحب المتعاون مع إيمان النبي. انظر سفر الملوك الثاني فصل ٤ آية ٣٦- ويقول أحد الكتّاب: "لم يكن بلا معنى أن تكون حوادث القيامة من الموت المدونة في الأسفار المقدسة، هي للنساء قبل غيرهن" انظر أسفار الملوك الأول ٢ ١٧ والملوك الثاني ص ٤ ولوقا ص ٧ ويوحنا ص ١١ وأعمال ٩: ٣٦

"وآخرون عذبوا" والكلمة المترجمة هنا "عذبوا" تعني الضرب الوجيع الثقيل المفضي إلى الموت، وقد استعملت للدلالة على الموت المريع الذي يربط فيه المتألم إلى سارية، ثم يأخذ المنفّذ بقضيب غليظ من حديد ويكسر به أضلاع الفريسة مبتدئاً من عظام الأكتاف والأذرع والأفخاذ جانباً بعد آخر. ويختم هذا العقاب بضربة في الصدر تدعى ضربة الرحمة"coup de grace" لأنها تضع حداً لنزاعات المتألم المسكين

"ولم يقلبوا النجاة لكي ينالوا قيامة أفضل" كما نرى بنوع خاص في قصص شهداء اليهود الذين ماتوا في سبيل إيمانهم في عهد المكابيين (بعد كتابة نبوات العهد القديم وقبل مجيء المسيح). ويمكن الاطلاع على سير أولئك الشهداء العبرانيين، وهم الأسلاف الروحيون لأولئك العبرانيين المسيحيين الذين كتبت لهم الرسالة، في سفر المكابيين الثاني، الفصل السادس والسابع، ولاسيما في الفصل السابع حيث نقرأ قصة الأم وأولادها السبعة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الذين "لم يقبلوا النجاة" وآثروا الموت جميعهم في سبيل الله، وكانت الأم تشجعهم وتبثُّ فيهم روح الثبات والصبر. ويروى لنا أيضاً فيلو الفيلسوف اليهودي قصص العذاب المريع الذي أصاب اليهود في الإسكندرية "وآخرون تجربوا في هزء وجلد" وأكبر الأولاد السبعة المشار إليهم جلد حتى الموت. والمعروف لنا في العالم الروماني(كما روى لنا في قصة آلام ربنا في يوحنا ١٩: ١ وفي قصة الرسول بولس في أعمال ١٦: ٢٢ و٢٣) أن الجلد كان من العقوبات المريعة التي تقع على الأجانب الذين لا يتمتعون بالرعوية الرومانية (انظر أعمال ١٦: ٣٦- ٣٩) وكان نصيب اليهود موفوراً في هذه العقوبة، فهم قد عانوا الآلام الحادة والضربات الوجيعة في النفس والجسد، ولكن آخرين أيضاً عانوا آلاماً بطيئة باردة بديل قول الكاتب "ثم في قيود أيضاً وحبس" وكثيرون ممن يقدرون على معاناة النزاع الحاد السريع يفشلون أمام معاناة السجن الطويل البطيء، ولكن المؤمنين صمدوا صابرين أمام هذين النوعين من العقوبات. وقد عرف المسيحيون العبرانيون أمثلة من هذا القبيل (أنظر سفر الملوك الأول ص ٢٢:٢٧ وارمياء ٣:١٥-٢١ والمكابيين الأول ١٣:١٢ والثاني ٧:٧و١٠) ولعلَّ المسيحيين العبرانيين قد تذكروا أيضاً قصة يوحنا المعمدان الذي كان ممكناً له أن ينعم بالحرية لو اعترف بزواج هيرودس الملك من هيرودية زوجة أخيه (مرقس ٦:١٧و١٨) كما أن كثيرين من المسيحيين العبرانيين الأولين في فلسطين وسوريا قد سيقوا إلى السجن في سبيل المسيح (أنظر أعمال ٢٦:١٠)

وبعد أن يلقي الكاتب نظرة على إيمان الذين عانوا آلام السجن البطيئة، يعود إلى الذين جابهوا الموت بالإيمان في سبيل الله، لا في جهاد الحرب وساحة القتال حينما يهون لقاء الموت بسبب استفزاز العواطف وغليان الماء، بل في جهاد الآلام المفردة حينما يقف السجين مقيداً عاجزاً لا حول له ولا طول. وكان لدى العبرانيين عدد وافر من الذين قضوا شهداء، ويذكر الكاتب نماذج فقط من هؤلاء فيقول "رجموا" وكان الرجم من العقوبات اليهودية (متى ٢٣:٣٧) ونقرأ في سفر الأيام الثاني ٢٤:٢٠ كيف نفذت هذا العقوبة في رجل بار، ويروى لنا التاريخ اليهودي، في غير الكتاب المقدس، أن النبي ارمياء في مصر، والنبي حزقيال في بابل، قد قضى كلاهما بهذه العقوبة. وربما سمع أولئك المسيحيون العبرانيون عن قصة موت استيفانوس الشهيد الأول في المسيحية الذي قضى محكوماً عليه بالرجم. (أنظر سفر الأعمال ٧:٥٤-٦٠) "نشروا" ويروي لنا التاريخ اليهودي (خارج العهد القديم) أن النبي اشعياء استشهد بهذه الوسيلة في حكم الملك منسى "جربوا ماتوا قتلاً بالسيف" وما أكثر الذين لقوا هذه الميتة. اقرأ أقوال إيليا، في سفر الملوك الأول ١٩:١٠ وارمياء ٢٦:٢٣، وهذه هي الميتة التي عاناها يوحنا المعمدان والرسول يعقوب.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم ينتقل الكاتب من التحدث عن معشر الذين عانوا موت الآلام إلى الذين عانوا بالإيمان حياة الآلام، لاسيما آلام الطرد والتشريد التي قاساها أولئك الذين "طافوا في جلود غنم وجلود معزة" وفي عصر شهداء المكابيين لم يقتل الجميع، فقد كان نصيب كثيرين منهم الحياة الشقية المملوءة بالرعب والهول فكانوا يطاردون في الجبال والمغاور (انظر مثلاً سفر المكابيين الأول ٢: ٢٨ والثاني ٥: ٢٧ و٦: ١١ و١٠: ٦). وفي العالم الروماني المتحضر الذي عاش فيه أولئك المسيحيون العبرانيون الذين أرسلت إليهم الرسالة تمتع القوم بالحياة الناعمة الرغيدة من حمامات ساخنة وفراش وثير وعيش هنيء. وليس وليس من شك أن المسيحيين العبرانيين الذين استوطنوا إحدى المدن الرومانية التجارية الكبرى، يرتجفون لدى سماعهم خشونة الحياة وشظف العيش، كما يقول الكاتب في وصف من كانوا "معتارين" وتعني في اليونانية الافتقار إلى ضروريات الحياة دع عنك كماليات الحضارة و"مكروبين" والكلمة في اليونانية لا تعني فقط ضنك الحاجة بل الضغط من الخارج مثل الأوامر الحكومية الجائرة، أو كراهة الناس لهم، أو الاشتباه فيهم الخ.و"مذلين" وتعني الكلمة اليونانية سوء المعاملة على أيدي الناس كأنهم لا يحسبون أهلاً للحياة.

وهذه الأفكار التي جالت بأخيلة الكاتب عن الاحتقار والمشتقات وسوء المعاملة، قد استوقفته هنيهة ليضع بين قوسين في سياق حديثه عن الآلام فكرة رائعة فيقول "وهم لم يكن العالم مستحقا.

لهم" كانوا أكثر قيمة من العالم كله ولكنهم اعتازوا كل شيء وخسروا كل شيء، عدا الله! ويروى حديث يهودي نبأ إنسان "كان مستحقاً لأن يسكن الله فيه shekinah، ولكن العالم لم يكن مستحقاً لشيء من هذا" ويقول أحد الفلاسفة المحدثين: "هناك طبقة من الناس يكون العالم دائماً مستحقاً لهم، هم الذين يرقدون ما فيه من نقائض وعيوب ويجسّمونها ويغذّونها، هم الذين يجعلون أنفسهم هدف الشهوات والميول الطامحة، ..... هم الذين يداهنون ويتملقون النزاعات المتعصبة، ولكن ما أتعس الدور الذي يلعبه هؤلاء أما أولئك العبرانيون، الأبطال في الايمان، فلم يستسلموا إلى شيء من مطالب العالم، لذلك انتزع العالم منهم حقوقهم الوطنية، وبيوتهم، وحال بينهم وبين الاشتراك مع مواطنيهم، لذلك نراهم "تائهين في براري وجبال ومغاير وشقوق في الأرض" فلم يكن لهم ثمة مكان بين أصدقائهم، وحتى البراري المقفرة لفظتهم. وتلك الكهوف والمغاور التي تكثر في جبال فلسطين لم تكن ملاجيء لهم يعتصمون فيها (كما صارت كهوف الصحراء المصرية ملاجيء للنسّاك والعابدين) هل كان استراحات مؤقتة لحياتهم المطاردة المتنقلة.

والآن ينتهي الكاتب من سرد مجموعة أبطال الإيمان، ويجيء إلى خاتمة حديثه فيلخصه بقوله "فهؤلاء كاهم مشهوداً لهم بالإيمان" من هابيل في آية ٤ إلى الشهيد الأخير المعروف لدى العبرانيين المسيحيين "لم ينالوا الموعد" وقد كان لبعضهم مواعد خاصة

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أكملت في حياتهم، وأما موعد الحكم المطوّب بمجد الملك المسيا وسط شعبه فلم يفوزوا بنواله. ماتوا في الأيمان (آية ١٤) وهم ينظرون إلى الأمام. ولم يكن هذا العجز في نوال الوعد ناشأً عن نقص في إيمانهم أو في صدق الله، ولكن منشأة مقاصد الله العظيمة البعيدة المرمى نحوهم ونحو كل شعبه "إذا سبق الله فنظر لنا شيئاً أفضل لكي لا يكملوا بدوننا" والله من فرط عنايته قد احتفظ بكمال ملكوت المسيح حتى نستطيع أن نشاطره، وإلى أن يظهر المسيح مرة أخرى، علينا أن نعتصم بالإيمان كما فعل أولئك الآباء الأقدمون. ويشمل كمال ملكوت المسيح المبارك أولئك القديسين ويشملنا نحن أيضاً. فهم قد رأوا المواعد من بعيد، ونحن رأينا الموعود به، فكيف لا تحتمل مستبسلين كما فعلوا هم، ونحن قد رأينا جمال يسوع وخلاصه، ونستطيع أن نتصور أفضل منهم ملكه الذي معناه البر والمحبة والفرح. ولذلك يعود الكاتب إلى حضّ أصدقائه العبرانيين واضعاً نفسه معهم، بإيراده الأفعال في صيغة الجمع المتكلم:

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تعليل هذه الاختبارات الأليمة

١٢: ١- ١٠
١لِذَلِكَ نَحْنُ أَيْضاً إِذْ لَنَا سَحَابَةٌ مِنَ الشُّهُودِ مِقْدَارُ هَذِهِ مُحِيطَةٌ بِنَا، لِنَطْرَحْ كُلَّ ثِقْلٍ وَالْخَطِيَّةَ الْمُحِيطَةَ بِنَا بِسُهُولَةٍ، وَلْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، ٢نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ. ٣فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ. ٤لَمْ تُقَاوِمُوا بَعْدُ حَتَّى الدَّمِ مُجَاهِدِينَ ضِدَّ الْخَطِيَّةِ، ٥وَقَدْ نَسِيتُمُ الْوَعْظَ الَّذِي يُخَاطِبُكُمْ كَبَنِينَ: «يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. ٦لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ». ٧إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ ٨وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. ٩ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدّاً لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ ١٠لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّاماً قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ

ويحسب الكاتب نفسه وزملاءه المسيحيين كأنهم في ساحة من ساحات الألعاب الكبيرة التي كانت تجرى فيها الألعاب العامة والمصارعات في العالم الروماني في ذلك العصر. وكانت الساحة بيضاوية الشكل، رصّت فيها المقاعد المتصاعدة صفاً وراء آخر فوق رءوس المصارعين والرياضيين. كذلك يقول الكاتب أننا في مصارعاتنا يرقبنا من فوق جمهور من النظّارة كما تخيم السحب فوق منبسط الصحراء "لذلك نحن أيضاً إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا" فرجال الإيمان هؤلاء الذين كافحوا في معركة الإيمان في ساحة الحياة هم الآن يرقبوننا من العلاء ويلمحون من كل جانب مصارعاتنا في هذا العصر. هذا ما قاله الكاتب لأصدقائه العبرانيين في القدم. وإذا كان قد استطاع أن يشير إلى أولئك "الشهود" "كسحابة" فما أعظم وأكبر السحابة التي تطلُّ علينا نحن في هذا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

العصر، لأن ألوفاً وألوفاً ماتوا في سبيل إيمانهم، أو كافحوا منتصرين في معركة الإيمان منذ ذلك اليوم حتى الآن. ومؤخراً تلقينا نبأ من تركستان الصينية عن شاب مسلم يدعى "هابيل" قتله جنود التتر في سبيل إيمانه بالمسيح. وكان يوم الخميس، فكان آخر قول نطق به لإخوانه وهو مسوق أمام الجند إلى ساحة الموت: "ألم يكن يوم الخميس هو الذي أخذوا فيه يسوع؟" وقد قضى ذلك الشهيد بعد أن عانى أقصى آلام اللكم والضرب. وعيناه محدقتان إلى فوق ووجهه يتلمع بالنور. وهو إذ قد مات في المسيح يُحسب أحد أفراد تلك "السحابة" أو جماعة الشهود الذين ينظرون مِن علِ إلى مصارعاتنا وجهادنا. وأمام هؤلاء الشهود الكثيرين يجدر بنا أن نلعب دورنا كرجال، إذن "لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة" ويرى الكاتب نفسه وأصدقائه كنفر من اللاعبين الرياضيين يقفزون إلى ساحة الألعاب. لذلك يخلعون عنهم كل الملابس الخارجية التي قد تعيقهم في الصراع.ويقول الكاتب: "لنخلع كل شيء استعداداً للسباق" وطبائع الناس تختلف وتتباين، لذلك تختلف الأثقال التي يحتم عليهم طرحها. فبين الناس من تجنح به طبيعته إلى الكسل والتراخي، وبينهم من تجنح به إلى الاعتداء بنفسه وبقوته، ثم هناك أثقال بعض الخطايا مثل الأنانية ومحبة الذات "المحيطة بنا" كرداء طويل نتعثر فيه ويعيقنا في العدْو والسباق. ولا مجال في الحياة المسيحية أن نطلب غفران الخطايا السالفة ما لم يكن هذا مقترناً في الوقت نفسه "بطرح" آثار الماضي العالقة بنا حتى لا تعود تطوينا مرة أخرى في لفائفها.

فلنخلع عنا كل هذه "ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا" والكلمة اليونانية المترجمة "موضوع" هي الفعل الذي كان يستعمل عادة لإعداد الطريق للسباق في الألعاب العامة والمصارعات الرياضية في العالمين اليوناني والروماني. فنحن محاطون بجمهرة من الشهود ولكن الذي يعطينا "الصبر" في "جهادنا" ونحن نعدو لاهثين، ليس النظر إلى جمهور النظارة المحيطين بنا، بل إلى عرش ملكنا (القائم مثل كرسي الإمبراطور في المسرح الروماني) الذي عانى الجهاد عينه الذي نعانيه نحن الآن "ناظرين" والكلمة في اليونانية تعني الانتباه الشديد "إلى رئيس الإيمان" والكلمة المترجمة "رئيس" هي بعينها في فصل ٢ آية ١٠ (رئيس خلاصنا) وقد قلنا أنها تحمل معنى المقدام وممهد الطريق. فيسوع قد جاز أمامنا في كل مصارعة ضد الشر (من الداخل أو الخارج) في ميدان الحياة. وهو لم يجز أمامنا فقط، ولكنه احتمل كل شيء بكمال الإيمان، لذلك قيل عنه "ومكمله يسوع" الذي فيه قد اكتمل كل الإيمان، من بداية حياته الأرضية إلى نهايتها حتى عند ما أُقتيد إلى الصليب. وقد كان الإمبراطور الروماني يدعى وهو فوق عرشه في ساحة الألعاب الرياضية "رئيس" و "وقائد" و "وسيد" "Divus" "Dux" "Tmperator" هذا هو معنى "مكمل الإيمان" في الآية، وهو لقب أكثر انطباقاً على يسوع الذي فعل بنا ما يجعله أهلاً لولائنا وخضوعنا "الذي من أجل السرور الموضوع أمامه أحتمل الصليب" ترى ما الفرح الذي يقدر أن يجعل هذه الآلام والعار من الأمور القيمّة؟ ليس الفرح الأناني

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

المحب لذاته، فأن المحبة الباذلة المضحية لا تبذل ذاتها إلاّ لنفع الآخرين وخيرهم. والفرح الذي تسعى إليه هذه المحبة هو الفرح الناشئ عن رؤية الآخرين يحصدون ثمار هذا البذل. هذا هو الفرح الذي يشبع المحبة الباذلة المضحية. فالفرح الذي وضعه يسوع أمامه، والذي جعل الآلام والعار من الأشياء النافعة، هو افتداؤنا من موت الخطية. لذلك ثبت قدميه نحو الصليب "مستهيناً بالخزي" ويفكر كاتب الرسالة الآن فيما عانى ربه وسيده من عار وخزي، كانا في الواقع أشد وطأة على نفسه من الألم الجسماني. وكما أحسَّ كثيرون من المسيحيين منذ عصره، يحسُّ الكاتب الآن أن تضحية الشرف وحسن الأحدوثة بين الناس أقسى في الاحتمال من الألم الجسدي. ولذلك يقرر في روعة ومحبة أن مخلصه، الذي كان مرهف الحس، لم يحتمل الخزي فقط، بل تعالى فوقه "مستهيناً به"، ليس بروح عدم المبالاة والترفع، بل بروح المحبة المتعالية الكاملة. وبسبب هذا الخزي الذي عاناه بشعور المحبة اتخذ مقامه عن يمين عرش المحبة "فجلس في يمين عرش الله" ويدور في فكره في الآيتين التاليتين أن يسوع احتمل أقسى وأشد ما تحتملونه أنتم أيها العبرانيون "فتفكّروا" والكلمة اليونانية الأصلية لم تستعمل إلا في هذا المقام في الكتاب المقدس كله، وتعني "قارنوا باعتناء وتدقيق" وكأن الكاتب يقول: "فكّروا في يسوع، وأحصوا كل آلامه، وقارنوا بين المعاملة التي لقيها على أيدي الخطاة، وبين ما تعانونه أنتم" ومن الشيّق أن نلحظ هنا أن الكاتب يفترض أن العبرانيين المسيحيين قد عرفوا، سواء بالتعليم الكتابي أو الشفوي، كل تفاصيل قصة الآلام، ولذلك يقدرون أن يتتبعوها في أفكارهم مرحلة مرحلة "متفكرين" "في الذي احتمل" والفعل اليوناني المترجم "احتمل" والصيغة الزمنية الوارد بها، تعطى معنى الاحتمال الصابر الطويل الذي لا يكلُّ، ولعل الكاتب يفكّر هنا، لا في ساعات النزع الأخيرة فقط، بل احتمال يسوع الذي شمل الحياة كلها، لأن حياته لم تخلُ قط من المقاومة والعداء، ولكنه احتمل دائماً "من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه" ولدى دراسة الإنجيل يتبين لنا كيف تطورت تلك "المقاومة" من مشاعر الحسد والكبرياء، إلى التكلم ضده، ومن التكلم ضده، إلى الائتمار به لهدمه والتشنيع به، وأخيراً إلى قسوة المحاكمة في منتصف تلك الليلة، وصرخة الصباح الداوية "أصلبه!". ولم تقف المقاومة عند حدّ صلب فريستهم، بل قد تابعوها بعبارات التجديف والتعيير والهزء الموجهة إلى الإنسان الصامت المعرّى عن ثيابه، المتجرع غصات الموت البطيء الأليم، فتفكّروا في هذا كله، يقول الكاتب، "لئلا تكلوا وتخوروا في نفوسكم" ولا يخشى الكاتب إنكاراً فجائياً وتحولاً طارئاً من جانب أصدقائه، ولكنه يخشى شيئاً آخر أكثر دهاء ومكراً، يخشى التحول الداخلي البطيء. والفعلان في اليونانية يدلاّن على الإعياء الداخلي والضعف التدريجي. وكأنه يتمثَّلهم في ساحات الألعاب يستسلمون شيئاً فشيئاً إلى خصمهم في المصارعة، أو يتباطئون خطوة خطوة في العدْو، لذلك يستحثهم بمثال ربّهم وسيدهم الذي احتمل حتى الموت، فيقول "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" وتعني العبارة "المقاومة حتى الدم" في اليونانية – "الجهاد حتى الموت". وقد عرف المسيحيون في تلك العصور أنه خير لهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأبقى أن يسفكوا دماءهم فعلاً من أن ينكروا ولاءهم لمخلصهم. ولكن الكاتب لا يذكّرهم هنا أنهم قد يضطرون إلى الاستشهاد في ساحات الألعاب الرومانية، ولكنه يحدثهم عن مصارعتهم في ميدان الحياة وهم مراقبون "بسحابة من الشهود". وكأنه يقول لهم: "أن آلامكم في مصارعة الخطية في الداخل، والخطية في الخارج، كانت حادة ومريعة (أنظر فصل ١٠ آية ٣٢ الخ) ولكنها ليست شيئاً إذا قيست بما عاناه الأقدمون الذين سبقوكم، من الأبطال الذين سرد أسمائهم في الفصل الحادي عشر، لا سيما إذا قيست بما عاناه يسوع. فهل تفشلون أمام الآلام الهينات التي تعانون؟

"ثم اذكروا أيها العبرانيون، أنه إذا دعاكم الله للمصارعة والجهاد، فأن هذا الطلب لا يأتيكم من حاكم غير مكترث لا يهمه من أمركم شيئاً، بل من الآب السماوي الذي يحصر على خيركم ومصالحكم السامية"

"وقد نسيتم الوعظ" والأرجح أن العبارة جاءت في اليونانية الأصلية في صيغة الاستفهام "أنسيتم الوعظ؟" والكلمة المترجمة "وعظ" في اليونانية تقترن بلقب الروح القدس المعروف في اللغة اليونانية "بارقليط". وهو الذي يعزّي ويقوّي. وبعض التعزيات الأرضية تضعف، أما التعزية الإلهية فتقوّي. ولذا كان معنى الكلمة "بارقليط" (وعظ) هنا، الحث الذي يعزّي ويقوي على الاحتمال والتشجيع. والوعظ الذي يقتبسه الكاتب الآن مأخوذ عن سفر الأمثال (فصل ٣:١١و١٢ من الترجمة اليونانية. وانظر أيضاً سفر أيوب ٥:١٧)

"الذي يخاطبكم كبنين" وفي سفر الأمثال يخاطب الحكيم تلميذه قائلاً "يا أبني". ولم يكن ذلك الحكيم حبراً من أحبار اليهود بالمعنى الحرفي، بل كان نموذجاً للحكمة الإلهية تتكلم إلى نفس الإنسان. لذلك يجد الكاتب الرسالة إلى العبرانيين تشجيعاً حين يشعر أن الله الحكيم العزيز، الواحد الأحد، يتكلم إلى نفوسنا، كما يتكلم الأب إلى أبنه. وتشير الآية المقتبسة عن الترجمة اليونانية لسفر الأمثال على طريقين خاطئين للسلوك أبّان الترجمة والمحنة: "يا أبني لا تحتقر تأديب الرب، ولا تخر إذا وبخك" وطريق السلوك الخاطئ الأول المعّبر عنه بالفعل "تحتقر" هو العزم على جواز المحنة والتجربة متكلين على قوتنا، مدعين أن لا شيء لله في الأمر، كأن لا صلة بيننا وبينه. ويجنح إلى هذا الميل ذوو العزائم والطبائع القوية، ولذلك يفشلون في كل تجربة، ويفقدون الخير الذي قد ينجم عن التجربة لو أخذت كوسيلة من وسائل التدرب والتهذيب التي يستخدمها الآب السماوي، فنصمد لها ونغلبها بعونه. ولكنّا نرى من الناحية الأخرى الطبائع الضعيفة الهزيلة تتقلص وتنكمش، وهذا طريق خاطئ يعبر عنه بالفعل "تخُرْ". فهم قد يرون الله في التجربة، ولكنه يبدو لهم قاسياً، فيخورون في حالة يرثى لها، متسائلين: لِمَ يرسل لهم المعارف بكل شيء هذه المحن التي لا يقوون على احتمالهم؟ ثم يميلون إلى الريبة في اعتباره الآب السماوي المحب. هذا موقف خاطئ كما يقول "الوعظ" المأخوذ من اليونانية لسفر الأمثال "لأن الذي يحبه الرب

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يؤدبه، ويجلد كل ابن يقبله" وهذا حق لم يدركه دائماً الشعب اليهودي في تاريخه القديم، كما يغرب عن بال أبناء هذا العصر. فهم قد مالوا إلى الظن أنه متى أحب لله إنساناً، لا بد يُنجحه في هذه الحياة. وبعض القديسين العبرانيين في القديم (كما يبدو في العبارة المقتبسة عن سفر الأمثال) قد ارتفعوا فوق هذه الفكرة، كما سما فوقها أيضاً نفر من متصوفة الإسلام، مما رأوا أن الأنفس التي يدعوها الله إلى محبته تعاني آلاماً أشد (كما تحظى بفرح أوفر) من الآخرين. ويريد كاتب الرسالة أن ينزع من الأفكار المسيحية، نزعاً لا عود بعده، الفكرة التي تزعم أن الذي يحبهم الله يحبوهم نجحاً عالمياً وهناءة رغيدة. وإن كانت في شك من ذلك فَعُدْ إلى مجموعة أبطاله المتألمين، الفائزين، في الفصل الحادي عشر، وإلى ذكره الآلام التي اكتسبت فرحاً في سبيل يسوع. لذلك يقول لأصدقائه: أن كنّا نخلوا من الآلام نعانيها في سبيل تدريب الله إيانا. فأن بنوتنا له تكون محل ريبة، بدليل قوله "أن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين، فأي ابن لا يؤدبه أبوه، ولكن أن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لا بنون" والكلمة "تأديب" التي هي لباب الآية كلها لا تعني بالضرورة العقاب، بل التدريب الأدبي والترويض النفسي. ويستمد الكاتب صورته من البنوة الحقيقية والبنوة الباطلة. فكل الابناء الحقيقيين قد روّضهم آباؤهم فصاروا شركاء في التأديب، وهذا اختبار قد عرفه كل الذين تأدبوا على أيدي آبائهم. أما النغول الذين ليست لهم صفة شرعية، ولا حق لهم في أن يرثوا اسم الآب وثروته، فهؤلاء يهملون بلا تدريب، ولا يكونون موضع اهتمام الآب وعنايته. ومن ثمَّ نرى الكاتب يستمد صورته من أحوال هذا العالم كأنه يقول لقرائه: "أتظنون أنه لو كان الله أباكم، تعفون من مشقات الحياة وويلاتها؟ بالعكس فأنه هذه تقوم دليلاً على حبه الحكيم وعطفه الودود"

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٢: ١١- ٢٠
١١وَلَكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيراً فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ. ١٢لِذَلِكَ قَوِّمُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ وَالرُّكَبَ الْمُخَلَّعَةَ، ١٣وَاصْنَعُوا لأَرْجُلِكُمْ مَسَالِكَ مُسْتَقِيمَةً، لِكَيْ لاَ يَعْتَسِفَ الأَعْرَجُ، بَلْ بِالْحَرِيِّ يُشْفَى. ١٤اِتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ. ١٥مُلاَحِظِينَ لِئَلاَّ يَخِيبَ أَحَدٌ مِنْ نِعْمَةِ اللهِ. لِئَلاَّ يَطْلُعَ أَصْلُ مَرَارَةٍ وَيَصْنَعَ انْزِعَاجاً، فَيَتَنَجَّسَ بِهِ كَثِيرُونَ. ١٦لِئَلاَّ يَكُونَ أَحَدٌ زَانِياً أَوْ مُسْتَبِيحاً كَعِيسُو، الَّذِي لأَجْلِ أَكْلَةٍ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ. ١٧فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضاً بَعْدَ ذَلِكَ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ الْبَرَكَةَ رُفِضَ، إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَاناً، مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ. ١٨لأَنَّكُمْ لَمْ تَأْتُوا إِلَى جَبَلٍ مَلْمُوسٍ مُضْطَرِمٍ بِالنَّارِ، وَإِلَى ضَبَابٍ وَظَلاَمٍ وَزَوْبَعَةٍ، ١٩وَهُتَافِ بُوقٍ وَصَوْتِ كَلِمَاتٍ، اسْتَعْفَى الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ أَنْ تُزَادَ لَهُمْ كَلِمَةٌ، ٢٠لأَنَّهُمْ لَمْ يَحْتَمِلُوا مَا أُمِرَ بِهِ، وَإِنْ مَسَّتِ الْجَبَلَ بَهِيمَةٌ تُرْجَمُ أَوْ تُرْمَى بِسَهْمٍ

وينتقل الكاتب الآن إلى المقارنة بين تأديب الآباء الأرضيين (آباء أجسادنا) وتأديب الآب السماوي (أبي الأرواح) فيقول "ثم قد كان لنا آباء أجسادنا" لهم بناء علاقة محدودة، فهم آباؤنا الجسديون تربطنا بهم العلاقات الجسدية بالانتماء إلى أسرة معينة، ولكن الله "أبا الأرواح" يجيء بنا إلى علاقة مع الأرواح الحية، في نظام أرقى من نظام الجسد. وأولئك أصحاب الأبوة المحدودة قد أدبونا وكنا نوقرهم إذا كانوا "مؤدبين وكنا نهابهم" فكم بالأولى نخضع لتلك الأبوة غير المحدودة "أفلا نخضع بالأولى جداً لأبي الأرواح فنحيا" لأن الحياة الحقة تكمل عن طريق الاستسلام والخضوع. ثم ينتقل الكاتب إلى مقارنة بين تأديب الآباء البشريين وتأديب الآب الإلهي، فالأول مؤقت "لأن أولئك أدبونا أياماً قليلة" بينما يد الله علينا إلى نهاية الحياة. ثم أن أولئك الآباء الأرضيين ربما يكونون قد فعلوا بنا هذا بوسيلة تحكمية أو باعث ذاتي، أو ربما يكونون قد أخطأوا في تأديبهم لأنه كان "حسب استحسانهم" وكثيراً ما يضطرب الأب الأرضي لئلا يكون قد اختار الوسيلة الخاطئة في تأديب ولده في ساعة معينة بلغ فيها الابن حداً من الرقي والاختبار.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبعبارة مقارنة يأخذنا الكاتب إلى سر تأديبات الله للذين يكتملون في محبته، لأنه يقول عن تأديب هذا الآب "وأما هذا فلأجل المنفعة لكي نشترك في قداسته" فتأديب الأب السماوي إنما ليجعلنا شركاء في حياته، وهو ترويض وتهذيب لأحكام الصلة بيننا وبين الله في أسمى ضروب المحبة وأقدسها وأبعدها عن الأنانية. فهو لا بد تأديب أليم ولكنه تأديب مفرح، فحتى عظائم الأمور الأرضية لا تخلوا من التأديب والترويض إذا كانت حقاً، ولا تكمل الغبطة فيها إذا لم تمتزج بالألم. وثمر التأديب لا يظهر لساعته، لذلك يقول "ولكن كل تأديب" تأديب الآب السماوي والأب الأرضي على السواء "في الحاضر" إذا نظرنا إلى الحاضر فقط "لا يُرى" أمام المشاعر والأحكام البشرية "أنه للفرح بل للحزن، وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام" لأن التأديب ليس حجراً يطوح به في تعسف على الحياة البشرية، بل هو بزرة تغرس فيها، لذلك لا تثمر ثمرها إلا في حينه، ثمر الأخلاق والصفات التي تجالد وتبقى إلى ما وراء هذه الحياة، إلى الحياة الأخرى. وفي بادئ الأمر يكون القلق ويكون الألم، أما في النهاية فسوف لا يكون احتكاك بين النفس وبين الله، لذلك قيل عن الثمر "للسلام". وعلى هذا المثال عينه تعمل الأخلاق المروَّضة المؤدَّبة في سبيل السلام بين الإنسان وبين إخوانه.

ومرة أخرى يعود الكاتب إلى نغمته الآمرة الناهية فيقول "لذلك" لأن التأديب ضروري وأليم ومثمر، قووا بكل وسيلة أنفسكم وإخوانكم المدعوين للمعاناة، لكيلا يخوروا ويسقطوا، بل يجالدوا ويستبسلوا. وصورة هذه التقوية مأخوذة من آيات شتى في العهد القديم، وتبين في جلاء أنه فرض على المسيحي أبان التجارب والأحزان ألا يتمسكن ويحني الرأس إحناء سلبياً، بل يتعاون مع الله الذي يحوّل الحزن والألم إلى قوة في الأخلاق.

"قوموا الأيادي المسترخية" والأيدي تمثل قوانا في المصارعة ضد الخطية (أنظر آية ٤ ثم مزمور ١٤٤:١) "والركب المخلّعة" وتمثّل الركب قوانا في الفوز والنجاح. ففي أوقات الاضطهاد ينبغي الأتقف الكنيسة أو الفرد في ساعة الشدة والمحنة موقف الاحتمال السلبي، بل تقدم إلى الأمام عاملة مستبسلة.

وتتعلق الآيتان الأخيرتان (من اشعياء فصل ٣٥ آية ٣) بحياة المسيحي الشخصية، أو بأخوية المسيحيين. ويتابع الكاتب كلامه حاثاً إياهم أن تتعدى مجهوداتهم أنفسهم، حتى في ساعة الشدة والتجربة، ويحاولوا إصلاح العالم المحيط بهم. وللإفصاح عن هذا يقتبس أيضاً آية مشهورة من العهد القديم فيقول "واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة" أمثال ٢٦:٤ فأنه ليس كافياً أن يُقال، مع التسليم بصحة هذا القول، "أهدنا الصراط المستقيم" إنما علينا أيضاً أن نمهد هذا الصراط، ونعبدّه، لتسلك فيه أقدامنا وأقدام الآخرين نحو الله. قارن هذا القول برسالة يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) لأبناء جيله حينما يحثهم على الإصلاح الفردي والإصلاح القومي معاً تمهيداً لمجيء المسيح (مرقس فصل ١ آية ٣) وتبين كلمات

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

هذه الرسالة أنه لزام على الجماعة المسيحية ألاَّ تقنع بتقوية حياتها الروحية، بل تتعاون أيضاً في الكفاح لإصلاح الأحوال والأوساط المحيطة بها. فأن الكفاح ضد الخطيئة ونتائجها داخلية وخارجية على السواء. ولا بد من أن يستديم هذا الكفاح بشجاعة ورجاء "لكي لا يعتسف الإعراج بل بالحري يشفى" ويمكن ترجمة هذه العبارة حرفياً "لا تخلعوا رجل الإعراج، بل بالأولى عالجوه لكي يُشفى" والمسيحي يقدر أكثر من سواه قوة الشرّ المريعة التي ينبغي عليه أن يكافح ضدها، ولكنه مع ذلك خير من يكافح مملوءاً بالأمل الصادق في الفوز الأكيد، لأن له "رئيساً" في هذا الكفاح.

وفي الآيات التالية نتخيل الكاتب الذي كان أشبه بنبيّ شاعر، يصير راعياً للنفوس وقد كان يحث القوم على الإستمساك بأهداب الإيمان الباسل، ولكنه يعلم أن هذا لن يكمل إلاَّ إذا صفت من الاكدار المجاري التي تصل الإنسان بالله والإنسان بأخيه الإنسان. لذلك يحذر أصدقاءه ضد المخاطر الأدبية التي قد تسلبهم النجاح في جهادهم الروحي. ويفكرّ قبل كل شيء في ضرورة الإتحاد، متخذاً كعادته عبارة من العهد القديم (مزمور ٣٣:١٤) فيقول: "اتبعوا السلام مع الجميع" وعبارة "اتبعوا السلام" اقتبسها كتّاب آخرون في العهد الجديد (أنظر ١ بطرس ٣:١١ ورومية ١٢:١٨) ومعنا العبارة هنا في اليونانية أن يتفق المسيحيون كلهم في قضية مشتركة سعياً وراء السلام ليكونوا من صانعن السلام. وتلقي الكلمة نوراً على الحركة القائمة في هذا العصر لتوثيق عرى العمل المتحد والشركة بين المسيحيين من شعوب وكنائس مختلفة. والذي يسعون إليه متحدين ليس السلام السطحي، بل السلام بين الله والناس الذي لن يكون إلاَّ بالقداسة. لذلك يتابع عباراته، فيقول: اتبعوا السلام مع الجميع "والقداسة التي بدونها لن يرى أحد الرب" وهنا نستذكر عبارتين من تطويبات سيدنا وربنا هما "طوبى لصانعي السلام" و "طوبى لإنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله" ويحث كاتبنا المسيحيين ليكونوا جماعة واحدة مجاهدين بغيرة (والكلمة المترجمة "اتبعوا" تعني المطاردة والتعقب، كالصياد الذي يتعقب فريسته لا مجرد السير من وراء) نحو السلام والقداسة. والقداسة ضرورية لأن المسيحيين يومئذ، كما هم اليوم، يعيشون في عالم لا يعبأ شيئاً بالمثل العليا، فأن أنتفي هذا السعي الدائب نحو القداسة، تسللت إلى عقولهم أفكار العالم وهم لا يدرون.

لذلك يجب أن يكونوا حريصين يقظين "ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله" والفكرة المنطوية تحت الكلمة المترجمة "يخيب" هي التخلف إلى الوراء. فأنه بينما يجاهد الكل ساعين إلى الأمام نحو السلم والبرّ ينبغي ألاَّ يتسكع أحد أو يتخلف عن معشر المجاهدين السائرين. والمهم في الأمر هنا أن نلحظ أن تبعة الإسناد المتبادل في هذا السعي نحو القداسة لا تقع على الرعاة ورجال الدين فقط، بل على جميع المسيحيين الذين ينبغي أن يكونوا كلهم "ملاحظين" أولاً لئلا يتخلف إلى الوراء أحد من الإخوة، وثانياً "لئلا يطلع

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

أصل مرارة ويضع انزعاجاً فيتنجس به كثيرون" ومرة أخرى يردد الكاتب في قوله "أصل مرارة" صدى فكرى من العهد القديم. ونفهم جيداً ماذا كان يدور بفكره، إذا عرفنا أن العبارة مقتبسة من تحذير قديم ضد عبادة الأوثان صدر إلى إسرائيل في القديم (أنظر تثنية ١٨:٢٩) وكان بنو إسرائيل يُحذرون بلا انقطاع لئلا يحيد أحدهم إلى خدمة آلهة الأمم المحيطة بهم. كذلك طلب إلى جماعة المسيحيين أن "يلاحظوا" لئلا تتسرب إليهم وهم غافلون روح العالم غير المسيحي المحيط بهم، أي روح عبادة المال أو النفوذ أو الجاه أو أي اعوجاج أو محبة الذات. والتشبيه في اليونانية مأخوذ من جذر من جذور النبات ينبت خفياً في الأرض ولكنه يطلع بعدئذ في الأوراق والأزهار، فيقول الكاتب: لاحظوا، وانزعوا الجذر الخفي (أصل مرارة) لئلا يطلع وتمتد الأغصان فتفسد أزهار القداسة الجميلة (فيتنجس به كثيرون)

وليس هذا كل ما في الأمر، فأنه يحذّر أصدقاءه ليكونوا ملاحظين أيضاً "لئلا يكون أحد زانياً أو مستبيحاً كعيسو الذي لأجل أكلة واحدة باع بكور يته" ومرة أخرى يستمد الكاتب عظته من العهد القديم، من قصة ابن اسحق الأكبر (أنظر تكوين ٢٥:٢١-٣٤). وكان عيسو بين أحبار اليهود نموذج الإنسان المجرد عن التقوى، مع أنه نبت بين شعب الله الصالح، ولكنه لم يحذُ حذوهم. ويقال عنه هنا "زانياً" وربما كان مدلول اللفظة المجازي، في العهد القديم، خيانة الله. ويقال عنه أيضاً "مستبيحاً" وهذه اللفظة مترجمة عن كلمة يونانية غير مألوفة، كثيراً ما تستعمل للدلالة على الأخلاق التي لا تدرك شيئاً أسمى من الأرضيات، والتي لا تفهم للقداسة معنى، ولا تعطى لغير المنظور توقيراً ووعياً، وكان عيسو نموذجاً لهذه الأخلاق حين باع بكوريته،لا بثمن مادي فقط، بل بأنجس الأثمان، باكلة واحدة: ولم يكن الجوع فقط الباعث إلى ذلك (فقد كان لجوعه أن يشبع لو انتظر قليلاً حتى ينضج طعامه) بل تفكيره في نفسه وإشباع شهوة الجوع إشباعاً عاجلاً، والاستهانة بمكانته وكرامته كرئيس الأسرة التي قطع الله معها عهداً، حاسباً الشبع العاجل أعظم قدراً من تلك الكرامة. ولذلك يقول الكاتب: احذروا أبها الإخوة المسيحيون لئلا يكون فيكم عيسو، يرضى أن يستبدل إرثه السماوي بأشياء هذا العالم. ثم يبين لهم قيمة هذا الاختبار الخطيرة، مذكّراً إياهم مرة أخرى بهذه القصة المأثورة في سفر التكوين: "فأنكم تعلمون أنتم أيضاً بعد ذلك لما أراد أن يرث البركة رفض إذ لم يجد مكاناً مع أنه طلبها بدموع"- أنظر سفر التكوين ٢٧:٣٣-٣٧- لم يُعر عيسو التفاتاً إلى عمله، وأراد أن يتبوأ المكانة التي تخلى عنها طائعاً مختاراً. كان قد باع حقه في البكورية. ومع ذلك طالب أن يرث في البركة المقترنة بها. كأن هذا الذي أتاه أمر غير ذي بال. ولما رفضه اسحق مؤيداً بركة يعقوب، لم يكن الأب إلا ناطقاً بدينونة الله على موقف التهامل والتهاون الذي وقفه في الماضي. والعبارة "لم يجد للتوبة مكاناً" من المصطلحات المألوفة في القانون الروماني والكتابات اليهودية في ذلك العصر الذي كتبت فيه الرسالة، ومعناها "فرصة لتغيير عقله". ولا تنصرف العبارة إلى أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عيسو لم يستطع نيل التوبة الروحية وغفران الله، ولكن معناها أن عمله الطائش الشهواني في حق البكورية لم يكن في الإمكان ردّه أو نقضه. وتلك الدموع السخية التي سكبها عيسو، المحروم من امتيازه بيده، هي تحذير من الكاتب يوجهه إلى إخوانه المسيحيين لكيلا يضعوا أشياء هذا العالم في المرتبة الأولى ويؤثروها عما عداها.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

صورة الشركة السمائية

"لأنكم" أيها المسيحيون العبرانيون، يا من قد تحدثكم نفوسكم فتشتاقون إلى مزايا عبادتكم القديمة وطقوسها، وتنسون الموطن الروحي الذي تدخلونه بدينكم الجديد "لم تأتوا إلى جبل ملموس" بل إلى عالم أسمى، عالم أفراح الروح وجمالها. وقبل أن تفكروا في هذا الجبل الآخر غير الملموس، أذكروا تلك الصورة القاتمة الرهيبة التي بزغ فيها دينكم القديم فوق جبل سيناء: وكل عنصر من عناصر تلك الصورة يثير في النفس خوفاً ورعباً (والعبارات المستعملة هنا في وصف تلك الصورة القاتمة مأخوذة، كمألوف عادة هذا الكاتب، من الترجمة اليونانية للعهد القديم، بعضها من وصف الظلمة في مصر (خروج ١٠:٢١الخ) وبعضها من وصف ظهور الله في جبل سيناء كما ورد في (تثنية ٤:١١ و٥:٢٢ وخروج ١٩:١٦الخ) فكروا في أهوال ذلك الجبل المادي الملموس، الذي لم يكن في الإمكان "لمسه" في ساعة نزول الشريعة، بدون عقوبة الموت، لأنه كان "مضطرماً بالنار" فلقد كان فوق قمة ذلك الجبل خطف البرق ووهج اللهب، وفوق منحدراته السحب الكثيفة القاتمة. كان الجبل مطموساً بالنار والدخان، حتى لم يعد جبلاً، بل صار منظراً للجلال، ومقراً للعرش الذي تكلم منه المشترع الإلهي لبني إسرائيل، وشعاراً للحضرة الإلهية التي اقترنت دائماً في نظر ذلك الشعب بالنار والسحب. لم يعد هذا شأنكم أيها العبرانيون المسيحيون، فلا تأتون بعد الآن في حياتكم الروحية إلى أهوال ذلك الجبل "وإلى ضباب وظلام وزوبعة" والظلام الكثيف هو الذي جاز إليه موسى حينما ذهب لملاقاة الحضرة الإلهية (خروج ٢٠:٢١) وأما الزوبعة (وما صحبها من نار أيضاً) فقد اقترنت بمظهر حضرة الله في يوم الخمسين (أعمال فصل ٢) ولكن بينما تحدَّث جبل سيناء عن روعة الشريعة ورهبتها، فأن يوم الخمسين أعلن ملكوت الروح الجديد واكتسح الخوف من القلوب المرتاعة "وهتاف بوق وصوت كلمات" أنظر عن البوق سفر الخروج ١٩:١٦ و٢٠:١٨ وعن "صوت الكلمة" سفر التثنية ٤:١٢- و "بوق الله" اصطلاح مألوف لوصف مظهر علوي فجائي رهيب (أنظر تسالونيكي الأولى ص ٤:١٦) ولكن ذلك الصوت الذي نقل إلى آذان السامعين كلاماً مفهوماً قد أدخل الرعب إلى قلوبهم حتى "استعفى الذين سمعوا من أن تزاد لهم كلمة" والإشارة هنا إلى الرعب الذي استولى على قادة شعب إسرائيل كما جاء في سفر التثنية ٥:٢٣الخ وعلى الشعب نفسه كما جاء في سفر الخروج ٢٠:١٩

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٢: ٢١- ٢٩
٢١وَكَانَ الْمَنْظَرُ هَكَذَا مُخِيفاً حَتَّى قَالَ مُوسَى: «أَنَا مُرْتَعِبٌ وَمُرْتَعِدٌ!». ٢٢بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ: أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، ٢٣وَكَنِيسَةِ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ، ٢٤وَإِلَى وَسِيطِ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ: يَسُوعَ، وَإِلَى دَمِ رَشٍّ يَتَكَلَّمُ أَفْضَلَ مِنْ هَابِيلَ. ٢٥اُنْظُرُوا أَنْ لاَ تَسْتَعْفُوا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ لَمْ يَنْجُوا إِذِ اسْتَعْفَوْا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ عَلَى الأَرْضِ، فَبِالأَوْلَى جِدّاً لاَ نَنْجُو نَحْنُ الْمُرْتَدِّينَ عَنِ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، ٢٦الَّذِي صَوْتُهُ زَعْزَعَ الأَرْضَ حِينَئِذٍ، وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ وَعَدَ قَائِلاً: «إِنِّي مَرَّةً أَيْضاً أُزَلْزِلُ لاَ الأَرْضَ فَقَطْ بَلِ السَّمَاءَ أَيْضاً». ٢٧فَقَوْلُهُ «مَرَّةً أَيْضاً» يَدُلُّ عَلَى تَغْيِيرِ الأَشْيَاءِ الْمُتَزَعْزَعَةِ كَمَصْنُوعَةٍ، لِكَيْ تَبْقَى الَّتِي لاَ تَتَزَعْزَعُ. ٢٨لِذَلِكَ وَنَحْنُ قَابِلُونَ مَلَكُوتاً لاَ يَتَزَعْزَعُ لِيَكُنْ عِنْدَنَا شُكْرٌ بِهِ نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى. ٢٩لأَنَّ إِلَهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ

"لأنهم لم يحتملوا ما أمر به وأن مست الجبل بهيمة ترجم أو ترمى بسهم" أنظر سفر الخروج ١٩:١٢الخ. وفي مشهد الرعب والهول، كان محظوراً حظراً باتاً لمس الجبل الذي كان في ذلك اليوم عرش الله "وكان المنظر هكذا مخيفاً حتى" أن موسى المشترع نفسه أرتعب وارتعد كما حدث للشعب، ولذا نقرأ "قال موسى أنا مرتعب ومرتعد" وهذا حديث يهودي تردد صداه في القرآن. وقد استعمل البشير لوقا عبارة يونانية شبيهة بهذه عن رعب موسى في الرؤيا التي رآها في العليقة (أعمال فصل ٧ آية ٣٢)

والآن تجيء المقارنة، فيقول الكاتب: أنتم لم تأتوا إلى أهوال سيناء بل أنتم الآن واقفون في حضرة سماوية، ليست حضرة مادية ملموسة بل روحية- لا تطلع في مظاهر العناصر الطبيعية، من لهب وظلمة، بل في مظاهر الأجناد الحية، في ربوات من الأبرار وفي المحافل العذبة الهنيئة. وتلك الرؤية الروحية، لا تتخذ لنفسها أساليب الأمر والوعيد، بل وسائل المصالحة المنبعثة من المحبة حتى الموت، ولا تنفث الخوف والرعب، بل الرجاء والحب، وهي أقدس وأسمى من تلك الرؤيا القديمة، لأنها تعلن لنا المزيد من حياة الله ذاته. ويأتي الكاتب الآن على وصف تلك الرؤيا الروحية التي ينعم بها المسيحي في

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

عالمه، وموطنه الروحي، وهو أشبه بقصيدة شعرية رائعة الجمال. وينضد الكاتب هذا الوصف في أفكار متصلة ببعضها، ومقاطع مزدوجة كل اثنين منها في عبارة واحدة، كما جرت به العادة في الأشعار العبرية القديمة.

ويصف المقطع المزدوج الأول موطن المسيحي فيقول "بل قد أتيتم إلى جبل صهيون" بالمقارنة إلى أهوال جبل سيناء. وحسب عادته يستعير الكاتب صورته من العهد القديم حيث عرف جبل صهيون بجبل الله (أنظر أشعياء فصل ١٨ آية ٧) "موضع اسم رب الجنود جبل صهيون" وأيضاً (ميخا ٤:١) "جبل بيت الرب"، وذلك لأنه في الموضع الذي يجيء إليه المسيحي لا يستعلن الله كمظهر خاطف يحفه الجلال المريع كما حدث عند نزول شريعة موسى، ولكنه يستقر في موضعه ومسكن قدسه. ويمثل صهيون موضع عرش الله، ويصوّر بالمعنى الروحي الأساس الإلهي القوي يقوم عليه العالم الروحي المسيحي. ولكن الله لا يسكن هناك فقط، معزولاً عن الناس بأهوال النار والظلمة، بل يسكن وسط شعبه. لهذا اثبت الكاتب العبارة الثانية من هذا المقطع المزدوج "وإلى مدينة الله الحي" لأن جبل إلهنا لم يقم منعزلاً في صحراء سيناء، لا يقترب إليه بشر، بل هو بيت الله وقد جعله أيضاً مدينة شعبه. هذه هي "المدينة التي لها الأساسات" والتي انتظرها إبرهيم (فصل ١١ آية ١٠) "وأساساتها على الجبل المقدس". إلى هذه قد جئنا، ولذا أصبحنا من مواطني هذه المدينة السماوية. وفي كل "خدمة" للشركة المقدسة نشترك معاً كمواطنين في هذه الوليمة السماوية. ومع ذلك فأن هذه الرعوية الوطنية تبلغ ذروتها العلية فوق، فيما وراء هذه الحياة، شأنها شأن "كل الأشياء الصالحة التي أعدّها الله للذين يحبونه". لذلك "ننتظر" نحن أيضاً تلك المدينة.

وننتقل من هذا إلى المقطع المزدوج الثاني في وصف الجبل المقدس والمدينة المقدسة: أتيتم أيها العبرانيون إلى كل هذا الذي أسلفنا "وإلى ربوات هم محفل ملائكة" وتمثل الصورة أجناداً لا تحصى من الملائكة في محفل حافل، يزحمون جبل الله المقدس وهم يعبدونه بفرح. قرأنا فيما سبق عن حضور الملائكة عند نزول شريعة سيناء (فصل ٢ آية ٢ وتثنية فصل ٣٣ آية ٢) وتلك الأجناد التي لا تحصى ليسو الآن، كما كانوا يومئذ، رسل الرعب والهول، بل قد صاروا مواطنين مشاركين لنا في هذا الاستعراض الحافل، يقاسموننا أفراح الموطن الروحي وأنواره. وفي القديم قد انعزلوا فوق جبل سيناء عن البشر بحواجز هائلة مريعة، وأما الآن فقد اتحدوا معنا في محفل بهيج كما تقول العبارة الثانية في هذا المقطع "وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات" وهذا وصف للبشر من سكان المدينة التي جاء إليها المسيحيون، فهم "أبكار" وفي العالم الأرضي لا ينال البكورية إلاَّ ابن واحد، فأكبر أبناء شيخ القبيلة يصير شيخاً بعد أبيه، وأكبر أبناء الملك هو الذي يرث الملك، والابن الأكبر (في شرائع كثير من البلدان والأسر) هو الذي ينال النصيب الأكبر من

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الميراث. ولقد رأينا في قصة عيسو في بداية هذا الفصل أن أبناً واحداً هو الذي كان له الحق في بركة البكورية. فما أجمل هذه الصورة التي يرسمها الكاتب للحياة المسيحية في الله الذي يشترك فيها هو ومعشر إخوانه على قدم المساواة في مزايا الابن الأكبر- فالكل أبناء أبكار لذلك الملك العظيم، وللكل نصيب في إرث الملكية. الكل أبكار لله الغني العظيم، لأن غناه موضوع تحت إمرة الجميع. والعبارة تعني أن لكل نفس مسيحية الحرية في أن تدخل إلى الأمجاد الرفيعة، في عالم النور، الآن وفي الحياة الأخرى. والصورة لم تكمل بعد. فأن أولئك الأبكار "مكتو بون في السموات" والإشارة هنا إلى سجلات المدينة التي يدون فيها عادة أسماء المواطنين. وربما طرد، بعض القراء الأولين لهذه الرسالة، من المجامع اليهودية بسبب إيمانهم بالمسيح، كما حرم كثيرون في عصرنا هذا من حقوقهم الوطنية أو الاجتماعية لهذا السبب عينه. ولقد كتب أحدهم عن أولئك الذين يرغبون في المجيء إلى المسيح من دين آخر: "أن أخوف ما يخافونه ألاَّ ينتمون إلى أحد ما في يوم الدين". ولأمثال هؤلاء الذين يتألمون من جرَّاء الوحشة على الأرض، بل يخشون الوحشة في العالم الآخر، يجيء الرسول الكاتب بالخبر اليقين، فيقول أن أسماء شعب المسيح مكتوبة في سجل مواطني السماء. وقد استعمل اليهود هذه العبارة لوصف اليقين الأكيد في الخلاص، وقد استعملها ربنا وسيدنا فدعانا إلى الفرح والغبطة لأن أسماءنا مكتوبة في السماء (لوقا فصل ١٠ آية ٢٠) وتشير العبارة إلى الأحياء في الأرض، لأنه يصح القول عن جميع المسيحيين الحقيقيين أنهم من مواطني السماء.

١٣: ١- ٨
١لِتَثْبُتِ الْمَحَبَّةُ الأَخَوِيَّةُ. ٢لاَ تَنْسُوا إِضَافَةَ الْغُرَبَاءِ، لأَنْ بِهَا أَضَافَ أُنَاسٌ مَلاَئِكَةً وَهُمْ لاَ يَدْرُونَ. ٣اُذْكُرُوا الْمُقَيَّدِينَ كَأَنَّكُمْ مُقَيَّدُونَ مَعَهُمْ، وَالْمُذَلِّينَ كَأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَيْضاً فِي الْجَسَدِ. ٤لِيَكُنِ الزِّوَاجُ مُكَرَّماً عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، وَالْمَضْجَعُ غَيْرَ نَجِسٍ. وَأَمَّا الْعَاهِرُونَ وَالزُّنَاةُ فَسَيَدِينُهُمُ اللهُ. ٥لِتَكُنْ سِيرَتُكُمْ خَالِيَةً مِنْ مَحَبَّةِ الْمَالِ. كُونُوا مُكْتَفِينَ بِمَا عِنْدَكُمْ، لأَنَّهُ قَالَ: «لاَ أُهْمِلُكَ وَلاَ أَتْرُكُكَ» ٦حَتَّى إِنَّنَا نَقُولُ وَاثِقِينَ: «الرَّبُّ مُعِينٌ لِي فَلاَ أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُ بِي إِنْسَانٌ؟» ٧اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ. ٨يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْساً وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ثم يستمر الكاتب في كلامه لتقوية الصلة التي لنا بالله. التي ستزاد توثقاً وإحكاماً فيما وراء هذه الحياة. ويذكر الطرفين في هذه الصلة: الله والإنسان. ثم ينتقل إلى التفكير في ذاك الذي كان همزة الوصل لإحكام هذه الصلة بين الله الديان وبين الإنسان المدين- ونرى في المقطع المزدوج الثاني طرفي هذه الحياة المشتركة، فيقول الكاتب: "أتيتم" إلى كل ما أسلفنا ذكره عن المدينة الرعوية الوطنية "وإلى الله ديان الجميع" لأن جبل صهيون هذا ليس مدينة يُفرط فيها في التسامح وتُغفل الخطايا إغفالاً ولكن يرأسها ذاك الذي لا تقلُّ دينونته المحبة الطاهرة في رهبتها وروعتها عن دينونة اللهيب والرعد فوق جبل سيناء فكيف إذاً نراه محوطاً، لا بمجرمين مرتعبين محكوم عليهم، بل بأنفس أناس ممجدين في الطهر، لأن العبارة التالية تقول "وإلى أرواح أبرار مكملين" وههنا أنفس الراحلين التي لم ترتدِ بعد أجساد القيامة، هم الأبرار الذين ذكروا في فصل ١٠ آية ٣٨ الخ، وهم ليسوا بلا عيب ولكن إيمانهم قد اتصل بالله في حياتهم على الأرض. ولكنهم الآن "مكملون" فما معنى هذه الكلمة؟ قد أدركوا الغرض الذي خلقوا لإجله. وجدير بنا أن نفكر هنا أن في الوقت الذي كتب فيه الكاتب رسالته هذه، كان كل أبرار الإيمان تقريباً، الذين أستذكرهم الكاتب (كما رأينا في الفصل الحادي عشر) رجلاً ونساءً ممن عاشوا وماتوا قبل أن يكمل المسيح مهمته على الأرض. ولم يقدروا أن يكونوا "مكملين" إلاَّ بعد أن نطق المسيح في الجلجثة قولته الخالدة "قد أكمل" ولا تشير العبارة إلى المصارعات التي عانوها في تسلّق سلّم الكمال (وكانت تلك في أحيان كثيرة فشلاً لا فوزاً) بل بالأحرى إلى العمل المجيد الذي تمَّ لأجل الذين ماتوا في الأيمان، كما لأجلنا نحن أيضاً الأحياء بالإيمان فوق جبل آخر، لا هو جبل سيناء، ولا جبل صهيون، بل جبل الجلجثة. لذلك يختم الكاتب قصيده النثري عن الصلة المسيحية بتوجيه النظر إلى ذاك الذي استطاع أن يحكم الصلة بيننا وبين الله فيقول: قد أتينا إلى صلة جليلة بالله الديان، وبالإنسان المدين "وإلى وسيط العهد الجديد يسوع" وفي الصورة السابقة لجبل سيناء شهدنا موسى نفسه وسيط العهد القديم المعقود فوق ذلك الجبل في روعة ورعب بين الله وشعبه. أما في الصورة الممثَّلة لجبل العهد الجديد (الذي تكلم عنه الكاتب في الفصول ٧- ١٠) فنرى الشعب، ولا خوف يرعبهم، يسيرون نحو جبلهم المقدس، لأن وسيط العهد الجديد اقتحم الموت من غير وجل لأجلهم. وكما سمع الشعب فوق جبل سيناء صوتاً يرعد ويرعب، ينطق بألفاظ لم يقدروا على احتمالها، كذلك هنا أيضاً سُمع صوت، كما يقول الكاتب "وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل" وهو صوت صامت، ولكنه يزمجر في صمته، لأنه صوت الدم المُراق فوق رابية الجلجثة. وذلك الصوت الصامت الغريب، الناطق من الدم المتفجر، يذكّر الكاتب بقصة هابيل (تكوين ص٤ آية ١٠) الذي صرخ دمه إلى الله طالباً النقمة فردد صداه في قلب قايين الذي ثقل باليأس والقنوط، أما صوت دم يسوع الصارخ إلى الله في طلب الغفران، فيردد صداه في قلب الإنسان، ليجيء إليه بالتوبة والسلام.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

ومع أن لنا تلك الصلة "الأفضل" بالله، الصلة التى أحكم وشائجها وسيط العهد الجديد، فأنه مع ذلك قد نرتكب الأخطاء بعينها التي ارتكبها أصحاب العهد القديم، لذا يُعقب على قوله هذا بتحذير ضد إهمال هذا العهد "الأفضل" كما فعل أولئك. ويمكن تلخيص دليله فيما يلي:- أن الذي فعله بنا المسيح قد هيأ لنا صلة خالدة مع الله، صلة أبدية تبقى وأن زالت كل الأشياء الزمنية الأخرى، فكيف لنا أن نهمل خلاصاً هذا مقداره؟ "أنظر أن لا تستعفوا من المتكلم" فهو الذي يكلمكم الآن، كما يتكلم أيضاً دمه بالنيابة عنكم. لأنه ينعقد بين طرفين، فالله في المسيح قد قام بدوره، بقي عليكم أنتم أن تقوموا بدوركم "لأنه أن كان أولئك لم ينجوا إذ استعفوا من المتكلم على الأرض" والإشارة هنا إلى الحالات الكثيرة التي عصا فيها الإسرائيليون وأمر الله المعطاة لهم عن طريق موسى، فأن تاريخ العهد القديم، حافل بالحوادث التي أهمل فيها الشعب وصايا الله، فجلب عليهم أوخم العواقب، ومع ذلك فأن الكلام المعلن لإرادة الله كان وحياً أرضياً، عن طريق الإنسان موسى فوق جبل سيناء: والذين سموه لم يسمح لهم بالتمتع بالصلة السماوية فوق الجبل، أما فوق صهيون، الذي كنا نقرأ عنه الآن، فقد نزل الوحي من رئيس الكهنة السماوي مباشرة "فبالأولى جداً لا ننجو نحن المرتدين عن الذي من السماء" أي الابن الإلهي الذي كلمنا بروحه في حياته على الأرض التي هبط إليها، ويكلمنا الآن من السماء "الذي صوته زعزع الأرض حينئذ" أي في سيناء (أنظر سفر المزامير فصل ١١٤ وهذا وصف خيالي شعري للأرض المرتجفة المرتعدة أمام الحضرة الإلهية) "وأما الآن فقد وعد قائلاً أني مرة أيضاً أزلزل لا الأرض فقط بل السماء أيضاً" أنظر حجي ٢:٦ فأن الزلزال الظاهري الأول كان رمزاً إلى زلزال ثان أكثر امتداداً وأقوى أثراً. فالسماء والأرض تهتزان أخيراً، والعبارة "مرة أيضاً" تشير إلى هزة نهائية فاصلة، ومع ذلك فأن هذا الحادث المرعب سيتم كوعد من مواعيد الله، لأنه سيؤدي أخيراً إلى نصرته التي تهفو إليها قلوب المؤمنين، "فقوله مرة أيضاً يدلّ على تغيير الأشياء المتزعزعة كمصنوعة لكي تبقى التي لا تتزعزع" فقد يهتز العالم ويتزعزع ولكن جبل صهيون الروحي الذي قرأنا عنه سيبقى في هدوءه وجماله، وتناسقه وثباته. فأن تلك الأعالي المقدسة لا تتأثر بالاهتزازات الأرضية. وكل ما يكون قابلاً للزعزعة يزول ويمضي. فما الأرض والسماء المنظورتان إلاَّ صورة مادية "مصنوعة" للحقائق الخالدة. لذلك تزول الخيمة، والهيكل، والكنيسة، والكاثدرائية، أما المقدس الخالد في السماويات فباقٍ مدى الدهور برئيس كهنته الأعظم. يا له من عزاء لأولئك العبرانيين المسيحيين الذين كانوا قد سمعوا، أو على وشك أن يسمعوا، نبأ خراب أورشليم، المقدس الذهبي، والمدينة القائمة على جبل صهيون الأرضي! بل يالله من عزاء لنا في هذا العصر، ونحن نرى أقدس الأشياء على هذه الأرض يتهددها الأعداء. ولكن أقدامنا قد رسخت، شأن المسيحيين العبرانيين، على الجبل، الذي لا يتزعزع. فلا يكون لزعزعة الأرضيات من أثر إلاَّ "لكي تبقى التي لا تتزعزع" وفي غيرة تثير النفس، ورهبة تستولى على القلب، ندرك أننا مواطنون في الملكوت الذي لا يتزعزع، فنحيا بموجبه، كما يقول الكاتب "لذلك ونحن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

قابلون" من يدي الله منحة الآن "ملكوتاً لا يتزعزع" وليس معنى الكلمة فقط أن الملكوت لا يتزعزع، بل أنه غير قابل للزعزعة أو الاهتزاز (أنظر دانيال ص٧ آية ١٨) حيث نرى ملكوت القديسين يبقى بعد زوال الممالك الأربع القائمة على القوة. ولكن العبارة تقصد ملكية هذا الملكوت الذي لا يتزعزع، في الحاضر، وليس فقط في المستقبل. ونحن قد ارتبطنا مع الله بصلة جبل صهيون، التي سوف ندرك في المستقبل كمال معناها. وفكرة ثبات هذا الملكوت واستقراره في وسط عالم متقلب مضطرب تبعث إلى قلوبنا الشكر "ليكن عندنا شكر به نخدم الله خدمة مرضية" وهنا تبدو لنا أهمية الشكر، فهو أساس الخدمة الحقة، وشعور المحبة هو الباعث إلى إظهار المحبة. والاعتراف بمجد الله وصلاحه مصدر قوة للإنسان، ومرضاة لله ذاته "بخشوع" لا بالرعب الذي يفسد الخدمة، بل بالرهبة الخاشعة "وتقوى" وهي المسلك المتسق مع شعور الخشوع الداخلي "لأن إلهنا نار آكلة" والعبارة مقتبسة عن تثنية ص٤ آية ٢٤ وقد رأينا أنا هناك فوارق من بعض الوجوه بين عهد جبل سيناء والعهد الخالد المعطى لنا في يسوع فوق جبل صهيون، ولكن الجبلين يتفقان في أن الله الذي قطع عهده مع الإنسان هو نار آكلة في كليهما. فأنه يطهر بالإحراق كل نفاية دنيئة في نفوس الذين يخدمونه، وكلَّ ما يكون غير أهل للبقاء في حضرته المقدسة. (أنظر ملاخي ٣:٢ الخ ومتى ٣:١٢) فمن ثمَّ نرى الرهبة، لا الشكر فقط. عنصراً في موقف المسيحي تجاه ربه.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

الختام

بهذه العبارة المأثورة يختم الجزء الرئيسي في الرسالة إلى العبرانيين. وما يتلو ذلك أشبه بتذييل غير رسمي يقترن برسائل شخصية أو نصائح للجماعة العبرانية.

والآيات التالية ترسم لنا صورة لحياة كنيسة مسيحية عائشة في وسط غير مسيحي، سواء في تلك الأيام الأولى، أو في عصرنا هذا.

"لتثبت المحبة الأخوية" وكانت الكلمة "أخ" قد امتدت في العهد القديم من معناها الضيق المشتمل على أفراد الأسرة، إلى معناها الواسع الشامل علامة اليهودية (أنظر سفر التثنية فصل ٢٣ آية ١٩) وكانت "الأخوية" قد أصبحت في اليهودية شعاراً قومياً. أما في المسيحية فقد أضحت شعاراً "عالمياً". فرابطة الإيمان الواحد المشترك لا تقيم حاجزاً بين أمة وأمة. وحتى في الأيام الأولى التي كتبت فيها رسالتنا كانت "المحبة الأخوية" قد تخطّت حدود الجنس الشائكة- بين اليهود وغير اليهود- وحدود الطبقات الاجتماعية- بين العبد والمولى. وفي عصرنا هذا قد ذهبت إلى أبعاد من هذه الحدود، ولكن قوى الشرّ ما فتئت تعرقل هذه "المحبة الأخوية" وتغرينا على تضييق دائرتها حتى تخرج منها أخواناً لنا، أو على إطفاء جذوتها حتى تفقد معناها وقيمتها. ولذلك ينصح الكاتب العبرانيين وكل جماعة مسيحية أن اعتصموا بهذا. وقد اختيرت الكلمة "لتثبت" لغرض خاص، ليبين الكاتب ضرورة الاعتصام بهذه الرابطة، حتى لو كان الأخ الآخر شديد الوطأة لا تلين قناته.

"لا تنسوا إضافة الغرباء" وكانت الضيافة من الفضائل المستحبة التي اعتز بها اليهود، كما اعتز بها العرب أبناء عمومتهم المتحدرين من سلالة إبرهيم. ولكن كانت ثمة أسباب خاصة تدعو المسيحيين إلى ممارسة هذه الفضيلة، ففي العالم اليوناني كان أصحاب النُزل (الخان) يحملون اسماً شائناً، ذلك أنهم كانوا يبتزون أموال النازلين عندهم، وكان تلك النُزل في أحيان كثيرة أوكاراً للشر ومباءات للرذيلة. فكان فرضاً واجباً على المسيحيين أن ينزعوا أخوانهم من هذه الأوساط غير المستحبة، الباهظة الكلفة، ويستضيفوهم في بيوتهم حيث يشتركون معاً في عبادة ربهم بلا خلاف. وكان بعض أولئك الإخوة من البشريين المتجولين (ونرى في قصة سفر الأعمال كيف كان المسيحيون المحليون يرحبون بالرسول بولس في البلدان التي نزل إليها. وكان بعضهم من الفارين بسبب الاضطهاد، أو من المتنصرين حديثاً الذين لم يختبر إيمانهم بعد وكان قبول هؤلاء لا يخلو من خطر، فقد يكون الضيف جاسوساً خائناً ينقل المعلومات والأخبار إلى رجال السلطة في أوقات الاضطهاد. ولعلَّ أقوى محك لتجربة طاعتنا هذه الوصية في عصرنا الحاضر، هو استضافتنا الإخوة المسيحيين المهتدين إلى ربنا من أديان أو أجناس نحسبها معادية لنا. وترى أي دهشة عرت صاحب الخان قديماً يوم رأى السامري الصالح يحمل إليه جريحاً غريباً من اليهود الذين

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

كانوا أعداء جنسه. ومن الشيق أن نذكر هنا أن لوسيان الكاتب الوثني سخر من المسيحيين الأولين بسبب هذه الضيافة، لأنه لم يكن ليدرك مبعث الفرح فيها. أما كاتبنا المغرق في العهد القديم فيذكر مثالاً رائعاً لإسناد وصيته عن إضافة الغرباء، حين يقول "لأن بها أضاف الناس ملائكة وهم لا يدرون" والإشارة إلى سفر التكوين (ص ١٨) حيث زار إبرهيم نفر خالهم من مظهرهم رجالاً، وما لبث ت أن تكشفت حقيقتهم فإذا هم ملائكة علويون. وكأن الكاتب يقول أن الزائر الوضيع المتواضع قد يكون ملكاً من ملائكة ربنا. ويجيء المسيح نفسه في أقل الناس جاذبية وأخفضهم شأناً، مما نرحب بهم باسمه (أنظر متى ٢٥:٤٠ و٤٥ ويوحنا ٨:٢٠). وقد رسم أحد الفنانين في دار الضيافة الأديرة بمدينة فلورنسا أخوين يستقبلان غريباً من عرض الطريق، وقد أمسك بيده عكازة، ووضع على منكبيه رداء من جلد الأغنام، وقد بين الفنان في صورته أن هذا الغريب إن هو إلا المسيح نفسه.

يجيء الزائر إلى البيت، ولكن على الإخوة المسيحيين أن يفعلوا أكثر من مجرد الترحيب بالوافدين إليهم، عليهم أن يؤدوا رسائل المحبة للمحتاجين، لذلك يقول الكاتب "اذكروا المقيدين كأنكم مقيدون معهم" وكان أمر المسجون في العالم القديم موكولاً إلى أصدقائه في الخارج لتدبي طعامه وكسائه، وكان مصرحاً بزيارته أكثر مما هو متبع في العصر الحديث (أنظر متى ٢٥:٣٦ و٢ تيموثاوس ١:١٦ و١٧) ويجد المسيحيون في يومنا طرقاً كثيرة لتنفيذ هذه الوصية، ففي بلدان كثيرة يقومون بافتقاد المسجونين، وفي بلدان أخرى تنشأ الجمعيات خصيصاً للعناية بشئون المسجونين بعد الإفراج عنهم وتوفير أسباب العيش لهم في وقت يرمقهم الناس فيه شذراً. وتفصح الرسالة عن الطريقة التي تؤدي بها هذه الخدمة، لا كقوم صالحين نعين البائسين في عارهم وذلهم، بل كأخوة نعطف عليهم حتى لنحسب أنفسنا شركاء "مقيدين معهم". ومما تلقينا من الأدعية المسيحية الأولى، دعاء دُون في ختام رسالة اكليمندس نطلب فيه إطلاق المسجونين. وأنّا لنجد في كل نظم العبادة تقريباً (الخدمات الدينية) شرقية وغربية دعاء خاصاً بالمسجونين والأسرى. ولكن الرسول يطلب إلى قرائه أن يذكروا غير المسجونين أيضاً فيقول (والمذلين كأنكم أيضاً في الجسد) فأن كثيرين من غير المسجونين يُسامون الخسف في المعاملة، وعوضاً عن نسيانهم والركون إلى الحياة الهادئة المريحة، يطلب الكاتب إلى المسيحيين أن يذكروا هؤلاء، بكل ما في الذكرى من ألم ممض، ومن تكاليف والتزامات للعون والصلاة. والباعث إلى ذلك أننا كلنا معرضون بالجسد إلى آلام كهذه. وتصير الآية توسعاً في وصية الرب القائلة: "كما تريدون أن يفعل الناس بكم، أفعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا".

ثم ينتقل الكاتب من الواجبات العامة نحو الذين في الخارج، إلى تكاليف الحياة الداخلية في الأسرى التي يعرفها. وكانت أولى مصارعاتهم في ذلك العالم الوثني النجس

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

(وهو غير بعيد الشبه بالعالم في هذا العصر) مع الطهارة المطلقة في الحياة الزوجية، لذلك يقول لهم "ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد" فالزواج لدى المسيحي وما يقوم عليه من طهر وإنكار للذات ليس إلاَّ سراً مقدساً من أسرار المحبة، ثم ليكن "المضجع غير نجس" ما دام القران الزوجي قد اعتبر نموذجاً للإتحاد بين المسيح وكنيسته. ويجد القارئ في سيرة المرحوم الكاهن جردنر باللغة الإنكليزية دعاء الذي كان يرفعه الله في السنة السابقة لزواجه، وهو نموذج لما يفعله المسيحي الصادق في إطاعة ما تدعو إليه هذه الآية. وقد ظلَّ المرحوم الكاهن جردنر يصلي عاماً كاملاً قبل زواجه لكي "يصير أهلاً لهذا الشيء المقدس، المقدس، المقدس" على حد قوله. وإليك كلمات دعائه:-

"لأستطيع أن أقترب إليها، قربني إليك أكثر منها

"لأستطيع أن أعرفها، عرفني ذاتك أكثر منها

"لأستطيع أن أحبها حباً كاملاً بملء القلب، أجعلني أحبك أكثر منها وأكثر

"من كل شيء آخر، آمين ثم آمين

"لكي لا يفصلني عنها شيء، كن بيني وبينها في كل لحظة

"لكي نكون معاً باستمرار، اجذبنا إليك منفردين

"وحين نلتقي معاً، ضمنا إلى صدرك أنت، يا إلهنا. آمين ثم آمين"

وليعلم الذين لا يمتلكون هذا المثل المسيحي الأعلى أن إلهنا نار آكلة، نار الدينونة أو نار التطهير، إن أرادوا

"وأما العاهرون" والكلمة اليونانية تعني الشهوانيين إطلاقاً، والخائنين عهد الزواج بنجاستهم الشخصية "والزناة" والكلمة اليونانية تعني الخائنين الذين يعتدون على عهد زواج شخص آخر "فيدينهم الله" وبيت القصيد هو "الله" فلسنا نحن الذين ندينهم.

حذر الكاتب أصدقاءه المسيحيين من الأخطاء والنقائص الناشئة عن جموح الإنسان عن طريق نزواته الجسدية، بيد أن للنفس البشرية أساليب أخرى ملتوية أشد مكراً ودهاء. وإلى هذه يشير الكاتب الآن: فالمسيحي الصادق يعيش في عالم يعبد المال. وحين يصام المرء بهذا الداء، داء محبة المال، يذبل فرحه الروحي وينخفض مستواه، لذلك يقول الكاتب "لتكن سيرتكم خالية من محبة المال" وكثيراً ما يكون المسيحي "خالياً" من خطايا الجسد، ولا يكون "خالياً" من هذه الخطية المميتة التي تتهجم عليه، لا في حياته الفردية والعائلة فقط، بل أيضاً في حياته العامة وفي مجتمعات الكنيسة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وأن في الحياة الخالية من محبة المال، قوة وحرية يكللانها بالجمال والروعة. ولكن الكاتب يطلب إلى إخوانه العبرانيين أن يبلغوا هذا المستوى ويتابع حديثه في أسلوب عملي فيقول "كونوا مكتفين بما عندكم" وذلك لأن قسطاً كبيراً من الجزع في الشئون المالية مردّه الخوف من المستقبل، فاذكروا أن حاجتنا المالية في الحاضر وفي المستقبل موكولة في نهاية الأمر إلى أيدٍ رحيمة محبة "لأنه" أي الآب السماوي "قال لا أهملك ولا أتركك" وهذه العبارة المفرغة من اليونانية لعدة آيات من العهد القديم (أنظر مثلاً تكوين ١٥:٢٨ ويشوع ٥:١ وتثنية ٦:٣١ الخ كانت من الأوضاع المألوفة للمواعيد المقتبسة من الكاتب اليهودي الشهير فيلو. وتحمل إحدى الكلمتين اليونانيتين المترجمتين "أهمل" و "أترك" فكرة الخلاء اليد من الشيء ما وتركه يسقط، وتحمل الثانية فكرة الهجر أو الترك وحيداً في ساحة القتال. وقد انصبَّ الوعد الأصلي على العون في القتال ولكن شاعراً مسيحياً يقول ما معناه:

"لا تخلع هذه العبارة على الملوك والكهنة فقط، ولكنها تهمس، بلحن شجي ندي، أنشودة القناعة في نفوس الجميع على السواء"

وان قلوبنا لتستجيب إلى هذه الرسالة الموجهة إلينا من الله "حتى أننا نقول واثقين الرب معين لي فلا أخاف ماذا يصنع بي إنسان" وحين نخلوا من متاعب وهموم أحوالنا المالية، لا عن طريق الإهمال وعدم الاكتراث، بل يقيناً أن الآب السماوي لا يهملنا، نتذرع بشجاعة غريبة فائقة واثقين أن ما يرسله لنا الله هو الأفضل. وهذه الكلمات التي نرددها في يقين وثقة مأخوذة عن مزمور ١٦:١٨ وهو مزمور كان قد سمعه المسيحيون العبرانيون في الأعياد الكبرى في دينهم القديم. وها هم يتابعون نشيدهم بمعنى أعمق في حياتهم المسيحية الجديدة وعبادتهم. إذ هو ينطق صارخاً بالفوز وسط الآلام.

ومن ثمَّ يعود الكاتب بفكره إلى الجماعة الصغيرة في مجتمعاتها فيقول "اذكروا مرشديهم الذين كلموكم بكلمة الله" ويخيل إلينا أن كلمات الثقة القائلة "لا أخاف ماذا يصنع بي إنسان" قد نفثت في قلب الكاتب فكرة عن إبطال الإيمان الذين حملوا رسالة الإنجيل إلى أولئك العبرانيين المسيحيين، والذين جالدوا (شأن كثيرين غيرهم من أبطال الفصل الحادي عشر) حتى ختموا شهادتهم بدمائهم. وذلك لأن الكاتب يذكرهم بموت أولئك الأبطال فيقول "انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم". ومن ثمَّ نرى الكنيسة المسيحية، وهي ناظرة إلى يسوع، (كما رأينا في فصل ١٢ آية٢) تستطيع أن تنظر أيضاً حتى في ذلك العصر المبكر إلى حياة الإيمان التي سلكها قادتها وزعماؤها، الذين استخدمهم الله مثل بطرس "لتقوية إخوتهم". وإن صحَّ هذا القول عن تلك العصور الأولى، فكم بالأولى في هذا العصر الذي توافرت لنا فيه، لا قادتنا فقط الذين نتعلم منهم، بل السير المسيحية التي حفلت بها شتى البلدان في كل العصور. والكلمة المترجمة "أنظروا" تعني الانتباه الشديد الدقيق. وهذه الوصية تحفزنا لأن نسأل أنفسنا: إلى أي حد ننتهز الفرص "وننظر" حقاً إلى أولئك

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

القديسين في حياتهم وفي مماتهم. وتذكرنا الوصية التالية (تمثّلوا بإيمانهم) أم محاكاة روحهم تعمل لمجد الله لا مجرد التمثل بهم في أعمالهم. وتلك المحاكاة في الإيمان عميقة قوية في المماثلة، ولكنها على جانب عظيم من الحرية، لأن المسيحيين ليسوا مجرد ناقلين صوراً طبق الأصل. وكان القادة الأولون لتلك الكنيسة الصغرى قد جازوا إلى الحياة الأخرى، ولكن واحداً باقياً لا يتغير "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" ويأخذنا الكاتب في هذه الألفاظ إلى العبارة الاستهلالية في رسالته عن إعلان الله ذاته، إعلاناً حاسماً، نهائياً في "ابن". فيسوع لا يتفوق عليه أحد، ولا حاجة به لملحق يجيء بعد. والعبارة شاملة في صدقها، فلطالما قوت قلوب المسيحيين في كل الأجيال والبلدان. ولعل أقرب فكرة خطرت ببال الكاتب أن المسيح الذي هيأ الفوز "بالأمس" لأولئك المرشدين الذين أشار إليهم، يهيئ اليوم وفي الغداة نصراً مبيناً للمسيحيين العبرانيين في تجاربهم ومحنهم الحاضرة.

وإيمان المسيحي ممكن في ذلك الذي لا يتغير، ومن ثم لا يتزعزع إذا وضع إنسان أمامه تعاليم متقلبة كما يقول الكاتب "لا تساقوا بتعاليم متنوعة وغريبة" وترى ما التعاليم التي يشير إليها في هذا المقام؟ ليست تعاليم الدين اليهودي القديم، فهذه لم تكن غريبة لدى المسيحيين العبرانيين. وأغلب الظن أنه كان ثمة طوائف دينية جديدة في العالم الروماني يومئذ، وربما حاول بعضها أن يدمج المسيحيين العبرانيين في زمرتها. وقد وضع بعض تلك الطوائف قواعد خاصة عن الأكل كوسيلة للحياة العليا، فحرمت أنواعاً من الأطعمة زعماً أنها نجسة، وحسبت أن حياة الجسد كلها دنيئة نجسة تفتقر إلى ضروب من التطهير والتقشف وتحريم بعض المآكل. وأمثال هؤلاء يحسبون أن المخلص الذي نزل بالجسد أوضع شأناً من الملائكة التي بلا أجساد. ومهما تكن الطائفة أو الطوائف التي جاءت بهذه التعاليم الغريبة إلى العبرانيين المسيحيين، فأنها لا شك وضعت أسس تعاليمها على قواعد تتعلق بالأكل والشرب، وأثر هذا في الحياة الداخلية، بدليل قول الكاتب "لأنه حسن أن يثبت القلب بالنعمة لا بأطعمة لم ينتفع بها الذين تعاطوها" ويتبين من هذه الكلمات أن الإشارة هنا إلى بعض التعاليم المتعلقة بأكل الذبائح التي كانت تقدم بكثرة يومئذ في المواسم والأعياد الرسمية (أنظر ١ كورنثوس ١٠:١٤- ٣٣) ولذا يقول الكاتب أن القلب لا يثبت حقاً بقواعد الأكل والشرب التي تضعها الطوائف المختلفة لأعضائها وتمثل مجهودات الإنسان في سعيه إلى العلى نحو الاتصال بالآلهة، إنما بقوة روحية إلهية تعمل في داخل الإنسان وأن تكن توآتيه من العلاء. وهذه القوة يسميها الكاتب "النعمة" أي فيض المحبة الإلهية لإنعاش الإنسان وتقويته. وليست ثمة إشارة في هذه الآيات إلى "الشركة المقدسة" التي هي وسيلة من وسائل رب النعمة لسكب نعمته الروحية الداخلية الفياضة. إنما الإشارة هنا إلى القواعد المرعية لدى بعض الطوائف الشبه وثنية، وقد قورنت ولائمها بالشركة المقدسة في رسالة كورنثوس الأولى. أما هنا فيقارن الكاتب ذبائحها بذبيحة المسيح الكاملة الكافية، فيعود إلى فكرته الأولى العظيمة عن المسيح رئيس الكهنة الذي جاز إلى قدس الأقداس فيقول "لنا

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

مذبح" ويتبين من الوضع اليوناني لهذه الآية أن الكاتب في صدد مقارنة، فأن بعض أصحاب تلك التعاليم الغريبة الجديدة كانوا يعيرون المسيحيين العبرانيين أن لم يكن لهم ذبائح، لا الذبائح اليهودية القديمة، ولا ذبائح الولائم التي اختصت بها تلك الطوائف الجديدة، ولكن الكاتب يجيب على هذا العبير بقوله: ولكن لنا مذبحاً، ولنا ذبيحة عديمة المثال لا نظير لها. ذلك الصليب القائم فوق الجلجثة هو مذبحنا، حيث قدمت لأجلنا الذبيحة التي لا عيب فيها، والذي قدم الذبيحة هو الكاهن نفسه، وقد قيل عنه أنه المذبح أيضاً. تأمل هذه الكلمة المأخوذة عن القديس توما اكويناس: "ذلك المذبح هو صليب المسيح، حيث قُدم المسيح لأجلنا، أو هو المسيح نفسه الذي فيه وبواسطته نقدم تقدماتنا. وهذا هو المذبح الذهبي الذي جاء ذكره في سفر الرؤية ص ٨"

وأقوى إفصاح عن ذلك المذبح الجامع الشامل تضمنته عبارة خطيرة تقول "صلب خارج المدينة، لتنتهي بذلك الذبائح القديمة، وتوضع الذبيحة الجديدة على مذبح جديد، ومن ثم يصير صليب المسيح، لا مذبح الهيكل (في أورشليم)، بل مذبح العالم بأسره"

بيد أن الذبيحة المهراقة فوق ذلك المذبح، الذبيحة المليئة بالأمرار والحافلة بالحياة للعالم بأسره، ليست من نوع الذبائح الطقسية القديمة، التي كانت تقدم ثم يلتهمها أبناء الطبقات الممتازة من الكهنة وذويهم- وعن هذا المذبح يقول كاتب الرسالة "لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه" وكان هؤلاء أكثر طبقات اليهود امتيازاً. ومع ذلك فقد كان في الشريعة الموسوية القديمة ذبيحة واحدة- ولم يكن هذا خافياً على العبرانيين المسيحيين- لم يكن ليجوز حتى للكهنة أنفسهم أن يشتركوا فيها. وهو يشير في هذا إلى الذبيحة العظمى التي كانت تقدم في يوم الكفارة، وإلى المراسم المدونة في سفر اللاويين فصل ١٦ آية ٢٧ حيث قيل "وثور الخطية وتيس الخطية اللذان أتى بدمهما للتكفير في القدس يخرجهما إلى خارج المحلَّة ويحرقون بالنار جلديهما ولحمهما وفرثهما" فلم يكن جائزاً لأي مخلوق بشري أن يأكل من ذبيحة الخطية. ونرى كاتبنا الآن يبرز هذه الحقيقة ناصعة أمام قرائه في قوله: "فأن الحيوانات التي يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس" ولم يكن مصرحاً بإدخال دم الذبائح الأخرى إلى الأقداس "بيد رئيس الكهنة" وبيده فقط بعد الصوم والاستعداد كما رأينا في الفصول المتقدمة "تحرق أجسامها خارج المحلة" إذاً لم يكن سائغاً حتى لرئيس الكهنة أن يأكل من لحم هذه الذبائح، فكم بالأولى أنتم أيها المسيحيون العبرانيون. ولو كنتم وقوفاً في وسط تلك الجماهير التي قدمت لأجلها الذبائح، لما استطعتم حسب أحكام الدين القديم أن تأكلوا من لحمها الرهيب، لا أنتم ولا غيركم من المخلوقات الحيّة.

وموقفكم الآن أشبه بموقفكم بالأمس- مع الفارق العظيم- أمام ذبيحة الخطية الكاملة الكافية، ذبيحة مخلصكم وكاهنكم. فهو أيضاً، كأنه يكمل ذبيحة الخطية القديمة قد "أخرج إلى خارج المحلة" (لاويين ١٦:٢٧) "لذلك يسوع أيضاً لكي يقدس الشعب بدم نفسه تألم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

خارج الباب" وذلك لأن الصلب، شأن عقوبات الإعدام الأخرى في العالم القديم، كان ينفذ خارج المدينة. ولكن هذا الذبيح، وأن يكن قد مات، فهو ما يزال حياً، وهو مستطيع أن يدعونا إلى الصلة به في حياة عملية أعمق وأخصب من أية ذبيحة طقسية تقوم بها جماعات بعضها يهودي وبعضها وثني. وتلك الصلة الخصيبة العميقة لا تُنال بدون كلفة، فأنها صلة بإنسان أخرج خارج المدينة ليقضي كمجرم. والذي يدرك معنى الصلة بالمصلوب لا يسعه إلاَّ أن "يخرج" على طرق الحياة المألوفة في سبيل الاتصال به، لا يسعه إلاَّ أن يخالف الآخرين ويكون وحيداً مستوحشاً. فإن كان مسيحياً عبرانياً، كأولئك القراء الأولين الذين أُرسلت إليهم الرسالة، لا يسعه إلاَّ أن "يخرج" على طقوس دينه القديم وذبائحه، خارج محلة شعبه. وفي تلك الوحشة يجد صلة بربه في انتظاره "فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة" لأن المسيح، لا الذبيحة المائتة، بل الزعيم الحيّ ينتظر "خارج المحلة" لاستقبال شعبه، خارج محلة الدين القديم وأساليب الحياة القديمة. وقد نضطر في سبيله أن نعيش حياة مقلقة عرضة لاتهامات وإهانات من كثيرين. لذلك لنخرج "عاملين عاره" وكما خرج هو خارج المدينة حاملاً عبء صليبه، علينا نحن أن نخرج عن أساليب الناس المألوفة، ومدينتهم، وطرائق تكفيرهم، وطرائق عملهم، وسعيهم وراء أنفسهم، علينا أن نتجدد في أذهان أرواحنا. وهذا التبديل لا بدّ يحمل معه عاره. لأن الناس يكرهون عادة الخارجين على الأساليب المألوفة ويحسبوننا أغراراً حمقى، ويقطعوننا من الروابط الوطنية التي تربطنا بالمواطنين "لأن ليس لنا هنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة" قارن هذا بالفصل الحادي عشر آية ١٠ و١٤- ١٦ والفصل الثاني عشر آية٢٢- فكل المؤسسات الأرضية من مدن، ومحلات، وأخويات، يشوبها النقص، هي صور زائلة للحقائق التي سوف تكون لنا عندما نبلغ مدينة الله الحيّ (فصل ١٢ آية ٢٢) التي نحن من مواطنيها الآن وسندخلها آمنين فرحين في المستقبل. لذلك مهما بدا ممضاً حمل ذلك العار، فإنّا مستطيعون أن نفرح في مخلصنا الحيّ، الذي هو مصباح تلك المدينة "فلنقدم به" أي بواسطة المسيح رئيس الكهنة الذي به تقدم كل الذبائح على مذبح الله. والفعل اليوناني المترجم "نقدم" أصل الاشتقاق للكلمة المستعملة في "خدمات" العصور المسيحية الأولى، في الجزء الأوسط من خدمة الشركة المقدسة. وليس معناه "نقدم" فقط بل "نرفع". لذلك نرى مثلاً في النقوش المصرية القديمة التقدمات ترفع للآلهة. وفي كل الأوضاع الأولى لخدمة الشركة المقدسة نجد القائل يقول: "أرفعوا قلوبكم" فيجيب الشعب: "للرب نرفعها" "في كل حين لله ذبيحة التسبيح" حتى حينما نخرج عامدين خارج الباب لنحتمل العار. لأن الاختبار الحق دلنا على أن المسيحيين الذين يحتملون العار في سبيل ربهم يشعرون بفرح فياض، ويقدمون ذبائح الشكر أكثر من الذين يهجعون ولا يجاهدون أنظر أعمال ص ٥ آية ٤٢ وص ١٦ آية ٢٥- وليست بعيدة عنا قصة الشهداء الأولين في كنيسة يوغندا الذين خرجوا للقاء موتهم وهم ينشدون "يوماً بعد يوم نشيد التسبيح". ويؤثر عن أحبار اليهود قول جميل: "في عصر المسيا تبطل كل الذبائح عدا ذبيحة الشكر. وتبطل كل الصلوات، عدا التسبيح".

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وكعادته يتابع الكاتب كلامه باقتباس عبارة من العهد القديم ليشرح معنى "ذبيحة التسبيح" شرحاً مفصلاً فيقول "أي ثمر شفاه معترفة باسمه" والآية مقتبسة عن هوشع ص ١٤ آية ٢ ويقول النص اليوناني "ثمر شفاهنا" بينما يقول النص العبراني "ثيران شفاهنا" مما يبين لنا أن نبي العهد القديم بلغ فكرة يعتبر فيها التسبيح الحق كذبيحة حقة، كمحرقة توضع على المذبح. ولكن الكاتب المسيحي يذهب إلى أبعد من هذا في شرح ذبيحة التسبيح بعبارة لم ترد في غير هذا الموضع من الكتاب المقدس "معترفة باسمه" ولكي نفهمها ينبغي أن نذكر أن "اسمه"—كما نعلم من الكتابات المسيحية واليهودية على السواء- هو "شخصيته المعلنة". فالمسيحي يرفع دعاءه "باسم المسيح" ومعنى هذا "بشخصيته المعلنة". ومن ثم نرى هنا جوهر ذبيحة التسبيح المسيحية، ألا وهو الاعتراف بشخصية الله المعلنة في المسيح، اعترافاً ممزوجاً بالفرح والغبطة. والحق أن هذا هو مصدر كل شكر، وكل فرح به تستنير كل الأشياء وتتلمع، كما يقول كاتب الأنشودة الإنكليزية:

"السماء فوقنا زرقاء صافية، والأرض حولنا خضراء يانعة

"وفي كل لون، شيء من الحياة لا ترى إلا عين المتباعدة عن المسيح

والأطيار تصدح بأناشيد مستحبة، والأزهار تتلمع بجمال فياض

"حين أعرف، كما أعرف الآن، إني له وإنه لي".

ثم إن ذبائح التسبيح الروحية ليست شيئاً جوهراً، ما لم تقترن بأعمال تسبّحه أيضاً. لذلك يقول الكاتب "ولكن لا تنسوا فعل الخير والتوزيع لأنه بذبائح مثل هذه يُسر الله" أي ذبيحة الروح الداخلية المعبر عنها في التسبيح وفي الأعمال المجردة عن الأنانية. والكلمة المترجمة "توزيع" ليس معناها مجرد التوزيع المستفاد من إعطاء الحسنات للفقراء "ولو أنها تتضمن هذا المعنى" ولكنها تغني المشاركة والتقاسم في الأشياء، كأنه يجيء المعوزون لمشاطرتنا، ليس حاجاتنا وحسب، بل أفراح بيوتنا، والكتب التي نجد فيها عوناً، والنزهات التي تنعش حياتنا وهلم جرّا. وكانت العادة في نظم العبادة اليهودية القديمة أن يحرق جزء من الذبيحة دلالة على أنها قدمت لله، ويُعطى جزء للكهنة، ويُقدم جزء طعاماً للفقراء. فالكهنة والفقراء كانوا يشتركون إذاً في الذبيحة. ولذلك يقترح الكاتب على المسيحيين الذين يقدمون التقدمات الروحية عوضاً عن الثيران والأغنام، أن يحتفظوا بهذه العادة القديمة الجميلة، عادة المشاركة والتقاسم، وهي مسرة لله كما كانت في القدم. والآن يعود الكاتب إلى الفكرة في آية ٧ وكان قد ذكّر العبرانيين عن مرشديهم في الماضي الذين أقاموا لهم نموذجاً من نماذج البسالة. وها هوذا يقول كلمة عن المرشدين والقادة في عصره "أطيعوا مرشديكم واخضعوا" وكان المرشدون هم الذين بشروهم بكلمة الله (انظر الآية ٧) ولم تكن الكلمة مما يُسمع فقط، بل كانت طريقاً للحياة تُنتهج، لذلك حق أن يُطاع المرشدون لا أن

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

يُصغى فقط إلى أقوالهم. والكلمة المترجمة "أطيعوا" معناها طاعة الأوامر، وأما الكلمة المترجمة "اخضعوا" فهي أقوى في المعنى وتحمل فكرة الخضوع لرغبة. والذي يدرك ويفهم ويخضع لرغبات سيده وربه لا يفتقر إلى أوامر ونواه. فالكلمة الأولى إذاً تمثل لنا الطاعة الخارجية، وأما الثانية فتمثل الطاعة الداخلية، طاعة القلب. وأولئك المرشدون أحق الناس بهذه الطاعة "لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يُعطون حساباً" وقد وُصفت عناية المرشد المسيحي بالأنفس الموكولة في عهدته كأنها حراسة الحارس اليقظ. ونجد هذه اللفظة عينها في الترجمة اليونانية للعهد القديم (مز ١٢٧: ١٩) "إن لم يحفظ الرب المدينة، فباطلاً يتعب الحارس". فالمرشدون (وبينهم كاتب الرسالة) كانوا ساهرين يرقبون الصراع بين الحياة والموت في أنفس الذين علموهم، حاسبين أنفسهم كما سيعطون حساباً عن هذه الأنفس، وقد يشبّه موقفهم بموقف ربهم وسيدهم في يوحنا ١٧: ١٢.

"لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آنين" أي لكي يسهروا بفرح، لأن العبارة "كأنهم سوف يعطون حساباً" جملة اعتراضية يصح أن توضع بين قوسين في كتابنا المقدس. وأفضل شرح للكلمة "آنين" نجده في بيت شعري لترنيمة إنكليزية:

"أعطنا قلوباً، تحب مثل حبك، ونحزن مثل حزنك، لأجل خطايا الآخرين، كثر من حزنها إزاء الإساءات التي نلقاها نحن على أيديهم".

فإن رؤية أعضاء الكنيسة يشردون عن الله وعن الإيمان وعن الشجاعة ينغض الحياة على مرشديهم الساهرين، ويملأ قلوبهم بالأنات والتنهدات. أما للأعضاء أنفسهم فلا خير لهم في مسيحية ضعيفة كهذه. لأن المسيحية دين لا يؤتى خيره إلا للذين يستسلمون إليه بكلياتهم. لذلك يقول إن مرشديهم يئنون "لأن هذا غير نافع لكم" وليس "غير نافع" وحسب، بل خسارة مريعة أليمة.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

١٣: ٩- ١٨

٩لاَ تُسَاقُوا بِتَعَالِيمَ مُتَنَوِّعَةٍ وَغَرِيبَةٍ، لأَنَّهُ حَسَنٌ أَنْ يُثَبَّتَ الْقَلْبُ
بِالنِّعْمَةِ، لاَ بِأَطْعِمَةٍ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهَا الَّذِينَ تَعَاطَوْهَا. ١٠لَنَا «مَذْبَحٌ»
لاَ سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ. ١١فَإِنَّ
الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يُدْخَلُ بِدَمِهَا عَنِ الْخَطِيَّةِ إِلى «الأَقْدَاسِ» بِيَدِ
رَئِيسِ الْكَهَنَةِ تُحْرَقُ أَجْسَامُهَا خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. ١٢لِذَلِكَ يَسُوعُ
أَيْضاً، لِكَيْ يُقَدِّسَ الشَّعْبَ بِدَمِ نَفْسِهِ، تَأَلَّمَ خَارِجَ الْبَابِ.
١٣فَلْنَخْرُجْ إِذاً إِلَيْهِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ حَامِلِينَ عَارَهُ. ١٤لأَنْ لَيْسَ لَنَا
هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لَكِنَّنَا نَطْلُبُ الْعَتِيدَةَ. ١٥فَلْنُقَدِّمْ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ
لِلَّهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، أَيْ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ بِاسْمِهِ. ١٦وَلَكِنْ لاَ
تَنْسُوا فِعْلَ الْخَيْرِ وَالتَّوْزِيعَ، لأَنَّهُ بِذَبَائِحَ مِثْلِ هَذِهِ يُسَرُّ اللهُ.
١٧أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ
كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَاباً، لِكَيْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ بِفَرَحٍ، لاَ آنِّينَ،
لأَنَّ هَذَا غَيْرُ نَافِعٍ لَكُمْ. ١٨صَلُّوا لأَجْلِنَا، لأَنَّنَا نَثِقُ أَنَّ لَنَا
ضَمِيراً صَالِحاً، رَاغِبِينَ أَنْ نَتَصَرَّفَ حَسَناً فِي كُلِّ شَيْءٍ

أما الكلمة التالية فعن الكاتب نفسه، وهو يستعمل صيغة الجمع كمألوف العادة اتلي يجري عليها المؤلفون فيقول: "صلوا لأجلان لأننا نثق أن لنا ضميراً صالحاً" وهو شاعر برغبة حارة تسوقه إلى العمل النزيه الأمين، فليس عليه من حرج أن يلتمس صلواتهم، لأن رغبته الأمينة المخلصة أن يخدم الله كما يقول "راغبين" والكلمة اليونانية تدل على رغبة حارة غيورة "أن تتصرف حسناً في كل شيء" وأغلب الظن أن هذه الكلمات الصادرة عن المرشد العظيم الذي أوشك الآن أن يفرغ من رسالته الرائعة، تدل على أن شخصاً ما قد وشى به عند أبنائه في الإيمان وتكلم سواً في حقه. فلم يكن رده المتواضع على هذه الوشاية إلا إبداء رغبة في التصرف الحسن والتماس صلواتهم. وعلّل بعضهم تغيبه عنهم ببواعث ليست شريفة، ذلك لأنه يتابع حديثه معبراً عن رغبته في العود إليهم قائلاً "ولكن أطلب أكثر أن تفعلوا هذا لكي أرد إليكم بأكثر سرعة" وفي غيرته المتحمسة يبدّل صيغة الجمع ويجعل التماسه شخصياً: أرجوكم أن تصلوا لأجل عودي السريع إليكم. ولسنا ندري ما الذي عاق الكاتب، ولكن الظاهر أن العائق عامل قوي لا سلطان له عليه، ولكنه يؤمن أن قوة الصلاة المتحدة كفيلة بإزالته.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبعد إذ يسأل قراءه أن يصلوا لأجله، يضيف إلى هذا صلاة لأجلهم.

١٣: ١٩ـ ٢٥
١٩وَلَكِنْ أَطْلُبُ أَكْثَرَ أَنْ تَفْعَلُوا هَذَا لِكَيْ أُرَدَّ إِلَيْكُمْ بِأَكْثَرِ سُرْعَةٍ. ٢٠وَإِلَهُ السَّلاَمِ الَّذِي أَقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ رَاعِيَ الْخِرَافِ الْعَظِيمَ، رَبَّنَا يَسُوعَ، بِدَمِ الْعَهْدِ الأَبَدِيِّ، ٢١لِيُكَمِّلْكُمْ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ لِتَصْنَعُوا مَشِيئَتَهُ، عَامِلاً فِيكُمْ مَا يُرْضِي أَمَامَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. ٢٢وَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَحْتَمِلُوا كَلِمَةَ الْوَعْظِ، لأَنِّي بِكَلِمَاتٍ قَلِيلَةٍ كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ. ٢٣اِعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أُطْلِقَ الأَخُ تِيمُوثَاوُسُ، الَّذِي مَعَهُ سَوْفَ أَرَاكُمْ، إِنْ أَتَى سَرِيعاً. ٢٤سَلِّمُوا عَلَى جَمِيعِ مُرْشِدِيكُمْ وَجَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ. يُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الَّذِينَ مِنْ إِيطَالِيَا. ٢٥اَلنِّعْمَةُ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ (إِلَى الْعِبْرَانِيِّينَ، كُتِبَتْ مِنْ إِيطَالِيَا، عَلَى يَدِ تِيمُوثَاوُسَ)

والآن يتوجه الكاتب إلى إله السلام، ليهب أصدقاءه وروح التناسق والانسجام، وقد كانوا في صراع مع أنفسهم في الدخل وفي الخارج (كما رأينا في الرسالة). فقد كان عليهم أن يصارعوا مع الشر (انظر فصل ١٢) ولن يكون سلام في هذا الصراع إلا سلام النصرة في الله. ولذلك يقول "وإله السلام الذي أقام من الأموات" هو مستطيع أن يعطيكم النصرة، فهو الذي انتصر حينما بدت كل الظواهر منبئة عن الهزيمة (وهنا الإشارة الصريحة الوحيدة عن قيامة المسيح في الرسالة كلها، كما أن الآية، في فصل ١٢، هي الإشارة الوحيدة عن الصلب. وذلك لأن الرسالة عالجت عمل المسيح السماوي الناجم عن الصليب والقيامة).

"راعي الخراف العظيم ربنا يسوع" ويسوع هو الراعي العظيم، إذ قد جعل نفسه مسؤولاً عن شعبه. حاسباً نفسه واحداً معهم على الرغم من الكلفة الباهظة ليخلصهم لله. ومن المحتمل أن لا يكون الكاتب قد سمع كلمات ربنا المسيح عن نفسه كراع. ويخيل إلينا أن الكاتب، بفضل تعمقه في العهد القديم، يفكر الآن في الله كراع لشعبه إسرائيل في البرية. والكلمة "راعي الخراف" مقتبسة عن أشعياء ص ٦٣ آية ١١ وكانت كلمة موسى ظلاً للمسيح، وكان خروجه مع شعبه عبر البحر الأحمر ظلاً لقيامة المسيح من القبر.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

وبما أن الموت لم يرد قط في العهد القديم في صدد أوصاف الراعي الإلهي، فإن الكاتب يستعير عبارة أخرى من العهد القديم عن كفاية الدم المهراق ""دم العهد" (زكريا ٩: ١١) فيقول أن الله أقام يسوع "بدم العهد الأبدي" وهنا يعود الكاتب إلى فكرة خطيرة تخللت الرسالة كلها، فيقول أن يسوع قد قام ودخل العالم الأزلي الخالد (كما دخل رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس) بدم العهد، مقدماً دمه ذبيحة كفارية. وحينما قام من الأموات، كانت قوة حياته المقدمة لأجل العالم، بمثابة الجو الذي أحاط به وهو داخل نصرته. والعهد الجديد عهد خالد يتعلق بالعالم الخالد الذي جاز هو إليه لأجلنا.

"ليكملكم في كل عمل صالح لتصنعوا مشيئته" وإذ يذكر رئيس الكهنة العظيم الذي يصلي لأجلهم في العالم الخالد، يطلب الكاتب في جسارة، عظائم الأشياء للمسيحيين العبرانيين. والكلمة المترجمة "ليكملكم" خصيبة المعاني تشمل في حد ذاتها أفكاراً ثلاثة: (١) التكميل في طريق توحيد القوى والأجزاء المختلفة في تناسق منسجم، وهي صلاة يفتقر إليها أولئك الذين تتقاذفهم الأهواء الداخلية والخارجية (٢) التكميل عن طريق تكملة النقص (٣) التكميل عن طريق إصلاح العيب. بهذه الصلاة الخصيبة المعاني يطلب الكاتب لأجل أصدقائه، ونتيجتها تكميل إرادة الله في كل الأعمال الصالحة. وكل عمل هو في الوقت ذاته عمل الإنسان وعمل الله، فنعمة الله المكملة تجعل عمل الإنسان ممكناً، على شرط أن يقبل الإنسان هذه النعمة. لذلك بينما أنتم "تصنعون" فإن الله أيضاً يكون "عاملاً فيكم ما يُرضي أمامه بيسوع المسيح" وقوة الله في حياتنا تعمل بوساطة يسوع المسيح كما علمنا هو في يوحنا فصل ١٥ آية ٤ "الذي له المجد إلى أبد الآبدين. آمين" ولا يتبين من اليونانية إن كانت هذه التسبحة موجهة إلى ربنا يسوع المسيح راعي الخراف العظيم، أو هي موجهة إلى إله السالم. وتتخذ تسبحات العهد الجديد كلا الوضعين في تسبيح الآب وتسبيح الابن الأزلي. وهي تدرس كشذرات في الرسائل وسفر الرؤيا، ولكنها تستعمل أيضاً في العبادة المسيحية في هذا العصر، ذلك لأنها ألفاظ للعبادة الحقة جرت على ألسنة المسيحيين الأولين، ألفاظ ملهمة تحلو لشفاهنا وقلوبنا، كما حلت لشفاههم وقلوبهم.

وبعد هذا يضيف الكاتب "حاشية" شخصية، لا بصيغة الجمع التأليفية، بل بصيغة المفرد الشخصية:

"وأطلب إليكم أيها الأخوة أن تحتملوا كلمة الوعظ"وهو هنا يصف رسالته. والكلمة اليونانية المترجمة "وعظ" تقترن بالكلمة المعروفة "فَراقليط" التي يمكن ترجمتها "المعزي" أو "المقوّي" ومن ثم كانت كلمات الرسالة للتعزية والتقوية. والظاهر أن الكاتب أحس أن الموضوع الخطير الذي يعالجه، لا تستوعبه رسالة تقرأ في ساعة من الزمن، لذلك يقول "... أن تحتملوا كلمة وعظ" "لأني بكلمات قليلة كتبت إليكم" "أطلب انتباهكم الصابر، فإنه كان مستطاعاً لي أن أُسهب في بسط أدلتي لولا خشيت ملالكم" والآن يوافيهم

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

بالأخبار الخاصة: "اعلموا أنه قد أطلق الأخ تيموثاوس" وربما يكون هذا، وإن لم يكن مؤكداً، تيموثاوس زميل الرسول بولس (انظر أع ١٦ الخ.) والذي كتب إليه الرسول بولس رسالتين بعد أن أسندت إليه وظيفة خطيرة في الكنيسة. والكلمة المترجمة "قد أطلق" تعني على الأرجح الإطلاق من سجن، ولكنها قد تعني أيضاً "البدء في رحلة" ويرجو الكاتب نفسه أن يشرع مع الأخ تيموثاوس في الرحيل لرؤية الأصدقاء الذين كتب إليهم رسالته. فكلمات النصح المسطورة لا بأس بها، ولكنه يأمل أن يتبع كلماته المكتوبة بزيارة شخصية لتقويتهم ومعونتهم ومعه تيموثاوس كما يقول "الذي معه سوف أراكم أن آتي سريعاً" وحسب العادة المألوفة في رسائل العهد الجديد يختم الكاتب بتحية، هي التحية الوحيدة في العهد الجديد الذي طُلب فيها إلى أعضاء الكنيسة أن يسلموا على مرشديهم كما يقول "سلموا على جميع مرشديكم" والظاهر كما قلنا في مقدمة الرسالة أنها كتبت إلى مدينة كان بها عدد غفير من المسيحيين، يسوسهم نفر من المرشدين، والكلمة الثانية "جميع القديسين" تدل على أن الرسالة لم تكن موجهة لكل المسيحيين في تلك المنطقة، ولعلها أُرسلت إلى جماعة منهم كانت تجتمع أحد المنازل ولكنهم كانوا على صلة بالمرشدين المسيحيين في كل المدينة، وبالقديسين الذي اجتمعوا جماعات صغيرة في منازل مختلفة.

ولدى الكاتب تحية أخرى، إذ يقول "يسلم عليكم الذين من إيطاليا" والأرجح أنه كتب رسالته في مدينة كان بها مع من إيطاليا بعثوا سلامهم إلى المسيحيين العبرانيين المستوطنين إحدى مدن إيطاليا. على أننا لسنا واثقين من هذا تماماً. وبعد هذا يكتب الكاتب عبارة ألفها قراء رسائل العهد الجديد. وذلك لأن كل رسالة من رسائل بولس تختتم بطلب "النعمة" للقراء. وهو يجعل ختامها مسكاً فيقول "النعمة مع جميعكم" وكانت هذه العبارة التحية الوداعية المحببة لدى المسيحيين الأولين. ولما كان المقصود أن تقرأ الرسالة بصوت عال في العبادة فإن كلمة "آمين" أضيفت في كثير من النسخ الخطية (وإن لم يكن في كلها) وهي اللفظة التي يرد بها التحية أعضاء الكنيسة كما هو الحال في تسبحة آية ٢١، ورد الشعب في استعمال كلمة "آمين" من الآثار القليلة التي بقيت لنا من العبادة الأولى عند المسيحيين. وقد استعمل اليهود هذه الكلمة أيضاً في عبادتهم، ولعل الأسباب التي حببت اللفظة إلى المسيحيين الأولين أنها جرت مراراً على شفاه سيدهم وربهم (وهي المترجمة "الحق الحق")، وحين يقولها المسيحيون، رداً على صلاة يتلوها أحدهم نيابة عن الجماعة (كما في تحية هذه الرسالة) إنما يدمغون الصلاة بطابعهم ويشهدون أنها صلاتهم أيضاً، وليت نستطيع كلنا أن نسجل كلمة "آمين" رداً للنصائح والعظات التي تضمنتها هذه الرسالة اليونانية.

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com

تنبيه- العبارة المذيلة بها الرسالة في النص العربي وهي: "إلى العبرانيين كتبت من إيطاليا على يد تيموثاوس" ليست جزءاً من الرسالة، ولكنها تذييل نقل عن حديث مسيحي قديم متواتر يتعلق بالرسالة.

الخدمة العربية للكرازة بالإنجيل هي هيئة إرسالية شغفها نشر كلمة الله في العالم العربي عبر الإنترنت وعبر وسائل إلكترونية أخرى. وتقوم بتوزيع الكتاب المقدس مجاناً للجالية العربية في أميركا الشمالية والقطر العربي وبلدان العالم. بالإضافة إلى مجموعة من الأقراص المضغوطة التي تحتوي على كتب روحية، عظات، تراتيل والكتاب المقدس.

لمزيد من المعلومات الرجاء الإتصال بنا.

يحفظكم الله ويملأ حياتكم بالصحة والسعادة والسلام.

أسرة الخدمة العربية للكرزة بالإنجيل

P.O. Box 486, Dracut, MA 01826 – USA All rights reserved © 2008-2018 info@arabicbible.com